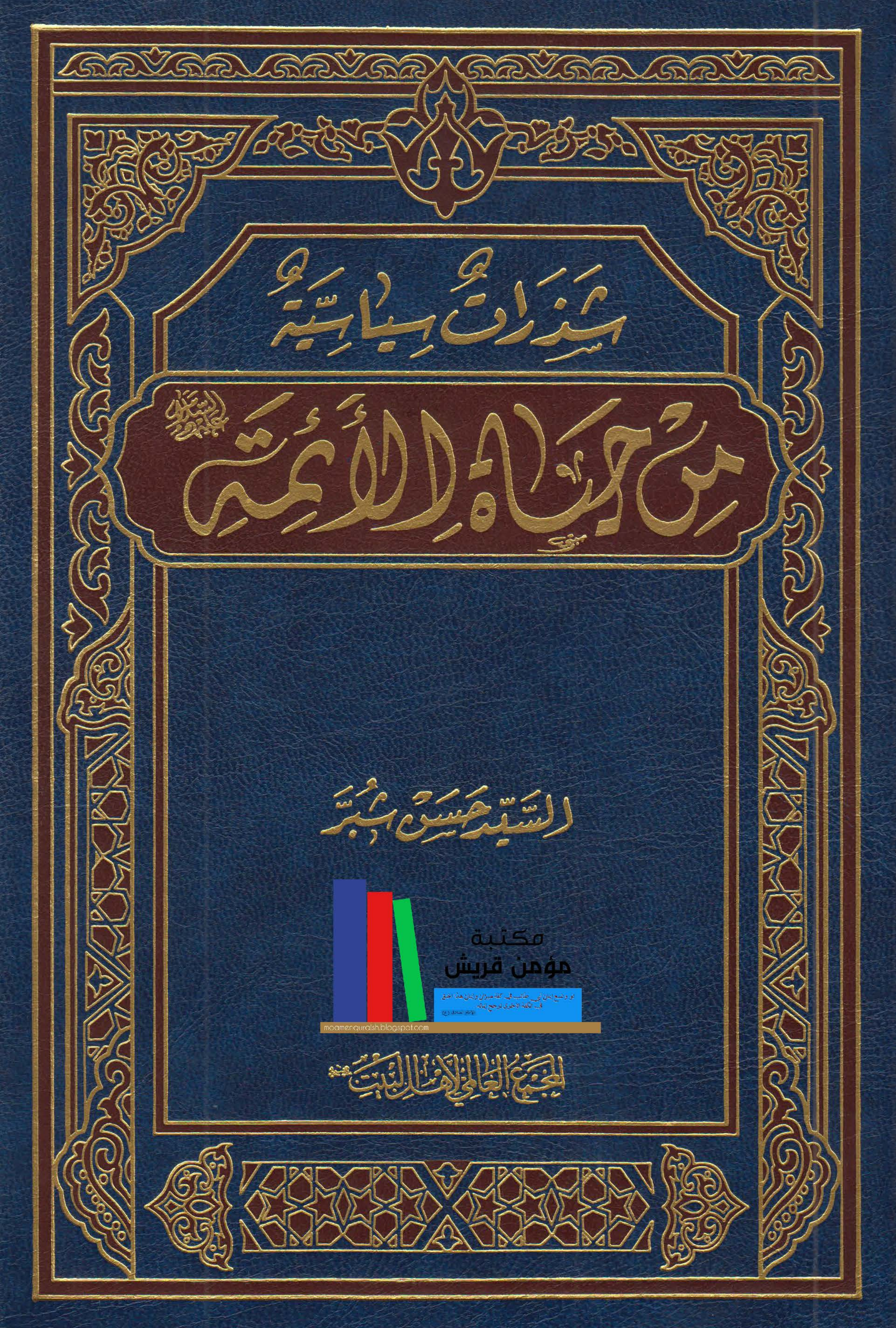
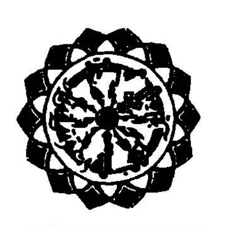

شذرات سياسية
من حياة الأئمة عليهم السلام
السيد حسن شبر
مكتبة
مؤمن قريش
moamenquraish.blogspot.com
المجمع العالمي لأهل البيت

# شذرات سياسية من حياة الأئمة عليهم السلام

السيد حسن شبر





اسم الكتاب: شذرات سياسية من حياة الأئمة(ع)

المؤلف: السيد حسن شبر

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة الرابعة: ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ

العنوان: حارة حريك - شارع دكاش - بناية الحسنين - ط٢

تلفون: ٢٧١٩٠٧ /٠١ - فاكس: ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٨



# بسم الله الرحمن الرحيم

حياة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام زاخرة بالدروس والعبر ، لا يستغني عنها كل مسلم فضلاً عمن ينتسب إليهم خاصة .

وتتأكد الحاجة لدراسة حياتهم عندما نجد أن الذين تسنّموا منصب الخلافة وإمرة المؤمنين من بني أمية وبني العباس أعطوا انطباعاً سيئاً للغاية عن هذه الوظيفة الكبرى ، بحيث أن القارئ الذي لا يعرف كثيراً من التاريخ وملابساته وتعقيداته ، يتصور أن هؤلاء الظالمين هم الذين يمثلون الإسلام حقيقة .

وهي مأساة عظيمة عندما يقال إن الخليفة أو أمير المؤمنين يرتكب الموبقات ، في حين إتخذ هذا المنصب بإعتباره خليفة لرسول الله ( ص ) وأميراً للمؤمنين ، وهو عدو لله ورسوله .

والمسلم الذي يريد أن يتحرّى الحقيقة ، ويعرف الواقع من غيره ، ويزيل الغبش عن فكره ، يستطيع — إذا تجرّد من نزغاته — أن يعرف بسهولة ، الصحيح من السقيم ، وأن بني أمية وبني العباس زوّروا التاريخ وشوهوه وأساؤوا إلى الإسلام كثيراً .

ثم يدرك أن الأئمة الهداة من آل البيت عليهم السلام هم قادة المسلمين عندما يقارن بين هؤلاء وأولئك .

ولأن حكام الجور كانوا يخشون أن يتوجه المسلمون إلى الأئمة الهداة فكانوا يضيّقون على الأئمة بشتّى الأساليب ، يلتجئون أخيراً إلى القضاء على حياتهم بالقتل والسم .

وحيث وجد الأئمة أنفسهم أنهم لا يستطيعون أن يمسكوا بزمام الأمور وإقامة دولة الإسلام ، نراهم إلتجأوا إلى :

١- نشر العلوم الإسلامية وتعريف المسلمين بأحكام دينهم الحنيف التي حاول الظلمة إبعادها عن الأمة ، أو إبعاد الأمة عنها .

٢- إتخاذ مواقف سياسية بطريقة هادئة وذكية ، ليست في استلام السلطة وإنما لتصحيح مسار حركة الإسلام .

الطبعة الأولى من هذا الكتاب كانت في عام ١٩٩٨ وقد نفدت كلها وقررت أن أعيد الطبع بعد تنقيح الكتاب في طبعتها الثانية وهكذا الثالثة واليوم تقوم المجمع العالمي لأهل البيت(ع) في بيروت بطبعتها الرابعة.

والله ولي التوفيق

**المؤلف**

**السيد حسن شبّر**

# المدخل إلى الكتاب

بسم الله الرحمن الرّحيم والصّلاة والسّلام على محمد خير خلقه أجمعين وآله الطيبين الطّاهرين وأصحابه المنتجبين .

لقد تسلم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) زمام الدّولة بعد أن أقصي عن الحكم ٢٥ عاماً ، وخاض حروباً داخلية كانت نتيجة حتمية لفترة الـ ٢٥ عاماً الّتي سبقت توليه الحكم ...

ثم بويع لولده الحسن (عليه السلام) وتسلم زمام الحكم ، ولكن ظروفاً خاصة اكتنفته ، اضطر على أثرها إلى المصالحة مع معاوية على شروط اشترطها عليه .

وتلك أمور لا نريد أن نخوضها الآن ، فلسنا في صددها ، ولقد أسهب الكتاب والمؤرخون في البحث عنها .

ثم ثار الحسين (عليه السلام) على يزيد في مجموعة قليلة ، من أصحابه وأهل بيته عام ٦١ وانتهت الحركة التي دونتها كتب التاريخ والتي سُميت بمعركة الطّف .

وهناك شبهة لدى بعض المسلمين ، لدى السّنة ولدى الشّيعة أيضاً تقول إن الأئمة (عليهم السلام) الذين جاؤوا من بعد الحسين ، ابتداء من الإمام زين العابدين ، تركوا شؤون الدّولة والتفكير باستلام السّلطة ، وانصرفوا إلى العبادة والعلم بل و لم يبايعوا للثائرين من العلويين على حكم بني أمية وبني العباس .

ولعل أولئك الّذين أثيرت لديهم هذه الشّبهة ، يتوسعون فيها ، ويقولون :

إذا ثار الحسين ولم يثر واحد من أولاده وأحفاده ، فإن هذا دليل على أن الأئمة كانوا يختلفون في مواقفهم مع السّلطان الجائر ، وكل السّلاطين الّذين عاصروهم كانوا جائرين .

ونتيجة هذا أن الأئمة عليهم السلام ، كان يخطّئ أحدهم الآخر ، وهو خلاف مبدأ العصمة التي يقول بها الشيعة في أئمتهم .

ولكن الواقع أن الأئمة لم يكونوا مختلفين فيما بينهم مطلقاً إلاّ أن الظّروف هي التي اختلفت ، وهم متفقون في اتخاذ المواقف المناسبة للحالات المختلفة .

فاتخاذ أي موقف من أي واحد من الأئمة عليهم السلام ، هو نفسه الّذي كان يتخذه الإمام الآخر لو تعرض لنفس الظّروف والملابسات .

فالحسن عليه السلام ، الّذي اضطر إلى الصلح مع معاوية ، كان نفس الموقف الّذي سيتخذه غيره من الأئمة (عليهم السلام ) ، لو تعرضوا له بدليل أن الحسين عليه السلام تابع أخاه الحسن في صلحه مع معاوية وبقي ملتزماً به إلى أن هلك معاوية .

وموقف الحسين الّذي دخل في حرب مع يزيد ، كان هو نفس الموقف الّذي سيتخذه غيره من الأئمة في نفس الظّروف والحالات .

والصّادق عليه السلام :

لو كان في مكان الحسين لحارب يزيداً ، والحسين لو كان في زمان الصّادق لهادن بني العباس ، وهكذا ...

ولو اجتمعوا ما اختلفوا في القضية الواحدة .

وهذا هو من العصمة ...

ولو قلنا ـ والعياذ بالله ـ إن أحد الأئمة خطّأ موقف الإمام الآخر لكان أحدهما خارجاً من العصمة ، وهو ما نرفضه .

وإذا كان الموقف الأنسب للحسين عليه السلام أن يحارب يزيداً في القلة القليلة من أهل بيته الطّاهرين وأصحابه ، فإن الموقف الأنسب للإمام زين العابدين هو أن يعمل على تحطيم هيبة حكم بني أمية بالأسلوب الإعلامي الّذي بدأه بعد معركة الطّف مباشرة إلى يوم لقي ربه ، منذ دخل الكوفة ومن ثم إلى الشّام والمدينة ، وهو لا يفتأ يذكر واقعة الطّف التي تعرض لها أبوه الحسين وأصحابه وعياله لانتهاك عظيم .

ومن هذا المنطلق أيضاً ، فإن الرّوايات التي تروى عن أي واحد من الأئمة ( عليهم السلام ) في الشأن العبادي أو أي شأن آخر ، فإنه نفسه هو حديث الأئمة الآخرين ، وكأنهم هم رووه .

بل إنهم كانوا يجيزون لأصحابهم أن يرووا الحديث الّذي سمعوه من الصّادق مثلاً عن أبيه الباقر وبالعكس :

يقول الصادق عليه السلام ، كما رواه ابن سنان :

(( ليس عليكم جناح فيما سمعتم في أن ترووه عن أبي وليس عليكم جناح فيما سمعتم عن أبي أن ترووه عني ، ليس عليكم في هذا جناح ))[1]

وقال في جواب أبي بصير ، لما قال :

الحديث اسمعه منك ، أرويه عن أبيك ؟ أو أسمعه من أبيك أرويه عنك ؟

قال (( سواء ، إلاّ أنك ترويه عن أبي أحب إلي ))[2] .

وقال أيضاً لجميل :

(( ما سمعت مني فاروه عن أبي ))[3] .

ولهذا قال لحفص بن البختري لما قال : نسمع الحديث منك ، فلا ندري منك سماعه أو من أبيك ؟

فقال عليه السلام :

[1] - الوسائل الطّبعة القديمة ج ٣ ص ٣٨٠ رقم الحديث ٨٥ .
[2] - الكافي ج ١ ص ٥١ .
[3] - المصدر السابق ج ١ ص ٥١ .

(( ما سمعته مني فاروه عن أبي وما سمعته مني فاروه عن رسول الله (ص)[1] .

وقال أيضاً ،كما رواه هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيرهما :

(( حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين عليه السلام حديث رسول الله (ص) وحديث رسول الله (ص) قول الله عز وجل[2] .

والأئمة ( عليهم السلام ) ، وإن تنوعت أدوارهم إلاّ أن هدفهم كان واحداً . نستطيع أن نقول إن الأئمة نهجوا بصورة عامة خطين :

**الخط الأول :**

هو خط محاولة تسلم زمام الحكم والدّولة ومحو آثار الانحراف وإرجاع القيادة إلى موضعها الطّبيعي .

**الخط الثاني :**

(( وهو خط تحصين الأمة ضد الإنهيار بعد سقوط التجربة وإعطائها من المقومات ، القدر الكافي لكي تبقى وتقف على قدميها

[1] - الوسائل ج٣ ص ٣٨٠ ، رقم الحديث ٨٦ .
[2] - المصدر ج١ ص ٥٣

وتعيش المحنة بعد سقوط التجربة ، بقدم راسخة وبروح مجاهدة وبإيمان ثابت ))[1] .

ونستطيع أن نقول ، إن الأئمة الثلاثة ( علي وابناه ) كانوا يمثلون الخط الأول ، في حين كان الأئمة من بعدهم يمثلون الخط الثاني .

فهناك دور مشترك للأئمة عليهم السلام ، وكأنهم فريق واحد ، كل واحد منهم يقوم بدوره الخاص ، وكلهم يقصدون هدفاً واحداً ، لأن الإمامة واحدة في الجميع بمسئوليتها وشروطها ويجب أن يشكل الأئمة بمجموعهم وحدة مترابطة الأجزاء ليواصل كل جزء من تلك الوحدة الدّور للجزء الآخر ويكمله .

فهم عليهم السلام جميعهم يقصدون هدفاً واحداً مشتركاً ، وأن أدوارهم تختلف من إمام إلى آخر ، ولكن تلك الأدوار بالنتيجة تصب في ذات الهدف الّذي يسعى إليه جميعهم .

**إننا في هذا الكتاب ، سوف نتبيّن :**

هل أن الأئمة عليهم السلام ، تركوا الدّولة والسّياسة لأولئك السلاطين الجائرين يفعلون ما يشاؤون ! وانصرفوا إلى العبادة والعلم وبيان الأحكام الشّرعية فحسب ؟

---

[1] - أهل البيت *تنوع أدوار ووحدة هدف السّيد محمد باقر الصدر*

أو أنهم قاموا بأعمال سياسية فيما يخص الدولة ؟ ثم إنهم علـــيهم السلام ، هل اختلفوا فيما بينهم ، كما تثار الشّبهة ؟

إن محاولتنا هذه ، نتصور أنها لم يتطرق لها أحد من البـــاحثين ، وهي محاولة متواضعة نرجو أن تكون بداية لبحوث أوسع وأشمل .

# موقف الإمام الصّادق عليه السلام من الحكم

**نطرح في البداية هذا السؤال :**

إن الإمام الحسين (عليه السلام) ،ثار في وجه بني أمية في قلة قليلة من أصحابه ، وواضح كل الوضوح ، إنه لم يستطع أن يغيّر بهم تلك الدّولة .

فلماذا إذن والدّولة التي نشأت في أعقاب سقوط بني أمية والتي سميت بعد ذلك بالدولة العباسية ، لماذا تُعرض هذه الدّولة لقمة سائغة جاهزة للإمام الصادق (عليه السلام) ، ويرفضها رفضاً قاطعاً ؟

ألم يكن من مصلحة الإسلام العليا أن ينتهز الإمام هذه الفرصة الفذة ليعيد للإسلام قوته بعد أن انهارت كل المثل العليا فيه ؟

ثم أية فرصة كان ينتظرها الإمام خيراً من هذه ؟

وهل يتوقع وضعاً أفضل ؟

في حين كان واضحاً أن النّاس ، كلما تمادت بهم الأيام ازدادوا بعداً عن الإسلام وازداد الحكام حرباً على الأحكام .

# أبو سلمة الخلاّل والإمام الصّادق عليه السلام

يذكر المؤرخون ، الذين يؤرخون لفترة سقوط الدّولة الأموية ومن ثم نشوء دولة بني العباس ، أن إبراهيم بن محمد الإمام ، بعد ما حبس من قبل مروان آخر خلفاء بني أمية أمر أخوته أبا العباس السّفاح وأبا جعفر المنصور وبقية أعمامه وذويه بالمسير إلى الكوفة .

وكان أبو سلمة الخلاّل[1] قائد الجيش الخراساني الثائر في العراق على مروان ، قد أنزلهم في دار الوليد بن سعد وأخفى أمرهم شهرين ووكل بهم وكيلاً ، وأراد أن يحوّل الأمر إلى آل أبي طالب ، لمّا بلغه الخبر عن موت إبراهيم الإمام .

فقال له أبو الجهم وهو من القواد الّذين تحت إمرته ، ما فعل الإمام ( ويقصد به أبا العباس السّفاح ) .

قال : لم يقدم بعد ، فألحّ عليه ، فقال : ليس هذا وقت خروجه لأن ( واسطاً ) لم تفتح بعد .

وكان أبو سلمة إذا سئل عن الإمام ، يقول : لا تعجلوا ، ولم يكن يعبأ بالإمام كثيراً ، حتى إن أبا العباس أرسل إلى أبي سلمة يسأله

[1]- حفص بن سليمان الخلاّل .

مائة دينار يعطيها الجّمال كراء الجمال التي حملتهم إلى الكوفة ، فلم يبعث بها إليهم[1] .

وخاف أبو سلمة انتقاض الأمر وفساده عليه ، فبعث بمحمد ابن عبد الرّحمن ابن أسلم ، وكان أسلم مولى رسول الله (ص) ، وكتب معه كتابين على نسخة واحدة إلى أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام في المدينة وإلى أبي محمد عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام يدعو كل واحد منهما إلى الشّخوص إليه ليصرف الدّعوة إليه ويجتهد في بيعة أهل خراسان له[2] وطلب من الرّسول أن يذهب أولاً إلى الصادق عليه السلام فإذا قبل فلا يذهب إلى عبد الله ، وإن لم يقبل فليذهب إلى الثاني .

وقال للرسول : العجل العجل ، فلا تكوننّ كوافد عاد ، فقدم محمد بن عبد الرّحمن المدينة على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام ، فلقيه ليلاً ، واعلمه أنه رسول أبي سلمة ، ودفع إليه كتابه .

فقال له أبو عبد الله عليه السلام وما أنا وأبو سلمة ؟ وأبو سلمة شيعة لغيري .

---

[1] – ابن الأثير في الجزء الخامس من الكامل ص ٦٤ .

[2] – يذكر بعض المؤرخين إن أبا مسلم الخراساني أيضاً ، كتب إلى الإمام الصادق عليه السلام ((إني دعوت الناس إلى موالاة أهل البيت ، فإن رغبت فيه فأنا أبايعك)) فأجابه الإمام : ما أنت من رجالي ولا الزّمان زماني . ولكنني استبعد أن يكون أبو مسلم قد بعث كتاباً للإمام عليه السلام بخصوص البيعة له ، ونرى إن أبا جعفر المنصور الذي كان يحقد عليه ويتحين الفرص ، ثم قتله ، لم يجعل ذلك من دواعي القتل ، وإنما كان يعدد له مخالفاته واحدة واحدة ، ليس منها تهمة الكتابة إلى الصادق عليه السلام .

قال : إني رسول ، فتقرأ كتابه ، وتجيبه بما رأيت ، فدعا أبو عبد الله بسراج ، ثم أخذ كتاب أبي سلمة فوضعه على السّراج حتى أحترق

وقال للرسول : عرّف صاحبك بما رأيت ، ثم أنشأ يقول متمثلاً بقول الكميت ابن زيد الأسدي :

يا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ويا حاطباً في غير حبلك تحطب[1]

فخرج الرّسول من عنده واتى عبد الله بن الحسن بن الحسن ، فدفع إليه الكتاب ، فقبله وقرأه ، وابتهج به فلما كان من غد ذلك اليوم الّذي وصل إليه فيه الكتاب ، ركب عبد الله حماراً ، حتى أتى منزل أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فلما رآه أبو عبد الله اكبر مجيئه .

فقال له : يا أبا محمد أمر ما أتى بك ؟

قال : نعم ، وهو اجل من أين يوصف

فقال : وما هو يا أبا محمد ؟

قال : هذا كتاب أبي سلمة ، يدعوني إلى ما أقبله ، وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان .

فقال له أبو عبد الله : يا أبا محمد ، ومتى كان أهل خراسان شيعة لك ؟ أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان ؟ وأنت أمرته بلبس السّواد ؟

---

[1] - مروج الذهب الجزء الثالث ص ٢٥٤ طبعة دار الأندلس .

وهؤلاء الّذين قدموا العراق[1] أنت كنت سبب قـــدومهم أو وجهـــت فيهم؟ وهل تعرف منهم أحداً ؟

فنازعه عبد الله بن الحسن الكلام ، إلى أن قال : إنما يريد القـــوم إبني محمداً لأنه مهدي هذه الأمة .

فقال أبو عبد الله جعفر عليه السلام والله ، ما هو مهدي هذه الأمـــة ولئن شهر سيفه ليقتلن.

فنازعه عبد الله القول ، حتى قال له : والله ما يمنعك من ذلك إلاّ الحسد .

فقال أبو عبد الله : والله ما هذا إلاّ نصح مني لك ، ولقد كتـــب إليّ أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك ، فلم يجد رسوله عندي ما وجـــد عندك ، ولقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه .

فانصرف عبد الله من عند جعفر عليه السلام مغضباً[2] .

وكان هذا الرسول الّذي بعثه أبو سلمة ، لا يزال بعد في المدينة وحصلت مفاجأة في الكوفة .

فإن أبا حميد الطّوسي أحد قوّاد عسكر أبي سلمة ، دخـــل ذات يوم إلى الكوفة فلقي ( سابقاً ) الخوارزمي وكان مـــولى لأبي العبـــاس السّفاح ، فسأله عن إبراهيم الإمام ، فقال قتله مروان في الحبس .

---

[1] – يقصد بذلك الجيش الذّي جاء من خراسان إلى العراق بقيادة أبي سلمة الخلاّل .

[2] – مروج الذّهب للمسعودي الجزء الثالث ص٢٥٥ .

فقال أبو حميد : فإلى من الوصية ؟

قال إلى أخيه أبي العباس

قال : وأين هو ؟

قال : معك بالكوفة هو وأخوه وجماعة من عمومته وأهل بيته .

قال : مذ متى هم هنا ؟

قال : من شهرين .

قال : فتمضي بنا إليهم ؟

قال : غداً بيني وبينك الموعد في هذا الموضع .

وأراد ( سابق ) أن يستأذن أبا العباس في ذلك ، فانصرف إلى أبي العباس فاخبره ، فلامه إذ لم يأت به معه إليهم .

ومضى أبو حميد فأخبر جماعة من قوّاد خراسان في عساكر أبي سلمة بذلك . وغدا ( سابق ) إلى الموضع ، فلقي أبا حميد ، فمضيا حتى دخلا على أبي العباس ومن معه .

فقال : أيكم الإمام ؟

فأشار داود بن علي إلى أبي العباس، وقال : هذا خليفتكم ، فأكبّ على أطرافه يقبلها ، وسلم عليه بالخلافة ، وأبو سلمة لا يعلم بذلك . وأتاه وجوه القواد فبايعوه .

وعلم أبو سلمة بذلك وذهب ليبايع ، ولكن أبا حميد منعه أن يدخل على أبي العباس إلاّ وحده ، خوفاً من أن يبطش به أو يتخذ أي

إجراء آخر يتوخى فيه البيعة ، فدخل وحده وسلم بالخلافة علــى أبي العباس . وأمره هذا بالعودة إلى معسكره[1] .

إلى هنا ينتهي هذا المقطع من قصة أبي سلمة الخلال في محاولــة لصرف الدّعوة إلى آل أبي طالب .

❁❁❁

[1] - مروج الذّهب جزء ٣ ص ٢٥٥ وكذلك الكامل لابن الأثير جزء ٥ ص ٦٥

## الإمام الصّادق ﷺ يرفض استلام الحكم

فلماذا رفض الإمام الصادق ﷺ هذه اللّقمة السّائغة التي قدمت له دونما عناء ؟

ربما يقال : إن الرّسالة التي بعثها أبو سلمة لم تكن في واقعها الحقيقي لتقديم الدّولة للإمام ﷺ ، وإنما كانت لتدبير منه خاصة ، أو بالتشاور مع بني العباس لاستكشاف نوايا الإمام ، فهي بالتالي تصب في مصلحة بني العباس أنفسهم دون غيرهم .

ولكنني أرى أن هذا الرّأي وإن كان رأياً محتملاً ، وقد تصوره أيضاً بعض الكتاب والمؤرخين ، إلاّ أنني لا أميل إليه ، فقد قتل أبو سلمة لميله لآل البيت وللرسالة التي بعثها إليهم

ثم لو كانت الرّسالة لغرض تدبير الأمور لبني العباس ، فلماذا منعهم مائة دينار يريدون أن يدفعوها لصاحب الجمال ؟

وكان الأولى به أن يعطيهم المائة وغيرها ويرفّه عنهم لئلا يدبّ الشّك في نفوسهم .

**ولنستمع إلى قصة قتله :**

كتب أبو مسلم الخراساني إلى السّفاح يشير عليه بقتله ، ويقول له : قد احلّ الله لك دمه ، لأنه قد نكث وغيرّ وبدل .

فقال السّفاح : ما كنت لأفتح دولتي بقتل رجل من شيعتي ، لاسيما مثل أبي سلمة وهو صاحب هذه الدّعوة ، وقد عرّض نفسه وبذل مهجته وأنفق ماله وناصح إمامه وجاهد عدوه [1] .

ولكن داود بن علي عم السّفاح ، قال للسّفاح : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فيحتج بها أبو مسلم عليك وأهل خراسان الّذين معك أصحابه وحاله فيهم حاله ، ولكن اكتب إلى أبي مسلم فليبعث إليه من يقتله ، فكتب إليه ، فبعث أبو مسلم ( مرار بن انس ) الضّبي لقتله ، فقدم على السّفاح ، فأعلمه بسبب قدومه .

ولكن أبا العباس خشي من سوء العاقبة ، ولكيلا يقال إن أمير المؤمنين قتل وزيره ، ( وكان قد لقبه بوزير آل محمد ) وليلقي بكل التبعات على غيره ، شأنه في ذلك شأن جميع السّياسيين الّذين يأمرون بالقتل ويتنصلون .

فأمر منادياً فنادى : إنّ أمير المؤمنين قد رضي عن أبي سلمة ، ثم دخل عليه بعد ذلك ليلة ، فلم يزل عنده حتى ذهب عامة اللّيل ، ثم أنصرف إلى منزله وحده فعرض له مرار بن أنس ومن معه فقتلوه وقالوا قتله الخوارج .

ثم اخرج من الغد فصلىّ عليه يحيى بن محمد بن علي ، وقال أحد الشّعراء :

---

[1] - المصدران السّابقان .

إن المساءَة قد تـسَرّ وربما كان السّرور بما كرهت جـديراً

إن الوزير وزيـر آل محمد أودى ، فمن يشناك كان وزيراً [1]

ونستنتج من هذا أنّ الدّعوة للإمام عليه السلام كانت صادقة ، ولاشك إنه عليه السلام كان يعرف دخيلة أبي سلمة وقصده الشّريف ، ولو كان يشك بنواياه لكان معه موقف آخر .

[1]- مروج الذّهب جزء ٣ ص ٢٧١

## نظرة الأئمة للحكومات

إن رفض الإمام عليه السلام تقبّل الدّعوة ، لم يكن لأن صاحبها شخص غير موثوق أو إنه شخص يريد أن يخدع الإمام عليه السلام أو يكتشفه . كل ذلك لم يكن ، ولكننا في النّتيجة نرى أن الإمام رفضها .

فماذا كان يريد الإمام عليه السلام ؟

فهل يعقل أنه كان يجد أن الثورة على السّلطان الجائر غير جائزة ؟ أو أنه لم يكن يرى أن هؤلاء جائرون ؟

ثم في موضوعنا الّذي نحن بصدده ، فهو استلام للحكم بدون ثورة أو هو ثورة بيضاء ــ كما يقولون ــ .

ثم إذا لم يكن هو يقوم بنفسه بهذه الثورة ، فما هو رأيه عليه السلام في الخروج عليهم ــ حتى من قبل أشخاص آخرين ــ كما في ثورة زيد ابن علي على هشام بن عبد الملك الأموي ! وثورة محمد النّفس الزّكية على المنصور العباسي ؟!

هذه أسئلة متعددة ، وربّما تبرز أسئلة أخرى ، تثار في ثنايا الكلام ، تحتاج إلى أجوبة واستكشاف رأي الإمام عليه السلام .

ولا شك ان رؤية الإمام الصّادق في ذلك هي نفس رؤية بقية الأئمة عليهم السلام ، خصوصاً الإمام ( الرّضا ) الّذي واتته الظّروف أكثر من غيره ، ولكنه ما حاول استغلالها ولا تشبث بها .

أما رؤية الأئمة عليهم السلام ، بالنسبة للسلاطين الّذين عاصروهم فقد كانوا يرون أهم ابتزّوا هذا المنصب دونما استحقاق ، وهم أولى منهم في ذلك ، وأولئك غاصبون ، والعمل معهم يؤدي إلى تقويتهم ونفوذ سلطاهم ، وبالتالي فهو حرام .

ولنستمع إلى زياد بن أبي سلمة يقول :

دخلت على أبي موسى عليه السلام فقال لي : يا زياد ، إنك لتعمل عمل السّلطان ؟

قلت : أجل

قال ولِمَ ؟

قلت : أنا رجل ولي مروّة وعليّ عيال ، وليس وراء ظهري شيء .

فقال: يا زياد ، لئن اسقط من حالق ، فأتقطّع قطعة قطعة ، أحبّ إلي من ان أولّى لأحدٍ منهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم ، إلاّ لماذا ؟

قلت لا أدري ، جعلت فداك .

قال : إلا لتفريج كربة على مؤمن ، أو فك أسره أو قضاء دينه .

يا زياد إنّ أهون ما يصنع الله بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ الله من حساب الخلائق .

يا زياد فإن وليّت شيئاً من أعمالهم ، فأحسن إلى أخوانك ، فواحدة بواحدة ، والله من وراء ذلك .

يا زياد أيّما رجل منكم تولّى لأحدٍ منهم عملاً ثم ساوى بينكم وبينهم فقولوا له أنت منتحل كذاب .

يا زياد إذا ذكرت مقدرتك على النّاس فاذكر مقدرة الله عليك غداً [1] .

ونذكر القصة التالية التي جرت بين الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وبين احد أصحابه ، هو صفوان الجّمال لنتبيّن بوضوح رؤية الأئمة عليهم السلام لدولة بني العباس وغيرها من دول الجور :

قال الإمام مخاطباً صفوان :

يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً .

فقال : جعلت فداك ، أي شيء هو ؟

قال : كراؤك جمالك من هذا الطاغية ـــ يعني هارون ـــ .

فقال والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا لصيد أو لهو ، ولكني أكريته لطريق مكة ، ولا أتولاها بنفسي ، وإنما أبعث معها غلماني .

فقال : يا صفوان ألست تحب بقاءهم إلى أن يخرج كراك منهم ؟

قلت : نعم يا بن رسول الله .

قال : فمن أحب بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم فقد ورد النّار [2] .

❀❀❀

[1] - البحار الجزء ٤٨ ص ١٧٣ نقلاً عن الكافي جزء ٥ ص ١٠٩

[2] - الأئمة الأثنى عشر ... عادل الأديب ص ١٨٦

أصبح واضحاً لدينا إن الإمام الصّادق ﷺ كان يعتبر الحكام الّذين عاصرهم ، سلاطين جور ، وأن العمل معهم حرام ، يُدخل صاحبه النّار

والرّوايتان اللّتان ذكرناهما وإن كانتا عن ولده موسى بن جعفر ﷺ إلا أنهما تعبران عن رأي أي واحد من الأئمة عليهم السلام .

❁❁❁

# رأي الإمام الصّادق عليه السلام فيمن خرج من أهل بيته على الحكام

كل ثورة ، لا يمكن أن يتحقق لها النّجاح ، ومن ثم البقاء والاستمرار إلاّ إذا استوفت شروطها وظروفها وأهدافها وتقبل النّاس لها وتوفر قوة الأنصار أزاء قوة الأعداء وحنكة القائد ، وكذلك المال والسّلاح وبقية الأمور الأخرى التي تدخل عنصراً ضرورياً في الثورة .

ولقد رأينا أن الأئمة بمن فيهم الصادق عليه السلام كانوا يرون أن حكم بني أمية وبني العباس حكم ظالم جائر وأن هؤلاء قد انحرفوا وحرفوا الإسلام والمسلمين معهم .

ولا بدّ للأئمة ـــ وهم أمناء الله على الشّريعة الإسلامية ـــ أن يعملوا جهدهم في إرجاع المسلمين والأوضاع إلى القرآن والسنة النبوية الشريفة ، ولكن كيف تم ذلك !

هل يتم بالطريقة التي استولى بها العباسيون وأشادوا عليها حكمهم الظّالم في القتل والانتهاك وارتكاب المجازر والمعاصي ، كما كان يفعل الظّالمون من قبلهم بنو أمية . فهو إذن تغيير ظالم بظالم .

صحيح إنّ ظالماً قد انتهى ، ولكن جاء ظالم آخر .

فلننظر ، ماذا قال الإمام الرّضا عليه السلام لأخيه زيد ، عنـــدما ثـــار في البصرة ، ومارس القتل والحرق والانتهاك الّذي لم يكن إلاّ انتقاماً من بني العباس وليس لإقامة الإسلام .

قال الإمام الرّضا لزيد : ويحك يا زيد ، ما الّذي غرّك حتّى أرقت الدّماء وقطعت السّبيل ؟

فقال له زيد : أنا أخوك وابن أبيك .

فقال له الرّضا : أنت أخي ما أطعت الله عز وجل ، إن نوحاً قال (( ربّ إنّ ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أرحم الرّاحمين )) فقال له عز وجل (( يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح )) فأخرجه الله من أن يكون من أهله بمعصيته الله[1] .

[1] - البحار جزء ٤٩ ص ٢١٨ .

## الأئمة عليهم السلام كانوا يعلمون بفشل الثورات

كان الأئمة عليهم السلام يعلمون أن الثائرين من أهل البيت ، سواء الّذين ثاروا على بني أمية أو بني العباس ، لم يستوفوا الشّروط الواجب توفرها في الثورة ، فكانوا يمنعونهم .

وكان الثوار تضيق بهم صدورهم فلا يستطيعون التأخير أو أنهم كانوا يتصورون أنهم قد استوفوا كل تلك الشّروط ، فلم يبق إلاّ إعلان الثورة والظّهور .

ويستشيرون الإمام الصادق عليه السلام أو ربما يطلبون منه البيعة ، كما طلبها محمد بن عبد الله النّفس الزّكية ، ويمتنع الإمام ، لأن البيعة لها توابعها وهو يعلم أنّ الأمر لن يتم .

فيأتيهم الإمام من طريق آخر ، يقول لهم إنه لم يجد في كتاب علي أنكم سوف تنتصرون ، فلا يقتنعون ، ولربما يتهمون الإمام بالحسد فيثورون ، وعندها يكون الإمام أمام أمر واقع هو حصول الثورة وهي وإن كان الإمام يعلم بنتائجها مسبقاً لإلمامه بالأمور من جميع جوانبها ولإدراكه واطلاعه الواسع ووعيه العظيم .

إنه مع ذلك ، نراه يطلب من النّاس أن ينفروا لتأييد الثورة عسى أن تحقق شيئاً .

## نظرة الأئمة لثورة زيد بن علي عليه السلام

لّما حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون ، وقد كان خرج بالبصرة وأحرق دور ولد العباس ، وَهَبَ المأمون جرمه لأخيه علي ابن موسى الرّضا عليه السلام وقال له : يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل ، لقد خرج قبله زيد بن علي فقتل ، ولولا مكانك مني لقتلته ، فليس ما أتاه بصغير .

فقال الرّضا عليه السلام : يا أمير المؤمنين : لا تقس أخي زيداً إلى زيد ابن علي عليه السلام فإنه كان من علماء آل محمد ، غضب لله عز وجل ، فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله ، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام إنه سمع أباه جعفر بن محمد يقول رحم الله عمي زيداً إنه دعا إلى الرّضا من آل محمد ، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ، وقد استشارني في خروجه ، فقلت له : يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك .

فلما ولّى ، قال جعفر بن محمد : ويل لمن سمع واعيته ، فلم يجبه .

فقال المأمون : يا أبا الحسن ، أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟

فقال الرّضا : إن زيد بن علي عليه السلام لم يدّع ما ليس له به حق ، وإنه كان أتقى لله من ذاك ، إنه قال : ادعوكم إلى الرّضا من آل محمد ،

وإنما جاء ما جاء فيمن يدّعي أن الله نصّ عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم ، وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ﴾[1] .

وجاء عن الفضيل ، قال : انتهيت إلى زيد بن علي عليه السلام صبيحة خرج بالكوفة فسمعته يقول : من يعينني منكم على قتال أنباط أهل الشّام فو الّذي بعث محمداً بالحق بشيراً لا يعينني منكم على قتالهم أحد إلاّ أخذت بيده يوم القيامة فأدخلته الجنة بإذن الله.

قال : فلما قتل اكتريت راحلة وتوجهت نحو المدينة ، فدخلت على الصّادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت في نفسي : لا أخبرته بقتل زيد ابن علي فيجزع عليه ، فلما دخلت قال لي : يا فضيل ما فعل عمي زيد ؟

قال : فخنقتني العبرة ؟

فقال لي : قتلوه ؟

قلت : إي والله قتلوه .

قال : فصلبوه

قلت : إي والله صلبوه .

فأقبل يبكي ودموعه تنحدر على ديباجتي خده كأنها الجمان ، ثم قال : يا فضيل شهدت مع عمي قتال أهل الشّام ؟

قلت : نعم .

[1] – البحار الجزء ٤٦ ص ١٧٤ ، نقلاً عن عيون أخبار الرّضا

قال : فكم قتلت منهم ؟

قلت : ستة

قال : فلعلك شاكّ في دمائهم ؟

فقلت : لو كنت شاكاً ما قتلتهم .

قال : فسمعته وهو يقول : أشركني الله في تلك الدّماء ، قضى والله زيد عمي وأصحابه شهداء ، مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه[1] .

## رأي الإمام الصّادق عليه السلام في ثورة النّفس الزّكية

كان رأي الإمام الصّادق عليه السلام ، أن لا يلج عبد الله وولداه هذا الباب فإنهم لن يفتحوا الرّتاج ، وكان إذا أصرّ عبد الله وتمسك برأيه فإن أقطع الرّد إنه ليس في وصية علي بن أبي طالب عليه السلام أن يكون أحد من أبناء الحسن إماماً ، وإن كان عبد الله يرى الإمامة لولديه محمد وإبراهيم ، أحدهما بعد الآخر ، فإنه ليس في وصية علي كذلك أن يلي الإمامة أخوان غير الحسن والحسين .

[1] - البحار الجزء ٤٦ ص ١٧١ نقلاً عن أمالي الصّدوق

ذلك أمر إمامة الدّين ، أما إذا كان عبد الله يريد لولديه خلافة الدّنيا ، فإن البيت العباسي قد صار له فيها أعلى صوت وأقوى دعوة [1] .

وكان الصّادق عليه السلام ، إذا رأى محمد بن عبد الله تغرغرت عيناه ، ثم يقول : بنفسي هو ، إنّ النّاس ليقولون فيه ، وإنه المقتول ، ليس هو في كتاب علي من خلفاء هذه الأمة [2] .

ويتكرر نصح الإمام الصّادق عليه السلام لعبد الله بعدم خروج ولديه ، لأنه يعلم مسبقاً بالنتيجة ـــ كما قلنا ـــ ولكنه مع ذلك يبكي لحالهم عندما يراهم يساقون للحبس.

قال الحسين بن زيد بن علي : إني لواقف بين القبر والمنبر إذ رأيت بني حسن يُخرج بهم من دار مروان مع أبي الأزهر ، يراد بهم الرّبذة ، فأرسل إليّ جعفر بن محمد ، فقال : ما وراءك ؟

قلت : رأيت بني الحسن يخرج بهم في محامل .

فقال : اجلس ، فجلست .

قال : فدعا غلاماً له ، ثم دعا ربه كثيراً ، ثم قال لغلامه : إذهب ، فإذا حملوا فأتِ فاخبرني .

قال : فأتاه الرّسول ، فقال : قد أُقبل بهم .

[1] – ( جعفر بن محمد ) عبد العزيز سيد الأهل .
[2] – مقاتل الطالبيين ص ١٤٢ لأبي الفرج الأصفهاني ، المطبعة الحيدرية بالنجف ، الطبعة الثانية .

فقام جعفر عليه السلام فوقف وراء ستر شعر أبيض ، فطلع بعبد الله ابن الحسن وإبراهيم بن الحسن وجميع أهلهم ، كل واحد منهم معادله مسوّد[1] فلما نظر جعفر بن محمد عليه السلام ، هملت عيناه حتى جرت دموعه على لحيته ثم أقبل علي فقال: يا أبا عبد الله، والله لا تحفظ لله حرمة بعد هذا[2].

واللوعة التي تختلج في صدر الإمام الصّادق عليه السلام ، تدفعه إلى أن يرسل رسالة إلى عبد الله بن الحسن حين حمل هو وأهل بيته ، يعزّيه عما صار إليه ويبين له إنه شريك له في هذا الحزن والبلاء .

بسم الله الرّحمن الرّحيم .... إلى الخلف الصّالح والذّرية الطّيبة من ولد أخيه وابن عمه .

أما بعد ، فلئن كنتَ قد تفرّدت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ، ما انفردت بالحزن والغيظ والكآبة وحرّ المصيبة مثل ما نالك ، ولكن رجعت إلى ما أمر الله جل وعز به المتقين من الصّبر وحسن العزاء .

ثم يعدد الإمام عليه السلام آيات من القرآن الكريم تدعو للصبر[3] .

---

[1] – المسوّدة : هم بنو العباس والعاملون معهم الّذين يلبسون السّواد وهو شعارهم .

[2] – مقاتل الطالبيين ص ١٤٩

٣- البحار جزء ٤٦ ص ٢٩٩ .

وللعلم فإن ثورة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم كانت قوية ، بحيث هزّت أركان الدّولة العباسية ، حتى خشي أبو جعفر المنصور على نفسه ، فهو عندما كان مشغولا بحرب محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم . كان لا ينام اللّيل في تلك الأيام . وأهديت له جاريتان ، فلم ينظر إليهما فكلم في ذلك فنهر المتكلمة وقال : (ليست هذه الأيام من أيام النساء ، ولا سبيل لي إليهما حتى اعلم : أرأس إبراهيم لي ، أم رأسي لإبراهيم ، ذكر كل ذلك كل من ابن خلدون جزء٣ ص ١٩٥ والطبري جزء ١٠ ص ٣٠٦ واليعقوبي جزء ٣ ص ١١٤ والبدايةوالنهاية جزء ١٠ ص ٩٣ وابن الأثير جزء ٥ ص ١٨ وأنساب الأشراف جزء ١٣ ص ١١٨ .

لقد توضح لدينا رأي الإمام عليه السلام في الثورة على الحاكمين ، لأنه كان يعلم بأن نصيب تلك الثورات والانتفاضات سيكون الفشل السّريع لأنها لم تقم على أسس صحيحة ومدروسة تضمن لها النّجاح .

والثورة النّاجحة تحتاج إلى قاعدة شعبية واضحة مزودة بالوعي والإخلاص ، تستجيب لتخطيط القائد في كل ما يتوقف عليه نجاحها .

وهذا العلم الّذي حصل لدى الإمام عليه السلام ، إما من قوة وعيه وإدراكه ونظرته العميقة في بواطن الأمور ومعرفته بالرجال والمواقف ، وإما لأنه يجد خبره مكتوباً في صحيفة ( علي ) التي سوف أذكرها في محلها إن شاء الله وإما من كليها .

والثورات تلك وإن كانت تبوء بالفشل . ولا تستطيع أن تغير الوضع ، إلاّ أنها كانت تحقق مكاسب أخرى ، تجعل الأئمة يستبشرون بها .

فلنستمع إلى الصادق عليه السلام ، نفسه إذ يقول :

(( لا أزال أنا وشيعتي بخير ، ما خرج من آل محمد ، ولوددت أن الخارجي من آل محمد خرج وعليّ نفقة عياله )) .

وبالفعل ، فقد فرّق من ماله على عيال من أصيب مع عمه زيد من أصحابه ألف دينار .

كانت تلك الثورات تجعل الإمام عليه السلام بخير لأن اصطدام الثائرين مع الحكام كان يصرف أنظار الحكام عنهم ، ويفسح المجال أمام أهل

البيت وشيعتهم إلى حد ما ، ولم يكن هناك مجال لاتهام الإمام بالتواطؤ معهم ، لأن موقف الإمام كان واضحاً ، ولا شك إنه كان يبلغ الحكام ذلك .

إن ثورات العلويين سواء على الحكم الأموي أو الحكم العباسي ، قد ساهمت في أن يبقى حق العلويين في الحكم محتفظاً بقوته وحيويته في ضمير الأمة ووجدانها ، ولم تؤثر عليه حملات القمع والتضليل التي كان الحكم القائم آنذاك يمارسها ضدهم وضد هذا الحق الثابت لأهل البيت عليهم السلام بالنص .

والثورات بهذا المقدار كانت ترضي الإمام ، لأنها ثورات ضد الظّلم والباطل ، وإن كانوا لا يرجون لتلك الثورات أن تحقق كل أهدافها ، بل لأن الثورة على الظّلم حتى لو كان نصيبها الفشل ، كانت تكشف زيف الحاكم وواقعه وتترك وراءها من يحسّ بالظلم والعدوان ، وقد حققت تلك الثورات هذا المقدار أكثر منه ، وشيء آخر استطاعت أن تحققه تلك الانتفاضات ضد بني العباس خاصة ، ذلك أن بني العباس إنما توصلوا للحكم بدعوتهم السّرية للرضا من آل محمد ، وقد انطلت هذه الدّعوة على عامة النّاس إلا القليلين جداً ممن كانوا يعرفون الحقيقة والواقع ، بل نستطيع أن نقول إن بعض القائمين بهذه الدّعوة والمدافعين عنها وخاضوا الحروب من أجل انجاحها لم يكونوا يعلمون بحقيقة الأمر .

فالدعوة في ظاهرها لأهل البيت العلوي وارجاع الحق إليهم بعد ما اغتصبه الغاصبون من بني أمية وغيرهم ، أما حينما ينطلق الثوار ومعهم العلماء وأبناء المهاجرين والأنصار ، من المدينة مركز الإسلام ومهبط الوحي وموطن أهل البيت عليهم السلام ، فإن هذا يعطي دليلاً واضحاً على أنّ الدّعوة العباسية كانت لتزييف الواقع واستغفال النّاس واستثمار عواطفهم لغرض التسلط عليهم .

❀❀❀

# أسباب ثورة الحسين عليه السلام

لا نغفل إن موضوعنا الّذي ابتدأناه ، ( كان لماذا لم يستلم الصادق عليه السلام الحكم وقد عرض عليه ؟ ) ، ثم بيّنا نظرة الإمام إلى حكم بني العباس ، وأنهم جائرون ظالمون ، وأن العمل معهم حرام ، يدخل صاحبه النّار .

أما في موضوع ثورات العلويين ضد أولئك ، أو الّذين سبقوهم من بني أمية ، فكان عندما يستشار في ذلك يخبرهم أنهم لا يستطيعون أن يستلموا الحكم وأنهم لمقتولون ( زيد يصلب في كناسة الكوفة ومحمد النّفس الزّكية يقتل عند أحجار الزّيت ... وهكذا ) .

ولكننا بعد لم ندرس الأسباب التي دعت الحسين عليه السلام ، للثورة في القلة القليلة من أصحابه لنقارن في ذلك بينه وبين الصّادق عليه السلام الّذي لم يثر أو لم يستلم الحكم ، فما هو الفرق بينهما ؟

ولماذا كانت الدّواعي لأحدهما الثورة ؟ وللثاني المهادنة ؟

في حين نعلم أن نظرتهما واحدة في جور الحاكمين وفسقهم وظلمهم ... لذلك رأينا أن نبحث بصورة موجزة في أسباب ثورة الحسين عليه السلام لنرى هل أن ظروفها مشابهة لظروف الصّادق عليه السلام ليثور كما ثار جده ، أم أنها تختلف عنها ؟ فيسلك سلوكاً آخر .

إننا نستطيع أن نجمل أسباب ثورة الحسين عليه السلام بالنقاط التالية :

## أولاً : ورود الكتب عليه من الكوفة

قيل إنها كانت تتضمن تواقيع أربعين ألف رجل ، بعد أن بلغهم هلاك معاوية وعرفوا خبر الحسين عليه السلام وامتناعه عن بيعة يزيد .

يقولون في هذه الكتب ( سلام عليك ، فإنما نحمد الله إليك الّذي لا إله إلاّ هو ، أما بعد فالحمد لله الّذي قصم عدوك الجبار العنيد الّذي انتزى على هذه الأمة ، فابتزّها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دُولةً بين جبابرتها وأغنيائها ، فبعداً له كما بعدت ثمود ، إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق . والنّعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا إنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله )[1] .

وبعد يومين أرسلوا له احدهم ومعه مائة وخمسون صحيفة من الرّجل والأثنين والأربعة .

والإمام لا يجيبهم . ثم ورد عليه في يوم ستمائة كتاب ، وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده إثنا عشر ألف كتاب .

وكتبوا له كتاباً يقول ( بسم الله الرّحمن الرّحيم إلى الحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين أما بعد فحيّ هلا فإن النّاس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك ، فالعجل ثم العجل العجل والسّلام ).

---

[1] - سيرة الأئمة الأثنى عشر ، هاشم معروف الحسني الجزء الثاني ص ٥٧.

ثم كتب له أشراف القوم شبث بن ربعي وحجّار بن أبجر ويزيد ابن الحارث وعروة بن قيس وعمرو بن حجاج ومحمد بن عمرو التميمي : (أما بعد فقد اخضرّ الجناب وأينعت الثمار وأعشبت الأرض وأورقت الأشجار فإنما تقدم على جند لك مجندة والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبلك).

وتلاقت الرّسل كلها عنده ، فقرأ الكتب وسأل الرّسل ثم أرسل لأهل الكوفة كتاباً وبعث لهم ابن عمه مسلم بن عقيل ليستطلع له الأمر .

وذهب مسلم إلى الكوفة وبايعه النّاس ، حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً ، فكتب مسلم إلى الحسين يخبره بذلك قبل أن يُغدر به وتحرك الحسين عليه السلام إلى العراق ، ثم كان ما كان .

إذن ، ما المبرر الشّرعي والسّياسي الّذي يجعل الحسين عليه السلام ممتنعاً عن إجابة طلب هذه الآلاف التي تلحّ عليه بطلب المجيء وإنقاذهم ؟

وهم لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا عيداً مع الوالي الأموي النّعمان بن بشير ؟

وهم جند مجنّدة للإمام ؟

ترى ماذا سوف يكون موقفه منهم ومن غيرهم ومن التاريخ عندما يقال له :

إنك تخلفت عن إجابة هؤلاء المسلمين الّذين اعلنوا انضمامهم إليك وأشهروا سيوفهم معك ؟ وأي سياسي يجد نفسه المعارض الوحيد الذي من الممكن أن يغيّر الوضع الفاسد ولا يستجيب ؟

أكان يحق له أن يقول لهم ( إنني لا أثق بكم ) ؟ على رغم هذه الكتب والرّسل وهم يعلنوها صريحة واضحة (( العجل العجل ثم العجل العجل )) وبأسمائهم وتواقيعهم الصّريحة ؟

ثم إن الإمام عليه السلام ، لم يتسرّع في الإجابة وإنما تمهل ريثما وردت الكتب أثر الكتب والرّسل أثر بعضهم ، ثم بعث ابن عمه مسلم بن عقيل ليستطلع الأمر ويكتب إليه ، وقد فعل ، وتحرك الإمام صوب العراق ولكن القوم غدروا بمسلم بن عقيل ، وتنصّل أصحاب الكتب ، وهو ما دعا الإمام يوم عاشوراء — وقد أحيط به — أن يوجه كلامه إلى أولئك يا شبث بن ربعي ويا حجار بن ابجر ويا قيس بن الأشعث ويا زيد ابن الحارث ، ألم تكتبوا إليّ : ان قد أيعنت الثمار واخضر الجناب وطمت الجمام وإنما تقدم على جند لك مجندة ، فأقبل ؟

قالوا له : لم نفعل

فقال : سبحان الله ، بلى والله لقد فعلتم ...

إذن فالكتب هذه ، كانت دافعاً قوياً للإمام الحسين عليه السلام إلى أن يستجيب لأصحابها ، عسى الله أن يحقق على يديه الإصلاح الّذي ينشده إذ يقول :

(( إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ،

فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ عليّ هذا اصبر حتى يحكم الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين )) .

## ولكن الصّادق عليه السلام لم توجّه إليه الكتب

الصّادق عليه السلام لم توجّه إليه كتب كهذه ، ولم تكن له دعوة كالتي كانت في الكوفة من الّذين يقولون إنهم مستعدون لإخراج النّعمان ابن بشير ليلحق بالشام ، متى ما علموا بتوجه الحسين إليهم ؟

نعم يذكر التاريخ محاورة جرت بين سدير الصّيرفي وبين الصّادق عليه السلام ، يقول فيها :

دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له : والله ما يسعك القعود .

قال : ولم يا سدير ؟

قلت : لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك ، والله لو كان لأمير المؤمنين مالك من الشّيعة والأنصار والموالي ، ما طمع فيه تيم وعدي .

فقال : يا سدير وكم عسى أن تكونوا ؟

قلت : مائة ألف

قال : مائة ألف ؟

قلت : نعم ومائتي ألف .

فقال : ومائتي ألف ؟

قلت : نعم ونصف الدّنيا .

قال : فسكت عني ، ثم قال : يخفّ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع ؟

قلت : نعم

فأمر بحمار ، وبغل أن يسرجا ، فبادرت فركبت الحمار .

فقال : يا سدير ترى أن تؤثرني بالحمار ؟

قلت : البغل أزين وأنبل .

قال : الحمار أرفق بي

فنــزل ، فركب الحمار ، وركبت البغل .

فمضينا ، فحانت الصّلاة ، فقال : يا سدير انزل بنا نصلي .

ثم قال : هذه أرض سبخة لا يجوز الصلاة فيها ، فسرنا حتى صرنا إلى أرض حمراء ونظر إلى غلام يرعى جداء[1] ، فقال: والله يا سدير لو كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود .

ونزلنا وصلينا ، فلما فرغنا من الصّلاة ، عطفت على الجداء فعددها فإذا هي سبعة عشر[2].

نحن لا نستبعد أن يكون للإمام الصّادق عليه السلام ، شــيعة بمســتوى العواطف مائتا ألف من المسلمين أو حتى نصف الدّنيا في ذلك الزّمــان ، ولكنهم متعاطفون فقط ، أما في الحروب والنّزال وقطع الأيدي والرّؤوس

---

[1] - الجداء جمع جدي ، وهو ولد الماعز في السّنة الأولى .
[2] - البحار الجزء ٤٨ ص ٣٧٢ نقلاً عن الكافي .

فإنهم ما أسرع ما ينسحبون ويقولون ( مالنا والدّخول بين السّلاطين ) . وقد كانت ماثلة أمامه قصة أهل الكوفة مع جده الحسين ومع عمه زيد ، كذلك أهل المدينة مع محمد بن عبد الله النّفس الزكية وآخرين ، إنها تدعوه إلى أن لا يثق بالعواطف ، فإنها إذا جدّ الجد تكون هباء .

ولا شك أنّ الإمام ، لم يكن يقصد أنه يريد لثورته سبعة عشر مؤيداً فقط ، ولكنه كان يريد منهم قادة بمعنى الكلمة ــ يحركون الأمة ، فلن يسعه القيام بحركة ضد دولة بني العباس[1] التي ضربت أطنابها في مشرق الدّنيا ومغربها بمفرده ، وإنما لا بدّ له من أعوان يحملون الفكرة أولاً ، ثم يقومون بعمل ثوري يطيح بدولة بني العباس الفتية .

هذا العدد ( ١٧ ) لم يكن يمتلكه الإمام . وما يعبأ بالتأييد والعواطف السّاخنة من مائة ألف أو مأتي ألف أو نصف الدّنيا ؟

ولقد رأينا كيف أن أهل الكوفة عندما تقاعسوا عن نصرة الحسين عليه السلام قال عنهم الفرزدق وهو يخاطب الإمام ( قلوبهم معك وسيوفهم عليك ) فلن تغير القلوب شيئاً إذا لم يكن يعزّزها السّيف .

## هذا كله كان أولاً

## أما ثانياً :

فهو الأختلاف بين حكام بني أمية أيام الحسين وحكام بني العباس أيام الصّادق .

---

[1] – عندما حدثت هذه القصة كانت دولة بني العباس قائمة وقد مرّ عليها عدد من السّنين.

ثم الأختلاف بين الأمة في الزّمانين أيضاً .

أما حكام بني أمية ـــ فقد كانوا يعلنون الفسق والفجور والخروج عن قيم الإسلام ابتداء من معاوية بن أبي سفيان إلى آخـــر ملـــك مـــن ملوكهم .

فمعاوية ـ وقد تسلم الحكم بعد صلح الحسن (عليه السلام) وورد الكوفة ـ خطب فيها وقال :

(( يا أهل الكوفة أتروني قاتلتكم على الصّلاة والزّكاة والحـــج ؟ وقد علمت انكم تصلون وتزكون وتحجون ، ولكني قـــاتلتكم لأتـــأمر عليكم وألي رقابكم وقد آتاني الله ذلك وانتم كارهون ، ألا أن كـــل دم أصيب في هذه مطلول وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين ))[1] .

يقصد بذلك الشّروط التي اشترطها للحسن (عليه السلام) في وثيقة الصّلح ، فهو سرعان ما أفصح عن مكنونه ووضع الشّروط تحت قدميه وهو ما لم يألفه المسلمون بعد ، فقد ألفوا أن يلتزم الإنسان بالشروط والعهود :

فالمؤمنون عند شروطهم .

﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾ ( النحل /٩١ ) .

﴿ الّذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾ ( الرّعد / ٢٠ ) .

﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾ . ( البقرة / ١٧٧ ) .

---

[1] - فتوح أعثم ج٤ ص ١٦١
وحياة الإمام الحسن للقرشي ج ١ ص ٢٦٢

إلى آخر ما هنالك من آيات وأحاديث .

فالمسلمون كانوا لا يزالون قريبي عهد برسول الله ( ص ) وسنته ، وكانوا أقرب إلى عهد أمير المؤمنين عليه السلام الّذي كان أحرص النّاس بعد رسول الله على الالتزام بالعهود والمواثيق وكل خصائص الإسلام .

وقد كان الفرق كبيراً جداً بين ما ألفوه وسمعوه من سيرة رسول الله وأمير المؤمنين وبين سيرة معاوية بن أبي سفيان .

## معاداة بني أمية للإسلام

إذا كان التحريف والتخريب الّذي سلكه معاوية قد انطلى على أهل الشّام ، لأنهم كانوا بعيدين عن حاضرة الإسلام ولأن معاوية قد احتجزهم لنفسه خلال مدة إمارته وخلافته فيهم التي تقرب من أربعين سنة [1] ، فإنه قد انكشف سافراً أمام أهل العراق الّذين عايشوا علياً وكثيراً

[1] - يقول المسعودي في كتابه مروج الذّهب الجزء الثالث ص٣١ وما بعدها في ذكره لمعاوية ... ( وبلغ من إحكامه للسياسة واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامه أن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين ، فتعلق به رجل من دمشق ، فقال : هذه ناقتي أخذت مني بصفين ، فارتفع أمرهما إلى معاوية ، وأقام الدّمشقي خمسين رجلاً بينة يشهدون أنها ناقته ، فقضى معاوية على الكوفي وأمر بتسليم البعير له .

فقال الكوفي : أصلحك الله ، إنه جمل وليس بناقة .

فقال معاوية : هذا حكم قد مضى ، ودسّ إلى الكوفة بعد تفرقهم فاحضره وسأله عن ثمن بعيره ، فدفع إليه ضعفه وبرّه وأحسن إليه ، وقال له : ابلغ علياً إني أقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين النّاقة والجمل ، وقد بلغ أمرهم في طاعتهم له إنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء وركنوا إلى قول عمرو بن العاص إن علياً←

من الصّحابة ، الّذين يستطيعون أن يميزوا بين الغثّ والسّمين وبين علـــي ومعاوية ، ولكنه الإرهاب الّذي سلطه عليهم ، والولاة الّذين اختـــارهم من سنخه الّذين مارسوا نفس سياسة معاوية في قطع الأرزاق عمن يوالي علياً أو يأتي بفضيلة له ، وكذلك إغداق الأموال لمـــن يفتـــري زوراً في فضيلة لعثمان وغيره مما يجعل نتيجته تصب في مصلحة معاوية نفسه .

واستطاع معاوية لكل تلك الجهود أن يبدّل الإسلام حتى لم يبق منه في آخر عهده إلا اسمه ومن القرآن إلاّ رسمه ، وإنما حافظ معاوية ومـــن جاء بعده على اسم الإسلام ، لأنهم كانوا يحكمون بإسم الإسلام .

---

←هو الّذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلـــى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصّغير ويهلك عليها الكبير ) .

وفي نفس المصدر ص ٣٣

( وقد كان عبد الله بن علي حين خرج في طلب مروان إلى الشّام وكان مـــن قصـــة مروان ومقتله ما قد ذكر ، ونزل عبد الله بن علي الشام ، ووجه إلي أبي العباس السّـــفاح أشياخاً من أهل الشّام من أرباب النّعم والرّياسة من سائر أجناد الشام فحلفوا لأبي العباس السّفاح إنهم ما علموا لرسول الله ص قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أميـــة حتـــى وليتم الخلافة ..... ) .

وبلغ من كبرياء معاوية وتملق النّاس له ولعطاياه كما ذكر ابن الأثير في كامله الجزء الثالث ص ٣٧٣ قال ( قدم أبو موسى الأشعري على معاوية في بـــرنس اســـود فقـــال : السّلام عليك يا أمين الله قال وعليك السّلام ، فلما خرج قال معاوية : قدم الشيخ لأوليّه ، والله لا أوليّه ) .

( وبلغ من خداع معاوية للعامة كما في المصدر السّابق ونفس الصّفحة أن دخل عليه وفد من أهل مصر ومعهم عمرو بن العاص ، فكان أول من دخل عليه رجل منهم يقال له ( ابن الخياط ) فقال : السّلام عليك يا رسول الله وتتابع القوم على ذلك ) .

وجاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي ، ص ٢٠٠ :

أول من احدث الأذان في العيد معاوية ، وأول من نقّص التكبير معاوية ، وأول مـــن اتخذ المقصورة بالجامع معاوية ....

ويكفي معاوية تأثيراً على أهل الشام أنه إستطاع أن يجعل من علي عليه السلام ، الّذي هـــو أول المسلمين وأخو رسول الله وابن عمه وزوج ابنته ، رجلاً خارجياً يلعن في صلواتهم تسعين سنة أو تزيد .

ونشأ نتيجة لذلك و ( لفكرة الإرجاء ) التي سوف نتكلم عنها إن شاء الله إسلام محرّف ينسجم تماماً مع رغبات معاوية ويختلف اختلافاً واسعاً عن الإسلام الّذي جاء به رسول الله محمد بن عبد الله ( ص ).

أليس معاوبة هو الّذي ألحق زياداً بأبي سفيان ؟

والرّسول يقول ، الولد للفراش وللعاهر الحجر .

أليس هو الّذي استعمل بن اثّال النّصراني على خراج حمص ، ولم يستعمل النّصارى أحدٌ من الخلفاء قبله ؟ [1]

أليس هو الذي قتل حجر بن عدي الكندي الصحابي ؟ وهو أول من قتل صبراً في الإسلام ؟[2]

أليس هو الّذي بايع ليزيد ؟ وأخذ البيعة من النّاس بالقوة ؟

## يزيد على سر أبيه معاوية

يزيد كان صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشّراب وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر النّاس شرب الشّراب ، وكان له قرد يكنّى بأبي قيس ، يحضره مجلس منادمته ويطرح له متكأ [3] وكان قرداً خبيثاً يحمله على أتان وحشية قد

[1] - تاريخ اليعقوبي جزء ٢ ص ٢٢٣ .
[2] - مروج الذهب ج ٣ ص ٣ .
[3] - المصدر السابق جزء٣ ص ٦٧ .

ريضت وذلّلت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة ، فجاء في بعض الأيام سابقاً فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشمّر ، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات الألوان بشقائق ، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملّمع بأنواع من الألوان .

فقال في ذلك بعض شعراء الشّام في ذلك اليوم :

تمسّك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمان

ألا من رأى القرد الّذي سبقت به جياد أمير المؤمنين أتان[1]

وقال آخر

يزيد صديق القرد ملّ جوارنا فحنّ إلى أرض القرود يزيد

فتباً لمن أمسى علينا خليفة صحابته الأدنون منه قرود [2]

وأرسل معاوية يزيد إلى الحج ، وقيل بل أخذه معه ، فجلس يزيد بالمدينة على شراب فاستؤذن عليه لعبد الله بن العباس والحسين بن علي ، فأمر بشرابه فرفع ، وقيل له : إنّ ابن عباس إن وجد ريح شرابك عرفه ، فحجبه وأذن للحسين ، فلما دخل وجد رائحة الشّراب مع الطّيب ، فقال : ما هذا يا ابن معاوية ؟

[1] - المصدر السّابق جزء ٣ ص ٦٨

[2] - أنساب الأشراف جزء ٤ .

فقال : يا أبا عبد الله هذا طيب يصنع لنا بالشام ، ثم دعا بقدح فشربه ، ثم دعا بقدح آخر ، فقال : اسق أبا عبد الله يا غلام .

فقال الحسين : عليك شرابك أيها المرء

فقال يزيد :

إلاّ يا صاح للعجب دعوتك ثم لم تجب
إلى القينات واللذّات والصّهباء والطّرب
وفيهن التي تبلت فؤادك ثم لم تتب

فوثب الحسين عليه وقال : بل فؤادك يا ابن معاوية تبلت [1] .

وحج معاوية وحاول أن يأخذ البيعة لابنه يزيد من أهل مكة والمدينة فأبى عبد الله بن عمر وقال : نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ويشرب الخمر ويظهر الفسوق ، ما حجتنا عند الله ؟

وقال ابن الزّبير : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وقد أفسد علينا ديننا وقال له الحسين : كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان احتويته لعلم خاص ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد في ما اخذ من استقرائه للكلاب المهارشة عند التهارش والحمام السبق لأترابهن ، والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصراً ودع عنك ما تحاول .

[1] – تذكرة خواص الأمة ص ١٦٤ كما نقلها السيد مرتضى العسكري في معالم المدرستين ج ٣ ص ٢٣ .

وليزيد قصيدة يقول فيها :

عليّة هاتي وأعلني وترنّحي ... بذلك إني لا أحب التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً سما بها ... إلى أحدٍ حتّى أقام البواكيا
ألا هات سقّيني على ذاك قهوة ... تخيّرها العنسيُ كرماً شآميا
إذا ما نظرنا في أمور قديمةٍ ... وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن متّ يا أم الأحيمر فانكحي ... ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإن الّذي حدثتِ عن يوم بعثنا ... أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولا بدّ لي من أن أزور محمداً ... بمشمولةٍ صفراء تروي عظاميا [1]

فيزيد في قصيدته هذه ينبئ عما في نفسه ويفتخر بأبي سفيان الّذي أقام البواكي في أحد حيث قتل حمزة وأما البعث فهو أساطير طسم ، ثم يستهزئ بمحمد ولا بدّ من أن يلقاه بخمرة تروي عظامه ...

وروى صاحب الأغاني وقال : كان يزيد بن معاوية أول من سنّ الملاهي في الإسلام من الخلفاء وآوى المغنين واظهر الفتك وشرب الخمر وكان ينادم عليها سرجون النّصراني مولاه والأخطل الشّاعر النّصراني .

وكان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشّراب والاستهتار بالغناء واتخاذ القيان والغلمان والتفكه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والدّيكة[2] .

[1] - تذكرة خواص الأمة ص ١٦٤ .
[2] - الأغاني ١٦/٦٨ .

كان هذا يزيد ، خليفة رسول الله زوراً وبهتاناً ، بل خليفة معاوية ابن أبي سفيان لم يدخر وسعاً في تحريف الإسلام وتحريف العقول واللّعب بها ، والّذي تنبئ الحوادث ، إذا تتبعها الإنسان بدقة ـــ إنـــه لم يـــدخل الإسلام إقتناعاً ، وإنما دخل رغبة في الدّنيا التي وجدها قد دانت لرسول الله ص ورهبة من سيوف المسلمين الّذين سيطروا على الجزيرة العربيـــة وفتحوا مكة ...

فأي مجال يبقى لمعاوية ولأبيه أبي سفيان ...

لو امتنعا عن الدّخول في الإسلام ؟

## أبو سفيان

أما أبو سفيان فيقول عنه العباس عم رسول الله ص يوم فتح مكة ، إنه أي ( العباس ) جلس على بغلة النبي ص ، وقال أخـــرج إلى الأراك لعلّي أرى حطاباً أو رجلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رســـول الله (ص) فيأتونه ويستأمنونه .

قال : فخرجت أطوف في الأراك ، إذ سمعت صوت أبي ســـفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي ، قد خرجوا يتحسسون الخبر فقال أبو سفيان :

ما رأيت نيراناً قط أكثر من هذه[1] .

فقال بديل : هذه نيران خزاعة .

[1] – وهي النّيران التي كانوا يطبخون عليها ، وكثرتها تدل على كثرة الجيش الإسلامي .

فقال أبو سفيان : خزاعة أذل من ذلك .

فقلت : يا أبا حنظلة ( وهي كنية أبي سفيان ) .

فقال : أبو الفضل .

قلت : نعم

قال : لبيك ، فداك أبي وأمي ما وراءك ؟

فقلت : هذا رسول الله ﷺ في المسلمين أتاكم في عشرة آلاف .

قال : ما تأمرني ؟

قلت : تركب معي فأستاذن لك رسول الله ( ص ) فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك .

فردفني ، فخرجت ، أركض به نحو رسول الله ( ص ) فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ونظروا إليّ يقولون : عم رسول الله على بغلة رسول الله ( ص )[1] فذهبت به إلى رسول الله ( ص ) وقلت له : يا رسول الله ، إني قد أجرته .

فقال : رسول الله ( ص ) اذهب فقد أمنّاه حتّى تغدو علي به بالغداة .

فرجعت به إلى منزلي ، فلما أصبح غدوت به على رسول الله (ص) فلما رآه .

---

[1] – الظّاهر إن المسلمين كانوا يراقبون المنطقة بصورة دقيقة خوفاً من دخول الأعداء ، وتوجسوا خيفة من هذين الشخصين القادمين ، وعندما وجدوا عم رسول الله يركب بغلة رسول الله اطمأنوا ...

قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟

قال : بلى بأبي أنت وأمي ، لو كان مع الله غيره ، لقد أغنى عني شيئاً .

فقال : ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟

فقال : بأبي أنت وأمي ، أما هذه ففي النّفس منها شيء .

قال: العباس، فقلت له: ويحك اشهد شهادة الحق، قبل ــ والله ــ أن تضرب عنقك[1] .

قال : فتشهد واسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء .

فقال رسول الله ( ص ) للعباس : اذهب فاحبس أبا سفيان عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتّى تمر عليه جنود الله .

فقلت : يا رسول الله إنه يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه

فقال : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن غلق بابه فهو آمن فحبسته عند خطم الجبل ، فمرّت عليه القبائل .

فيقول : من هؤلاء ؟

فأقول : أسلم[2] ، فيقول : ما لي ولأسلم ، ويقول من هؤلاء ؟

---

[1] - فقد كان أبو سفيان محكوماً بضرب العنق لأنه كان من أعدى أعداء الإسلام في بدر وأحد وغيرهما ، أما حينما يسلم ، فإن الإسلام يجبّ ما قبله ، خيّر أبو سفيان نفسه بين أن يبقى على عدائه ومعنى ذلك ضرب العنق وبين أن يعلن الإسلام بكلمات يحركها لسانه فيعفى من القتل ، فلم يجد مندوحة من ذلك ، فقالها واضمر الكفر .....

[2] - أي قبيلة أسلم

فأقول : جهينة ، فيقول : مالي ولجهينة .

حتى مرّ رسول الله (ص) في كتيبته الخضراء مع المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلاّ الحدق .

فقال : من هؤلاء ؟

فقلت : هذا رسول الله ( ص ) في المهاجرين والأنصار .

فقال : ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَل ولا طاقة ، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً .

فقلت : ويحك إنها النّبوة [1] .

إذن أبو سفيان دخل الإسلام وهو يرى إنّ ذلك كله هو ( الملك ).

وإذا كان أبو سفيان قد اسلم مضطراً ، فإنه كانت تصدر منه بعض التصريحات التي تنبئ أنه لا يزال على جاهليته ، فقد روى الجوهري :

( إنه لما بويع لعثمان ، قال أبو سفيان : كان الأمر في تيم وأنّى لتيم هذا الأمر ثم صار لعدي فأبعد وأبعد ثم رجعت لمنازلها واستقر الأمر قراره فتلقفوها تلقف الكرة ) .

وقال لعثمان يوماً بابي أنت وأمي ، أنفق ولا تكن كأبي حجـــر ، وتداولوها يا بني أمية تداول الولدان الكرة ، فوالله ما من جنة ولا نار .

وكان الزّبير حاضراً ، فقال عثمان لأبي سفيان أغرب .

فقال أبو سفيان يا بني أههنا أحد[2]؟

---

[1] – ابن الأثير الجزء الثاني ص ١٢١ و ١٢٢ في حوادث سنة ٨ للهجرة

[2] – حيث كان أبو سفيان أعمى آنذاك .

فقال الزبير نعم والله لا كتمتها عليك[1] .

## كيد معاوية للإسلام

معاوية أيضاً دخل الإسلام يوم دخل أبوه ، وإذا كان أبو سفيان يرى ذلك ملكاً ، فإن معاوية يرى إن محمداً ( ص ) الرّجل الهاشمي ، إنما هو ملك أستطاع بقوته وقوة أنصاره أن يحكم ردحاً من الزمن ، وإن باستطاعة معاوية نفسه أن يغلبه في ذلك فيسلبه الملك والدّولة ...

جاء في كتاب الموفقيات للزّبير بن بكار الزّبيري عن رجاله ، قال : قال مطرف ابن المغيرة بن شعبة : وفدت مع أبي المغيرة على معاوية وكان أبي يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب بما يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة وظننت أنه لشيء حدث فينا وفي عملنا .

فقلت : ما لي أراك مغتماً منذ اللّيلة ؟

فقال : يا بني جئت من عند أخبث النّاس

قلت : وما ذاك .

[1] - النظام السّياسي في الإسلام / ص ١٧٩ / المحامي أحمد حسين يعقوب .

قال : قلت له وخلوت به ، إنك قد بلغت سناً فلو أظهرت عـــدلاً وبسطت خيراً ، فإنك قد كبرت ، ولو نظرت إلى اخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه .

قال : هيهات هيهات ، ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره ، إلاّ أن يقول قائل : أبو بكر .

ثم ملك أخو بني عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين فوالله ما عـــدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل : عمر .

ثم ملك عثمان فهلك رجل لم يكن أحد في مثل سنه وفعل ما فعل وعمل ما عمل ، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به .

وإن أخا بني هاشم ، يصاح به في كل يوم خمس مرات (( أشهد أن محمداً رسول الله )) فأي عمل بعد هذا لا أم لك ، لا والله إلاّ دفناً دفنا[1] .

وسمع معاوية المؤذن يقول ( أشهد أنّ محمداً رسول الله ) فقال : لله أبوك يا ابن عبد مناف ، لقد كنت عالي الهمة ، ما رضيت لنفسك إلاّ أن تقرن اسمك باسم رب العالمين[2] .

هذا هو معاوية وهكذا كان أبوه أبو سفيان ، وهكذا نشأ يزيـــد (ذرية بعضها من بعض) يكيدون للإسلام متى ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

و لم يخف يزيد حقده على الإسلام ـــ إن لم نقل كفره ـــ يوم جيء إليه برأس الحسين عليه السلام ، فكان يضرب ثناياه بالقضيب ويقول :

---

[1] - البحار جزء ٣٣ ص ١٦٩ .
[2] - المصدر السّابق ص٢٠٢

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل[1]

لسنا نريد أن ننساب في مثالب بني أمية ، فهي لا تحصى ، وما ذكرناه إنما هو النّزر اليسير من معاوية ويزيد ، وهو واضح في عدائهم للإسلام وبغضهم الجاهلي ، منذ جدهم عبد شمس مع هاشم، وأبي سفيان مع رسول الله ( ص ) وهند مع الحمزة ...

فقد كانوا يتحينون الفرص للكيد للإسلام والثأر لقتلاهم يوم بدر .

وإنما أردنا أن نقول : إن بني أمية كانوا يعلنون الفسق والفجور وربما الكفر والكيد للإسلام ، وهو ما جعل الأمة الإسلامية تنفر منهم وتدرك أنهم غير مؤهلين البتة لخلافة رسول الله ( ص ) .

## سياسة بني العباس

أما حكام بني العباس ، فإنهم وإن كانوا لا يمتنعون عن الفسق والفجور ، ولكنهم كانوا يخشون الأمة وفقهاءها ، فيرتكبون ذلك سراً .

ففي حين كانت أول خطبة لمعاوية بعد الصّلح مع الحسن عليه السلام قوله (( جئت لأتأمر عليكم وكل شرط شرطته للحسن فهو تحت قدمي))[2] وهو خروج واضح عن القيم الإسلامية في الوفاء بالشروط ، وإنه استهتار بالدين وإعلان بالفسق .

[1] - الأئمة الإثنا عشر ص ١٠٦ / عادل الأديب نقلاً عن نثر اللّئالي على نظم الدرراري للآلوسي .
[2] - فتوح أعثم ج٤ ص ١٦١

نجد أن أبا العباس السّفاح في خطبته الأولى في مسجد الكوفة هكذا: خطب وصلى بالناس .

ثم صعد المنبر حين بويع له بالخلافة ، فقام في أعلاه ، وصعد عمه داوود بن علي فقام دونه ، فتكلم أبو العباس ، فقال :

## أول خطبة للسّفاح في الكوفة

الحمد لله الّذي اصطفى الإسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا ، فأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذّابين عنه والنّاصرين له ، فألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصّنا برحم رسول الله ( ص ) وقرابته ، وأنشأنا من آبائنا وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته ، جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا حريصاً علينا بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرّفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم ، فقال تبارك وتعالى فيما أنزل من محكم كتابه ﴿ وانذر عشيرتك الأقربين ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما يريد أن يذهب عنكم الرّجسَ أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ وقال تعالى ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾ وقال ﴿ وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى ﴾ وقال ﴿ واعلموا أنما غنتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى

واليتامى ﴾ فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا واوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلاً علينا والله ذو الفضل العظيم .

وزعمت الشّامية[1] الضّلاّل أن غيرنا أحق بالرياسة والسّياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم . أيها النّاس بنا هدى الله النّاس بعد ضلالتهم وبصّرهم بعد جهالتهم وانقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق ودحض الباطل وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً ورفع الخسيسة وتمّم بنا النّقيصة وجمع الفرقة حتى عاد النّاس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمساواة في دنياهم واخواناً على سرر متقابلين في آخرهم ، فتح الله ذلك منة وبهجة لمحمد ( ص ) ، فلما قبضه الله إليه وقام بالأمر بعده أصحابه وأمرهم شورى بينهم حووا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها وخرجوا خماصاً منها .

ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها بما ملأ الله حيناً حتى آسفوه ، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا وردّ حقنا وتدارك بنا امتنا وولي نصرنا والقيام بأمرنا ، ليمن بنا على الّذين استضعفوا في الأرض ، وختم بنا كما افتتح بنا .

وإني لأرجو أن لا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصّلاح ، وما توفيقنا أهل البيت إلاّ بالله .

[1] - أي أهل الشام وهم بنو أمية

يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنــزل مودتنا، أنتم الّذين لم تتغيروا عن ذلك و لم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركـتم زماننـا وأتاكم الله بدولتنا ،فأنتم أسعد النّاس بنا وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم في اعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا ، فأنا السّفاح المبيح الثائر المنيح.

وكان موعوكاً ، فاشتد عليه الوعك ، فجلس على المنبر .

## خطبة عم السّفاح داود بن علي

وقام عمه داود على مراقي المنبر فقال :

الحمد لله شكراً ، الذي أهلك عدونا وأصار إلينا ميراثنا من نبينـا محمد ( ص ).

أيها الناس .... الآن أقشعت حنادس الدّنيا وانكشـف غطاؤهـا وأشرقت أرضها وسماؤها وطلعت الشّمس من مطلعها وبزغ القمر مـن مبزغه وأخذ القوس باريها وعاد السّهم إلى منــزعه ورجـع الحـق إلى نصابه في أهل بيت نبيكم أهل الرّأفة والرّحمة بكم والعطف عليكم .

أيها النّاس ... إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لجيناً ولا عقياناً ولا نحفر نهراً ولا نبني قصراً وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا والغضب لبني عمنا وما كرهنا من أموركم . فلقد كانت أموركم ترفضنا ونحن على فرشنا ويشتد علبنا سوء سيرة بني أمية فيكم واستذلالهم لكـم واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم لكم ذمـة الله تبـارك

وتعالى وذمة رسوله (ص) وذمة العباس رحمه الله علينا أن نحكم فيكم بما انزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله ص تباً تباً لبني حرب بن أمية وبني مروان ، آثروا في مدهم العاجلة على الآجلة والدار الفانية على الدار الباقية ، فركبوا الآثام وظلموا الأنام وانتهكوا المحارم وغشوا بالجرائم وجاروا في سيرتهم في العباد وسنتهم في البلاد ومرحوا في أعنة المعاصي وركضوا في ميدان الغي جهلاً باستدراج الله وأمناً لمكر الله ، فأتاهم بأس الله وهم نائمون ، فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق فبعداً للقوم الظالمين ، وأدالنا الله من مروان وقد غره بالله الغرور ، أرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه وظن عدو الله أن لن نقدر عليه فنادى حزبه وجمع مكايده ورمى بكتائبه فوجدوا أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله وجعل دائرة السوء به وأحيا شرفنا وعزنا ورد إلينا حقنا وإرثنا .

أيها النّاس ... إن أمير المؤمنين نصره الله نصراً عزيزاً إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة لأنه كاره أن يخلط بكلام الجمعة غيره وإنّما قطعه عن إستتمام الكلام شدة الوعك ، فادعوا الله لأمير المؤمنين بالعافية فقد بدّلكم الله مروان عدو الله وخليفته الشّيطان المتبع السّفلة الّذين أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها بإبدال الدّين وانتهاك حريم المسلمين الشّاب

المكتمل المتمهل المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار الّذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى ــ فضج النّاس بالدعاء ــ .

ثم قال : يا أهل الكوفة إنا والله مازلنا مظلومين ومقهورين على حقنا حتى أباح الله لنا شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا وأبلج حجتنا وأظهر بهم دولتنا وأراكم الله ما كنتم تنتظرون ، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم وبيض به وجوهكم وأدالكم على أهل الشّام ونقل إليكم السّلطان وأعزّ الإسلام ومنّ عليكم بإمام منحه العدالة وأعطاه حسن الإيالة ، فخذوا ما أتاكم الله بشكر وألزموا طاعتنا ولا تخدعوا عن أنفسكم ، فإن الأمر أمركم وأنّ لكل أهل بيت مصراً وأنكم مصرنا ، ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ( ص ) إلاّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد ، وأشار بيده إلى أبي العباس السّفاح ، واعلموا أنّ هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتّى نسلّمه إلى عيسى ابن مريم عليه السلام ، والحمد لله ما أبلانا وأولانا [1].

ومن هذه الخطبة الطّويلة نستطيع أن نكتشف براعة أبي العباس ومن بعده عمه داود بن علي في دغدغة عواطف النّاس ، وهم يعلمون أن النّاس يميلون بطبعهم لأهل البيت ، فهم الملجأ خصوصاً بعد ما رأوا انحراف حكام بني أمية وعمالهم في البلاد .

١- إبن الأثير الجزء٥ ص ٦٦ وما بعدها .

ففي حين كانت أول خطبة لمعاوية عندما دخل الكوفة يقول بها إنه جاء ليتأمر عليهم ، نجد أن أبا العباس يستشهد بالقرآن وبالآيـــات الـــتي تخص أهل البيت ، ويتكلم وكأنه هو وبنو أبيه المقصودون بآيات أهـــل البيت وأنهم المستضعفون الّذين يريد الله أن يجعلهم أئمة وارثين .

ثم ينتقد سيرة بني أمية ، ويوعد أهل الكوفة بأنه سوف يسير كمـــا يريد الله ورسوله .

أما داود ، فيبدو أنه أكثر حنكة وذكاء ( إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أباح الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا وأبلج بهم حجتنا .. إلخ ) ثم ينهي كلامه بأن دولتهم سوف تستمر حتى يسلموها إلى عيسى ابن مريم .

# تحرّكَ العباسيون باسم أهل البيت

والعباسيون منذ بداية دعوتهم إلى بداية دولتهم كانوا يتحركون باسم الرّضا من أهل البيت، وهي فرية انطلت على أغلب النّاس آنذاك ، بل وعلى كثير من القواد العسكريين أيضاً الّذين كانوا يحاربون بني أمية .

ولم يظهروا نواياهم في الكوفة إلاّ في خطبة داود عم أبي العباس (ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله ( ص ) إلاّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد واشار بيده إلى أبي العباس السّفاح ) .

وإنها إلتفاتة ذكية منه أنْ ربط بين أبي العباس وعلي بن أبي طالب حيث قرن هذا بذاك وكأنهما في العمل للإسلام سواء .

وليس بعيداً أن يكون أبو العباس وعمه داود قد تشاطرا الكلام واتفقا عليه قبل البدء به ، فقد استطاعا أن يوجها أنظار النّاس وأفكارهم إلى أنهم الّذين أوصى بهم رسول الله ( ص ) من أهل بيته .

وبناء على هذا ، فإن أية محاولة إنقلابية على بني العباس ، خصوصاً في أيامهم الأولى تكون من الصّعوبة بمكان .

فالدعوة كانت لأهل البيت والخطب بإسم الإسلام ، وثناء على الله ورسوله وشكراً على عودة الحق إلى أهله .

فهل يتعاطف النّاس على الإنقلاب على هذه التوجهات الجديدة ؟؟

ولو قبل الإمام الصّادق عليه السلام دعوة أبي سلمة الخلال لحصلت بدون أدنى شك معارك بين الصّادق ، أو بين العلويين وأبناء عمهم العباسيين ، وسوف يكون أول الخاسرين هم العلويون ومن ثم العباسيون ولعل المستفيد الوحيد هم بنو أمية ، حيث سوف تطول مدة حكمهم ... ومروان الحمار كان إلى ذلك الوقت لا يزال حيا.

## الوضع الخاص للعلويين

ثم إن العلويين لم يكونوا متحدين فالإمام الصّادق عليه السلام وإن كان شيخهم ، ولكن بعضهم كان يختلف معه ويميل لبني العباس ، وربما كان يميل بعضهم إلى بني أمية [1] بل ربما كان بعضهم يكيد له لدى أعدائه ، فالدنيا تؤثر فيهم كما تؤثر في غيرهم .

---

[1] - ينقل الشيخ الطّوسي في كتاب الغيبة ص ١٢٨ عن رسالة مولاة أبي عبد الله الصّادق قالت : كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام حين حضرته الوفاة ، وأغمي عليه ، فلما أفاق قال : أعطوا الحسن بن علي بن الحسن وهو الأفطس سبعين دينارا ، وفلانا كذا وفلانا كذا ، فقلت : أتعطي رجلا حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك ؟ قال : تريدين أن لا أكون من الّذين قال الله عز وجل ( والّذين يصلون ما امر الله أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ) نعم يا سالمة إن الله خلق الجنة فطيّبها وطيّب ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة ألفي عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم .

ونقل صاحب عمدة الطّالب ص٥٤ إن زيد بن الحسن بن علي عليه السلام كان يتولى صدقات رسول الله ( ص ) وتخلف عن عمه الحسين ولم يخرج معه على العراق وبايع بعد قتل عمه عبد الله بن الزّبير ، لأن أخته كانت تحته فلما قتل عبد الله اخذ زيد بيد أخته ورجع إلى المدينة ، وإبنه الحسن بن زيد كان أمير المدينة من قبل الدّوانيقي وعينا له على غير المدينة وكان مظاهرا لبني العباس على بني عمه الحسن المثنى وهو أول من لبس السواد من العلويين ...

والأمثلة كثيرة نكتفي بما ذكرناه ...

وحتى لو اتحد العلويون بقيادة الصّادق عليه السلام فإنه سوف يسلك في دعوته سلوك جده علي بن أبي طالب ، والعباسيون سوف يسلكون نفس السّلوك الّذي اتبعه معاوية بن أبي سفيان ، حيث كان يشتري النّاس بالأموال كما كان يغدر ويفجر .

والإمام علي بن أبي طالب كان يقول ( والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر كنت من أدهى النّاس ، ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة[1] .

## موقف الإمام الصّادق عليه السلام

وإذا كان الصّادق عليه السلام قد سالم العباسيين وتحمّل منهم وأهل بيته وشيعته كل تلك المحن ، فكيف سيكون مصيرهم لو كانوا قد دخلوا مع بني العباس في حرب خاسرة ، وسوف لا تكون الويلات عليهم خاصة وإنما سوف تشمل الشّيعة والتشيع قروناً ، لا يعرف مداها إلاّ الله ، وإذا كانت بعض الفترات التي انتعش فيها الإسلام وانتشر على منبر الكوفة من قبل الإمام الصّادق نفسه وكذلك الفترة القصيرة التي تولى فيها حفيده الرّضا عليه السلام ولاية العهد والتي أعطت بمجموعها زخماً لقوة انتشار التشيع كل ذلك لم يكن ليحصل .

[1] - البحار جزء ٣٣ ص ١٩٧

ولا شك أن موقف الصّادق عليه السلام كان حكيماً جداً عندما رفـض الدّعوة وقال إلى عبد الله بن الحسن ( أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان ؟ وأنت أمرته بلبس السّواد ؟ وهؤلاء الّذين قدموا العراق ، أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم ؟ وهل تعرف منهم أحداً ؟ ) .

# معاوية الأموي وهارون العباسي
# يتفقان في الهدف ويختلفان في الأسلوب

ولعل بني العباس أدركوا أن طريقة بني أمية في الإعلان عن محاربة الإسلام ومقدسات المسلمين هي التي عجلّت في تقويض دولتهم ، فاتخذوا أسلوباً آخر يحقق لهم نفس الغرض ولكن بدون صخب وضوضاء

وأذكر هنا قصة ، ليتبيّن لنا الفرق بين أسلوب معاوية في انتقاض العهد وبين أسلوب هارون الرّشيد ، فكلاهما انتقض العهد ولكن لكل منهما أسلوباً .

فأسلوب معاوية هذا الّذي قرأناه قبلاً .

ولنستمع إلى أسلوب هارون الرشيد العباسي منقولاً من كتابنا (الهجرة واللّجوء) ص ٦١ وما بعدها بقليل من التصرف .

كان يحيى بن عبد الله بن الحسن قد ثار على هارون الرّشيد عام/١٧٦ في منطقة الدّيلم ، فأرسل له هارون يعطيه الأمان له ولسبعين من أصحابه في عهد مكتوب مع هدايا وجوائز .

فقبل يحيى بن عبد الله ذلك وجاء إلى بغداد ، واستقبله هارون نفسه ثم أراد هارون أن ينقض العهد ويقتل يحيى ، فعرض كتاب الأمان على محمد بن الحسن الفقيه ، فقال محمد : الأمان صحيح .

ثم عرضه على القاضي ابن البختري ، فقال أبو البختري : هذا أمان منتقض من وجه كذا ، فمزقه الرّشيد .

والمبرر الّذي كان يتوخاه الرّشيد ليس من النّاحية الشّرعية ، فالذي يسمّ الإمام موسى بن جعفر لا يتورع عن قتل يحيى بن عبد الله ، ولكنه كان يريده أمام الملأ ، لئلاّ يقول أحد من العلويين وغيرهم في يوم من الأيام ، إنّ هارون نكل بوعده ولذلك بدأ يبحث عن مخرج من العهد .

كنا قد ذكرنا في صدد الأسباب الّتي دعت الحسين عليه السلام لأن يقوم بثورته في وجه بني أمية مما لم يتهيأ للصّادق عليه السلام من بعده :

١- ورود الكتب عليه من العراق

٢- والإختلاف بين حكام بني أمية وبني العباس ، ومن ثم الاختلاف بين الأمة في الزمانين. وقد تكلمنا عن الاختلاف بين الحكام .

أما الأمة في أيام بني أمية فقد كانت قريبة عهد بسيرة رسول الله وعلي ، وكان النّاس يستطيعون أن يميزوا بين الحق والباطل ، وخصوصاً أيام الحسين عليه السلام ، إذ لم يكونوا بعد قد بعدوا عن عهد الرّسالة وخلافة علي وكان فيهم من عاصر الرّسول ، والحسين منهم ، كما كان فيهم جيل التابعين ، وكان من السّهل عليهم أن يدركوا رسالة الإسلام ورسالة بني أمية ويميّزوا بين تعاليم أهل البيت وتعاليم أعدائهم .

وكان حكام بني أمية لا يألون جهداً في طمس حقائق الإسلام وإبعاد المسلمين عن التوجه إلى أهل البيت عليهم السلام ، فقد سنّ معاوية سبّ

علي طيلة حكم بني أمية ، عدا فترة لا تتجاوز السّنتين أيام عمر بن عبد العزيز .

جاء في شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد الجزء ٤ ص ٦١ :

(( ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي إنّ معاوية وضع قوماً من الصّحابة وقوماً من التّابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السّلام تقتضي الطّعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب فيه مثله ، فاختلقوا ما أرضاه ، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة ابن شعبة ومن التابعين عروة أبن الزّبير )) .

وكتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة :

(( أن برئت الذّمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته .

وكان أشد النّاس بلاء حينئذٍ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام ، فاستعمل عليم زياد بن سمية وضمّ إليه البصرة فكان يتتّبع الشّيعة وهو بهم عارف ، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النّخل وطردهم وشردهم عن العراق ، فلم يبق بها معروف منهم))

# معاوية يحرّف الرّوايات ويخترعها

كتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق :

(( ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة )) .

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان :

(( أنظروا من قامت عليه البينة إنه يحب علياً وأهل بيته فأمحوه من الدّيوان واسقطوا عطاءه ورزقه ، وشفّع ذلك بنسخة أخرى : من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره ))[1] .

وحينما استولى معاوية على العراق نقل بيت المال من الكوفة إلى دمشق وزاد في جرايات أهل الشّام وحطّ من جرايات أهل العراق[2] وقد أوضح فلسفته في جمع المال بقوله :

(( الأرض لله وأنا خليفة الله ، فما أخذ من مال الله فهو لي وما تركته كان جائزاً لي )) والمأخذ الدّائم الّذي يؤخذ على الأمويين هو أنهم كانوا أصولاً وفروعاً أخطر أعداء النّبي ( ص ) وأنهم اعتنقوا الإسلام في آخر ساعة مرغمين ، ثم أفلحوا في أن يحوّلوا إلى أنفسهم ثمرة حكم الدّين أولاً بضعف عثمان ، ثم بحسن استخدام نتائج قتله هذا .

---

[1] - شرح نهج البلاغة ج١١ ، ص ٤٤و٤٦

[2] - زيدان | التمدن الإسلامي ، ج٤ ، ص ٧٩-٨٠ .

وأملهم يفقدهم فرية زعامة أمة محمد ( ص ) ومن المحن التي بلي بها حكم الدّين أنهم أصبحوا قائمين عليه ، مع أنهم كانوا وما فتئوا مغتصبين لسلطانه [1].

واستمر معاوية في اختلاق الرّوايات في ذم علي ثم في فضائل عثمان ثم في الصّحابة ...

كتب إلى عماله في كل مكان :

أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه والّذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا إليّ بكل ما يروي كل رجل منهم وأسمه وأسم أبيه وعشيرته .

ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه معاوية إليهم من الصّلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي ، فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدّنيا ، فليس يجيء أحد مردود من النّاس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلاّ كتب اسمه وقرّبه وشفّعه ، فلبثوا بذلك حيناً [2] .

وروى أبو هريرة عن رسول الله ( ص ) كاذباً متجرئاً (( إن الله إئتمن على وحيه ثلاثاً أنا وجبرئيل ومعاوية )) .

---

[1] – ولها وزن : الدّولة العربية ، ص ٥٣
[2] – ثورة الحسين ( محمد مهدي شمس الدّين ) ص ١٠٨

وإن النبي ( ص ) ناول معاوية سهماً فقال له (( خذ هذا حتى تلقاني في الجنة )) .

وروى أيضاً (( أنا مدينة العلم وعلي بابها ومعاوية حلقتها )) [1] .

فأي تخريب هذا الّذي يقوم به المسمى بأمير المؤمنين في تشجيع النّاس على الكذب على الله تعالى ورسوله ( ص ) والافتراء والانتحال والتزوير .

يمنع قوماً رزقهم لأنهم يحبون علياً ويعطي ويهب لمن يكذب ويفتري.

والنّاس عبيد الدنيا وعبيد المال ، والنّاس غالباً ما يكونون على دين ملوكهم فكيف إذا كان ذلك خليفة رسول الله وهو يشجعهم على الكذب والافتراء ﴿ والنّفس أمارةٌ بالسوء إلاّ ما رحِم ربي ﴾ .

هكذا كان دأب آل أمية في التاريخ ﴿ كدأب آل فرعون والّذين من قبلهم كذبوا بآيات الله ﴾ .

كان هذا نموذجاً مصغراً لما شاهدته الأمة وعاصرته أيام بني أمية ، وهي الأمة نفسها التي عاصرت علياً عليه السلام الّذي كان لاتأخذه في الحق لومة لائم وكان لا يحابي في العطاء حتى لو كان أخاه ، كما فعل مع اخيه عقيل وتركه وذهب إلى معاوية ، ذلك هو علي الّذي كان له هدف لا يحيد عنه أبداً وهو تطبيق الإسلام الّذي جاء به رسول الله ( ص ) ولا

---

[1] - ثورة الحسين ( محمد مهدي شمس الدّين ) ص ١١٢

يداهن في ذلك ولا يرتضي ظلماً حتى لو كان فيه حياته ، وبالفعل قـدّم حياته لذلك يوم ضربه عبد الرّحمن بن ملجم وقال ( فزت وربّ الكعبة )

ثم ذلك هو معاوية الّذي كان له هدف أيضاً لا يحيد منه أبداً هـو التحكم والسيطرة على المسلمين والتسمّي بإمرة المؤمنين زوراً وبهتانـاً ، وأنشأ جيلاً فتح عينه على الكذب ليعيش وعلى الإفتراء على رسـول الله (ص) من أجل الجاه والدنيا .

وربما نستطيع أن نقول إن أهل الشّام كانوا مخدوعين بمعاوية وسياسة معاوية وأحاديث معاوية ومرتزقته ومن بعده بإبنه يزيد لأنهم استطاعوا أن يروّضوهم لذلك ليروا الزّور والبهتان ديناً وشرعة ولكن الأمصار الأخرى وخصوصاً العراق فإنهم إذا استكانوا لمعاوية وليزيد فللظلم الّذي كان قد فرض عليهم وسياسة الإرهاب وقطع الأرزاق ولكنهم كانوا يـدركون الحق ولا ينتصرون له ، ومتى امنوا السّلطان ثاروا وانتقموا، كما فعلوا بعد الحسين في ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي وسليمان بن صرد الخزاعي. تلك كانت حالة الأمة أيام بني أمية وبالذات يوم ثار الحسين عليه السلام .

أما الأمة أيام الصّادق عليه السلام ، وهم يعيشون في منتصف القرن الثاني من الهجرة ، فقد كانوا قد ابتعدوا عن جيل الرّسالة والتابعين الذين كانوا يميزون الخبيث من الطّيب من الأقوال والأفعال ، إضافة إلى أن سـلوك الحكام من بني العباس ومن قبلهم بني أمية ، سحبوا الأمة بالتـدريج إلى الهاوية لكي يحققوا في ذلك مأربهم وتسلطهم على الرّقاب والمقدرات وبما

يضمن لهم بقاءهم واستمرارهم . فجاءت أجيال وتعاقبتها أجيال فتحت عيونها وآذانها على المنكر والانحراف ، في حين ضيّقت السّلطة على الأئمة عليهم السلام في تأثيرهم على الأمة فكان النّاس يتصورون ذلك لا شأن له بالدين أو أنه لا يخالف الدّين إن لم يكن هو من صميم الدّين .

وكان هذا من الصّعوبة بمكان أن يجعل الإمام الصّادق عليه السلام يعتمد عليهم في استلام الحكم . ورأى أنّ وظيفته الأهم أن يغير الأمة ويوجهها للرسالة الضّائعة وهو ما سنبحثه في الفصول القادمة بشيء من التفصيل إن شاء الله .

إنتهينا من بحث السّبب الثاني لثورة الحسين عليه السلام ، في اختلاف الحكام وإختلاف الأمة.

ولعل من أهم الأسباب التي دعت الحسين عليه السلام إلى أن يقوم بثورته هو إختلاق معاوية عن طريق مرتزقته بعض الرّوايات الّتي تخدر النّاس وتدعوهم إلى الإستكانه والقبول بالأمر الواقع ، فإنه من الدّين والإسلام

فقد رووا أنه يجب الصّبر عند جور الحاكم [1] .

وأن الخروج على الحاكم المستخف بدين الله الجائر على عباد الله حرام وستكون فتن القاعد فيها خير من الماشي والماشي خير من السّاعي .

وكذلك من وليّ عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله ، فليكره ما يأتي من معصية ولا ينزعنّ يداً عن طاعة .

[1] - الشّيخ أبو زهرة ، كتاب المذاهب الإسلامية ص ١٥٥ المطبعة النموذجية .

بل إن بني أمية ابتكروا مذهباً يخالف الإسلام أصولاً وفروعـــاً ، ولا يمتّ إلى الإسلام بصلة فقد ابتكروا مذهب ( الإرجاء ) الّذي يقول : ( إنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، والإيمـــان هـــو المعرفة بالله والخضوع له والمحبة بالقلب ، فمن اجتمعت فيه هذه الصّفات فهو مؤمن لا يضره ترك الطّاعات ولزوم المعاصي ولا يعاقب عليها ، وإن أعلن الكفر بلسانه وعبد الأوثان ولزم اليهودية والنّصرانية في دار الإسلام ومات على ذلك فهو من كامل الإيمان عند الله عزّ وجلّ ولي لله عزّ وجلّ من أهل الجنة[1] .

ويروي إبن كثير :

( لما استخلف يزيد بن عبد الملك قال : سيروا بسيرة عمر بن عبـــد العزيز ، فمكث كذلك أربعين ليلة ، فأتي بأربعين شيخاً فشهدوا له إنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب ).

وقد كان المرجئة يبشرون بهذه الأفكار بين صفوف الأمة المســلمة لأجل تخديرها وصرفها عن الإستجابة لدعاة الثورة على الأمويين [2] .

وبنو أمية ــ كما يظهر ــ كانوا يكرهون القول بحرية الإرادة ، لا دينياً فقط ولكن سياسياً كذلك ، لأن الجبر يخدم سياســتهم ، فالنتيجــة للجبر أن الله الّذي يسيّر الأمور قد فرض على النّاس بني أمية كما فـــرض كل شيء ، ودولتهم بقضاء الله وقدره ، فيجب الخضوع للقضاء والقدر[3]

[1] - إبن حزم ، الفصل في الملل والنّحل .
[2] - ثورة الحسين/ شمس الدّين ص ١١٧
[3] - د.أحمد أمين / ضحى الإسلام الجزء ٣ ص ٨١

وخشي الحسين عليه السلام أن تنطلي هذه البدعة على المسلمين سواء الّذين عايشوا بني أمية أو الّذين سوف يأتون من بعدهم من سلاطين الجور الّذين يتمسكون بهذه الأحاديث ليسوسوا الأمة كيفما يشاؤون ، والأمة سادرة ترى طاعتهم واجبة بنص الأحاديث المروية عن الرّسول ( ص ) زوراً وبهتاناً .

فكان الحسين عليه السلام أول ثائر على هذا الإتجاه الخطر الّذي أحدق بالإسلام ــ وهو ابن بنت رسول الله ( ص ) وابن أمير المؤمنين عليه السلام وهو أعرف بالشريعة والدّين وبالأحاديث ، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه .

ثار ليعطي درساً لكل من يأتي من بعده من المسلمين فيثوروا على الظّالمين من الأمراء والسّلاطين متى ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

ولولا ذلك لأنطلت هذه الغبرة السّوداء على المسلمين ولأستطاع الأمويون أن يغيّروا كل رسالة محمد ( ص ) فتصبح حدثاً في تاريخ مضى وليقضى على الصّوم والصّلاة والحدود والحج وبقية العبادات ، ولترتكب المظالم ــ ما دام القلب يستشعر الإيمان ــ فهو كافٍ لأن يعتبر الإنسان مسلماً .

❋❋❋

ومن الأسباب التي دعت الحسين عليه السلام للثورة، هو تهديد يزيد بقتل الحسين.

ذلك أنّ معاوية كان قد أخذ بيعة النّاس ترغيباً وترهيباً لإبنه يزيد ولم يستطع أن يحصل على بغيته من الحسين عليه السلام.

ويروي المؤرخون عدة مواقف للحسين مع معاوية ، حين أخذ يعدّ العدة لإبنه يزيد من بعده ، وكان من جملة كتبه في هذا الشّأن قوله في احدها إلى معاوية :

(( وفهمت ما ذكرت عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد تريد أن توهم النّاس في يزيد ، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موضع رأيه ، فأخذ ليزيد فيما أخذ من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش والحمام السّبق لأترابهن والقيان وذوات المعازف وضرب الملاهي تجده باصراً ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه ، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور وحنقاً في ظلم حتّى ملأت الأسفية وما بينك وبين الموت إلاّ غمضة ))[1].

[1] - الإمامة والسّياسة جزء ١ ص ١٩٥- ١٩٦

وقد أراد معاوية أن يحمل الحسين على البيعة ليزيد بحرمان بني هاشم جميعاً من أعطياهم حتّى يبايع الحسين [1] فلم يتحقق له ما أراد ، ومات معاوية والحسين باقٍ على موقفه من الإنكار لبيعة يزيد .

وكان عامل معاوية على المدينة ( الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ) فلما أتاه نعي معاوية ، أرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان إلى الحسين وابن الزّبير يدعوهما .

فقال الزّبير للحسين : ما تراه بعث إلينا في هذه السّاعة ؟

فقال الحسين عليه السلام : أظن أن طاغيتهم قد هلك ، فبعث إلينا قبل أن يفشو في النّاس الخبر .

فقال : وأنا ما أظن غيره ، فما تريد أن تصنع ؟

قال الحسين عليه السلام أجمع فتياني السّاعة ثم أمشي واجلسهم على الباب وأدخل عليه.

فقام الحسين عليه السلام وجمع إليه أصحابه وأهل بيته ، ثم أقبل على باب الوليد وقال لأصحابه : إني داخل ، فإذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليّ بأجمعكم وإلاّ فلا تبرحوا حتّى اخرج إليكم .

ودخل عليه السلام ، فأقرأه الوليد الكتاب ونعى إليه معاوية ودعاه إلى البيعة ليزيد .

[1] – المصدر السّابق ص ٢٠٠ .

فقال الحسين : أما البيعة فإن مثلي لا يبايع سراً ولا يجتزأ بها سراً ، فإذا خرجت للناس ودعوهم ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً .

فقال له الوليد : ــ وكان يحب العافية ــ انصرف .

فقال له مروان : لئن فارقك السّاعة ولم يبايع لا قدرتَ منه على مثلها أبداً حتّى يكثر القتل بينكم وبينه ، احبسه ، فإن بايع وإلاّ ضربت عنقه .

فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال : يا ابن الزّرقاء أأنت تقتلني أم هو ؟ كذبتَ والله ولؤمت [1] ثم أقبل على الوليد ، فقال :

(( أيها الأمير ، إنّا أهل بيت النّبوة ومعدن الرّسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم ، ويزيد فاسق فاجر ، شارب الخمر ، قاتل النّفس المحرمة ، معلن بالفسق والفجور ، ومثلي لا يبايع مثله )) [2] .

وكتب الوليد بن عتبة إلى يزيد :

(( بسم الله الرّحمن إلى عبد الله يزيد أمير المؤمنين من الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان.

أما بعد ، فإن الحسين بن علي ليس يرى لك خلافة ولا بيعة ، فرأيك في أمره والسّلام )).

فلما ورد الكتاب على يزيد ، كتب الجواب إلى الوليد :

---

[1] – ابن الأثير جزء ٣ ص ٣٧٨.

[2] – ثورة الحسين | شمس الدّين ص ١٧٢.

(( أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فعجّل عليّ بجوابه وبيّن لي في كتابك كلّ من في طاعتي أو خرج عنها، وليكن مع الجواب رأس الحسين ابن علي)) .

ولكن الحسين عليه السلام ، كان قد خرج إلى مكة ومن ثم إلى العراق [1] .

إلى هنا ، نتصور أننا عالجنا الأسئلة التي تدور في أذهان النّاس ، لماذا ثار الحسين و لم يثر الصّادق ، مع العلم أن الحسين كان في قلة من أصحابه في حين كان الصّادق قد بذلت له الدّولة كلقمة جاهزة ، ولكنه لم يستلمها .

وهو لا شك ، ليس اختلافاً بين نظرية الحسين ونظرية الصّادق في هؤلاء الغاصبين للخلافة الإسلامية والمتسلطين على رقاب المسلمين . وإنما الإختلاف نشأ في الظّروف الّتي أحاطت بالحسين وتلك التي أحاطت بالصادق .

ولو كان الصّادق مكان الحسين لثار ، ولو كان الحسين في مكان الصّادق لامتنع عن تناول اللّقمة التي قدمها له أبو سلمة الخلال .

❁❁❁

[1] - البحار جزء ٤٤ ص ٣١٢ .

# أسلوب الصّادق عليه السلام في مواجهة الظالمين

نستطيع أن نقول إن الإمام الصّادق عليه السلام ، بعدما رفض العمل العسكري اتخذ أسلوبين لمواجهة الإنحراف الّذي بدأ يسلكه خلفاء بني العباس :

١- **الأسلوب الأول : هو الذي كان يمارسه مع عموم المسلمين ، سواء منهم الذين يؤمنون بإمامته أو الذين لا يؤمنون ، ذلك هو أسلوب التثقيف الإسلامي ونشر الوعي العام وبيان الحلال والحرام والحق والباطل .**

٢- **الأسلوب الثاني : وهو الذي كان يختص به شيعته والمؤمنين به .**

## أما الأسلوب الأول :

فلم تكن أداء مهمّته خاصة بالصّادق عليه السلام ، وإنما هو سلوك اتّبعه جميع الأئمة ، ولكن الصّادق تهيأت له الفرصة أكثر من غيره ، وذلك لطول عمره الشّريف ، فقد كان أطول الأئمة عمراً ، ولأنه عاش في فترة قلقة ، لم يكن فيها الحكم مستقراً ، فترة نهاية الحكم الأموي الّذي كانت بوادر انهياره واضحة وفترة استلام الحكم من قبل العباسيين الّذين لم يشاؤوا في بداية حكمهم أن يتعرضوا للعلويين بصورة عامة وللصادق بصورة خاصة .

علماً بأن المنصور نفسه كان قد تلقى البشارة بخلافته من الصّادق [1].

يوم أجمع الهاشميون في الأبواء على مبايعة محمد النّفس الزّكية ، وبـــايعوه

[1] – فقد ذكر أغلب المؤرخين الّذين يؤرخون لهـــذه الفتـــرة ومـــنهم أبـــو فـــرج الأصفهاني في عدة روايات في كتابه ( مقاتل الطّالبيين ) ص ١٧١ وما بعدها نجملها فيما يلي :

إن جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس وأبو العباس السّفاح وأبو جعفر المنصور وصالح بن علي وعبد الله ابـــن الحسن وابناه محمد وإبراهيم ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان .

فقال صالح بن علي : قد علمتم إنكم الّذين تمد الناس إليهم أعينهم ، وقد جمعكم الله في هذا الموضع ، فاعقدوا بيعة لرجل تعطونه إياها من أنفسكم ، فتفرقـــوا فـــي الآفـــاق وادعوا الله ، لعل الله أن يفتح عليكم وينصركم .

فحمد الله ، عبد الله بن الحسن وأثنى عليه ، ثم قال : قد علمتم إن إبني هـــذا هـــو المهدي فهلّم لنبايعه .

وقال أبو جعفر (( المنصور )) : لأي شيء تخدعون أنفسكم ، والله ، لقد علمتم ما النّاس إلى أحد أميل ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى ــ يعني محمد بن عبد الله ــ .

قالوا : قد والله صدقت ، إنا لنعلم هذا فبايعوا جميعاً محمداً وبايعه إبراهيم الإمـــام والسّفاح والمنصور وسائر من حضر وطلب أحدهم حضور جعفر بن محمد الصّـــادق ، فقال عبد الله بن الحسن : لا تريدوا جعفراً فإنا نخاف أن يفسد عليكم أمركم .

وحضر الإمام عليه السلام وحدثه عبد الله بن الحسن بما اجتمعوا عليه ، فقـــال عليه السلام : إن هذا الأمر والله ليس إليك ولا إلى أبنيك ، وإنما هو لهذا ــ يعني السّفاح ، ثم لهذا يعنـــي المنصور ــ ثم لولده من بعد .

فقال عبد الله : والله يا جعفر ما أطلعك الله على غيبه ، وما قلت هـــذا إلاّ حســـداً لإبني .

فقال : لا والله ما حسدت إبنك ، وإن هذا ــ يعني أبا جعفر ــ يقتله على أحجـــار الزّيت ، ثم يقتل أخاه وقوائم فرسه في الماء .

ثم قام مغضباً يجر رداءه ، فتبعه أبو جعفر ، فقال : أتدري ما قلت يا أبا عبد الله ؟

قال : أي والله أدريه ، وإنه لكائن .

يقول الرّاوي ، حدثني من سمع أبا جعفر يقول ، فانصرفت لوقتي فرتّبت عمـــالي وميّزت أموري تميز مالك لها .

ولما ولي أبو جعفر الخلافة سمى جعفراً الصّادق، وكان إذا ذكره قال: قـــال لـــي الصّادق جعفر بن محمد كذا وكذا .

جميعاً بما فيهم المنصور ، إلاّ الصّادق لأنه كان يعلم بثاقب رؤيته السّياسية والأخبار التي تلقاها من أجداده بأن النّفس الزّكية ليس ممن يحكم . فقد حفظها له المنصور عندما تسلم السّفاح الخلافة ثم بداية حكمه ، ولكنه عندما وجد نفسه قد استقر في الملك، بدأ يتضّايق من الصّادق عليه السلام وكانت فرية الدعوة للرضا من أهل البيت تتكَشّف للناس قليلاً قليلاً ، بأنها كانت دعوة زائفة كان العباسيون يخدعون بها الناس للوصول إلى الحكم .

والنّاس في أيام بني أمية كانوا يتوقون للرجوع إلى أهل البيت ، المغتصب حقهم ، خصوصاً بعد ما رأوا فسق وفجور حكام بني أمية وعداءهم للإسلام ، لكن العباسيين كانوا قد أجادوا المكر وركبوا موجة العواطف التي تجيش بها صدور المسلمين نحو أهل بيت النبي ( ص ) الّذين كانوا يجدون أنهم هم الملجأ بعدما عايشوا فسق بني أمية .

أدرك المنصور أنّ الأمة قد كشفت الزّيف ، ثم بدأ العلويون يمهدون للثورة على المنصور بقيادة عبد الله بن الحسن وولديه محمد وإبراهيم .

والمنصور يعرف المنزلة العظيمة التي يحتلها الصّادق في بني هاشم خاصة ولدى المسلمين بصورة عامة ، فبدأ يضايقه ، واستدعاه إلى الكوفة والحيرة ليكون تحت مراقبته وبعيداً عن حاضرة الإسلام في المدينة المنورة .

ولعدة مرات كان المنصور يستدعي الإمام الصّادق للمسائلة ثم يطلق سراحه ، ولكن الصّادق كان قد اتخذ الكوفة منبراً لنشر الشّريعة

الإسلامية التي تلاعب بها الأمويون وبدأ العباسيون بتحريفها بما يخدم مصالحهم وبقاءهم واستمرارهم بالحكم ، حتّى أصبح في زمان الإمام أربعة آلاف محدث كلهم يقول حدثني جعفر الصّادق ، الّذي كانت أخباره وأحاديثه تصدر من عين صافية ومن مصدر أمين هو رسول الله (ص) .

واستطاع الصّادق عليه السلام خلال الفترة تلك أن ينشر مذهب أهل البيت حتّى أصبح ينتسب إليه ، فقيل المذهب الجعفري ، تمييزاً له عن المذاهب الأخرى التي تقول بالرأي أو التي تأخذ الرّوايات من غيره.

ولكن الخلفاء كانوا يحاولون دائماً أن يحركوا صنائعهم ليوجهوا إلى الأئمة مسائل تبدو للآخرين إنها مسائل صعبة الحل ويهدفون من وراء ذلك إحراج الأئمة عليهم السلام والتقليل من هيبتهم وتأثيرهم على الأئمة .

أما الأئمة عليهم السلام ، فكانوا يدركون ما يتوخاه أولئك ، فكانوا لا يدعون فرصة تسنح دون أن يظهروا علمهم ويأكدوا للأمة أن من لا يحسن معرفة الأحكام لا يصلح لأن ينصب نفسه حاكماً للنّاس .

## إحتجاج الصّادق عليه السلام على المعتزلة

ذكر صاحب البحار في الجزء ٤٧ ص ٢١٣ نقلاً عن إحتجاج الطّبرسي ص ١٩٧ : (( عن عبد الكريم بن عتبة الهاشمي ، قال : كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام بمكة إذ دخل عليه أناس من المعتزلة فيهم عمر بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص بن سالم وأناس من رؤسائهم ، وذلك حين قتل الوليد ، واختلف أهل الشّام بينهم ، فتكلموا وأكثروا وخطبوا فأطالوا .

فقال لهم أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام : إنكم قد أكثرتم عليّ وأطلتم ، فأسندوا أمركم إلى رجل منكم فليتكلم بحجتكم وليوجز ، فأسندوا أمرهم إلى عمرو بن عبيد فأبلغ وأطال فكان فيما قال ، قتل أهل الشّام خليفتهم وضرب الله بعضهم ببعض وتشتت أمرهم فنظرنا فوجدنا رجلاً له دين وعقل ومروّة ومعدن للخلافة وهو محمد بن عبد الله ابن الحسن ، فأردنا أن نجتمع معه فنبايعه وثم نظهر امرنا معه وندعو النّاس إليه ، فمن بايعه كنا معه وكان معنا ومن اعتزلنا كففنا عنه ومن نصب لنا جاهدناه ونصبنا له على بغيه وردّه إلى الحق وأهله ، وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك ، فإنه لا غنى بنا عن مثلك لفضلك وكثرة شيعتك .

فلما فرغ قال أبو عبد الله عليه السلام : أكلكم على مثل ما قال عمرو ؟

فقالوا : نعم

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النّبي ( ص ) ، ثم قال : إنما نسخط إذا عصي الله فإذا أطيع رضينا ، أخبرني يا عمرو لو إنّ الأمة قلدتك أمرها فملكته بغير قتال ولا مؤنة ، فقيل لك ولّها من شئت ، من كنت تولّي ؟

قال : كنت اجعلها شورى بين المسلمين ؟

قال : بين كلهم ؟

قال : نعم .

قال : بين فقهائهم وخيارهم ؟

قال : نعم .

قال : قريش وغيرهم ؟

قال : العرب والعجم .

قال : أخبرني يا عمرو أتتولّى أبا بكر وعمر ؟ أو تتبرأ منهما ؟

قال : أتولاهما .

قال : يا عمرو إن كنت رجلاً تتبرأ منهما فإنه يجوز لك الخلاف عليهما وإن كنت تتولاهما فقد خالفتهما ، قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه و لم يشاور أحداً ، ثم ردّها أبو بكر عليه و لم يشاور أحداً ، ثم جعلها عمر شورى بين ستة ، فأخرج منها الأنصار غير أولئك السّتة من قريش ، أوصى فيهم النّاس بشيء ما أراك ترضى به أنت ولا أصحابك

قال : وما صنع ؟

قال : أمر صهيباً أن يصلي بالنّاس ثلاثة أيام ، وأن يتشاور أولئك السّتة ، ليس فيهم أحد سواهم ، إلاّ ابن عمر ويشاورونه وليس له من الأمر شيء ... وأوصى من بحضرته من المهاجرين والأنصار إن مضت ثلاثة أيام قبل أن يفرغوا ويبايعوا أن يضرب أعناق السّتة جميعاً ، وإن أجتمع أربعة قبل أن تمضي ثلاثة أيام وخالف إثنان أن يضرب أعناق الإثنين ، أفترضون فيما تجعلون من الشّورى في المسلمين ؟ قالوا : لا .

قال : يا عمرو دع ذا ، أرأيت لو بايعت صاحبك هذا الّذي تدعو إليه ثم اجتمعت لكم الأمة و لم يختلف عليكم فيها رجلان فأفضيتم إلى المشركين الّذين لم يسلموا و لم يؤدوا الجزية ، أكان عندكم وعند صاحبكم من العلم ما تسيرون فيه بسيرة رسول الله ( ص ) في المشركين في حربه ؟

قالوا : نعم .

قال : فتصنعون ماذا ؟

قالوا : ندعوهم إلى الإسلام ، فإن أبوا دعوناهم إلى الجزية .

قال : وإن كانوا مجوساً وأهل كتاب ؟

قالوا : وإن كانوا مجوساً وأهل كتاب .

قال : وإن كانوا أهل الأوثان وعبدة النّيران والبهائم ؟ وليسوا بأهل كتاب ؟

قالوا : سواء .

قال : فأخبرني عن القرآن أتقراه ؟

قال : نعم .

قال : إقرأ ﴿ قاتلوا الّذين لا يؤمنون بالله ولا بـــاليوم الآخـــر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الّذين أوتوا الكتاب حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ .

قال:فاستثنى الله عزوجل واشترط في الّذين أوتوا الكتـــاب ،فهـــم والّذين لم يؤتوا الكتاب سواء؟

قال:نعم.

قال:عمن أخذت هذا؟

قال سمعت النّاس يقولونه.

قال: فدع ذا ،فإنهم إن أبوا الجزية فقاتلتهم وظهرت عليهم ،كيف تصنع بالغنيمة ؟

قال:اخرج الخمس واخرج أربعة أخماس بين من قاتل عليها.

قال:تقسمه بين جميع من قاتل عليها ؟

قال:نعم.

قال : قد خالفت رسول الله (ص) في فعله وفي سيرته ، وبيني وبينك فقهاء أهل المدينة ومشيختهم ، فسلهم فإنهم لا يختلفون ولا يتنازعون في أن رسول الله (ص) إنما صالح الأعراب أن يـــدعهم في ديـــارهم وان لا يهاجروا على أنه إن دهمه من عدوه دهم فيستفزهم فيقاتل بهم وليس لهم

من الغنيمة نصيب ، وإن تقول بين جميعهم ،فقد خالفت رسول الله (ص) في سيرته في المشركين ، دع ذا ما تقول في الصّدقة ؟

قال:فقرأ عليه هذه الآية ((إنما الصّدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها...إلى آخرها)).

قال:نعم فكيف تقسم بينهم ؟

قال:أقسمها على ثمانية أجزاء فأعطي كل جزء من الثمانية جزء .

قال:إن كان صنف منهم عشرة آلاف وصنف رجلاً واحداً ورجلين وثلاثة ، جعلت لهذا الواحد مثل ما جعلت للعشرة آلاف.

قال : نعم

قال: وكذا تصنع بين صدقات أهل الحضر وأهل البوادي فتجعلهم فيها سواء ؟

قال : نعم .

قال : فخالفت رسول الله ( ص ) في كل ما أتى به في سيرته ، رسول الله يقسم صدقة البوادي في أهل البوادي وصدقة الحضر في أهل الحضر ، لا يقسم بينهم بالسويّة ، إنما يقسم على قدر ما يحضره منهم وعلى ما يرى ، فإن كان في نفسك شيء مما قلت ، فإن فقهاء أهل المدينة ومشيختهم كلهم لا يختلفون في أن رسول الله ( ص ) كذا كان يصنع ، ثم أقبل على عمرو وقال : إتق الله يا عمرو وأنتم أيها الرّهط فاتقوا الله فإن أبي حدثني وكان خير أهل الأرض وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسوله ، إن رسول الله قال : من ضرب النّاس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلف ))[1] .

[1] - إحتجاج الطّبرسي ص ١٩٧ .

# الحكام كانوا يوجهون الأسئلة للأئمة لغرض إحراجهم

وفي هذا السّياق يقول أبو حنيفة (( ما رأيت أفقه من جعفر ابن محمد ، لّما أقدمه المنصور بعث إليّ أبو جعفر المنصور فدخلت عليه وجعفر ابن محمد جالس عن يمينه ، فلما بصرت به دخلتني من الهيبة ما لم يدخلني لأبي جعفر المنصور ، فسلمت وأومأ فجلست ، ثم التفت المنصور ، فقال: يا أبا حنيفة ألق مسائلك على أبي عبد الله ، فجعلت ألقي عليه فيجيبني ، فيقول : أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا ، فربما تابعني وربما تابعهم وربما خالفني حتّى أتيت على الأربعين مسألة ما أخلّ منها مسألة واحدة ثم قال أبو حنيفة : أعلم النّاس أعلمهم بإختلاف النّاس ))[1].

وإذا كان أبو جعفر المنصور يخشى من علم الصّادق عليه السلام ، فإن المأمون كان يخشى من علم الرّضا وابنه الجواد أيضاً ، فكان يوجه إليهما من يسألهما المسائل الشّداد أيضاً عسى أن يسقطهما في أعين العلماء ومن ثم في أعين النّاس جميعاً ، ولكنه كان يخيب في كل مرة ، فلنستمع :

سأل أحدهم أبا الصّلت الهروي ، فقال : كيف طابت نفس المأمون بقتل الرّضا عليه السلام مع أكرامه ومحبته له وما جعل له في ولاية العهد بعده ؟

[1] - الأئمة الأثنى عشر عادل الأديب ص ١٧٤ .

فقال : إنّ المأمون إنما يكرمه ويحبه لمعرفته بفضله ، وجعل له ولاية العهد من بعده ليري النّاس أنه راغب في الدّنيا ، فيسقط محله في نفوسهم فلما لم يظهر منه في ذلك للنّاس إلاّ ما ازداد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه واحد منهم فيسقط محله عند العلماء وبسببهم يشتهر نقصه عند العامة ، فكان لا يكلمه خصم من اليهود والنّصارى والمجوس والصّابئين والبراهمة والملحدين والدهرية ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين له إلاّ قطعه وألزمه الحجة وكان النّاس يقولون : والله إنه أولى بالخلافة من المأمون ، فكان أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاض من ذلك ويشتد حسرة ، وكان الرّضا عليه السلام لا يحابي المأمون في حق وكان يجيبه لما يكره في أكثر أحواله فيغيضه ذلك ويحقده عليه ولا يظهره له ، فلما أعيته الحيلة في أمره إغتاله ، فقتله بالسم [1].

ولقد صرح المأمون نفسه ، بأنّه كان يريد أن يجعل من جهل الإمام ـــ نعوذ بالله ـــ ذريعة ووسيلة إلى خلعه ، ليشتهر بين النّاس أنه قد خلع بسبب جهله وقلة معرفته فقد ورد أنه عندما اخبره الرّضا بصفات حمل جاريته ، قال المأمون : (( فقلت في نفسي هذه والله فرصة ، إن لم يكن الأمر على ما ذكر ، خلعته ، فلم أزل أتوقع أمرها ... )) .

أما بالنسبة للإمام الجواد عليه السلام ، فقد عرّضه المأمون إلى امتحان من أجل إفحامه وفضّ النّاس من حوله وجمع بينه وبين كبار العلماء وطلب من يحيى بن أكثم أن يطرح على الإمام مسالة يقطعه فيها .

[1] - البحار ، جزء ٤٩ ص ٢٩ نقلاً عن سبط أبن الجوزي في التذكرة .

فقال له يحيى : (( أتأذن لي جعلت فداك في مسألة ؟ ))

فقال له أبو جعفر : سل إن شئت .

قال يحيى : ما تقول في محرم قتل صيداً ؟

فقال له الإمام : قتله في حلٍ أو حرم ؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً ؟ قتله عمداً أو خطأ ؟ حراً كان أم عبداً ؟ صغيراً كان أو كبيراً ؟ مبتدئاً بالقتل أم معيداً ؟ من ذوات الطّير كان الصّيد أم من غيرها ؟ من صغار الصّيد كان أم من كبارها ؟ مصراً على ما فعل أم نادماً ؟ في اللّيل كان قتله للصيد أم نهاراً ؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً ؟

فتحّير يحيى بن أكثم وبان في وجهه الضّجر والانقطاع وتلجلج حتّى عرف أهل المجلس أمره [1] .

ويحيى هذا ، كان قاضي القضاة أيام المأمون وكذا أيام المعتصم ، وكان معروفاً بالانحراف الخلقي ، وقد حاول مرة أخرى أن يسيء إلى مقام الإمام المعصوم في توجيه الأسئلة التي يراها أنها من المسائل الشّداد .

وإذا كان قد توجه بالأسئلة إلى الإمام الجواد ، كما أراد المأمون ، فإنه في أيام المعتصم وجه أسئلته إلى موسى المبرقع بن الإمام الجواد ، أخي الإمام الهادي عليه السلام فرفع هذا تلك الأسئلة بدوره إلى الإمام الهادي ليجيب عليها .

[1] - تذكرة الخواص ، ص ٣٦٨ .

وكأن السّلطة حاولت أن تجعل من عجز المبرقع وصمة في علم أئمة أهل البيت عليهم السلام وإن كانت هذه المحاولة يائسة ، لأن عجــز أي إنسان لا يصلح دليلاً على عجز أخيه، ومع ذلك فقد باءت محاولة يحــيى ابن اكثم بالفشل، ورجعت الأسئلة للإمام وأجاب عليها بما يردّ كيد يحيى

قال موسى بن محمد بن الرّضا ، لقيت يحيى بن أكثم في دار العامــة فسألني عن مسائل فجئت إلى أخي علي بن محمد عليهما السّلام فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصّرني طاعته ، فقلت له ، جعلت فداك ، إنّ ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لأفتيه فيها ، فضحك عليه السلام ، وقال : ما هي ؟

قلت : كتب يسألني عن قول الله ﴿ قال الّذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ ، نبي الله كان محتاجاً إلى علــم آصف .

وعن قوله : ﴿ ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجداً ﴾ ســجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء ؟

وعن قوله : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاســأل الّــذين يقرأون الكتاب ﴾ ، من المخاطب بالآية ، فإن كان المخاطب النّبي (ص) فقد شك ، وإن كان المخاطب غيره ، فعلى من إذن أنزل الكتاب ؟

وعن قوله : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمــده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ ما هذه الأبحر وأين هي ؟

وعن قوله : ﴿ وفيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴾ فاشتهت نفس آدم عليه السلام أكل البر ، فأكل وأطعم ﴿ وفيها ما تشتهي الأنفس ﴾ فكيف عوقب ؟

وعن قوله : ﴿ أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ﴾ يزوج الله عباده الذّكران وقد عوقب قوم فعلوا ذلك ؟

وعن شهادة المرأة جازت وحدها ، وقد قال الله ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ وعن الخنثى ، وقول علي عليه السلام : (( يورث من المبال )) فمن ينظر إليه إذا بال ، مع أنه عسى أن يكون امرأة وقد نظر إليها الرّجال، أو عسى أن يكون رجلاً وقد نظرت إليه النّساء وهذا ما لا يحل؟ وشهادة الجار إلى نفسه لا تقبل .

وعن رجل أتى إلى قطيع غنم فرأى الرّاعي ينزو على شاة منها ، فلما بصر بصاحبها خلى سبيلها ، فدخلت بين الغنم ، كيف تذبح وهل يجوز أكلها أم لا ؟

وعن صلاة الفجر لم يجهر فيها بالقراءة وهي من صلاة النّهار وإنما يجهر في صلاة اللّيل ؟

وعن قول علي عليه السلام لابن جرموز (( بشر قاتل ابن صفية بالنار )) فلم يقتله وهو إمام .

وأخبرني عن علي عليه السلام لم قتل أهل صفين وأمر بذلك مقبلين ومدبرين وأجهز على الجرحى ، وكان حكمه يوم الجمل إنه لم يقتل مولياً

ولم يجهز على جريح ولم يأمر بذلك ، وقال من دخل داره فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، لم فعل ذلك ! فإن كان الحكم الأول صواباً فالثاني خطأ .

وأخبرني عن رجل أقرّ باللواط على نفسه أيحدّ أم يدرأ عنه الحد ؟

قال عليه السلام : اكتب إليه .

قلت : وما اكتب ؟

قال : اكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم ، وأنت فألهمك الله الرّشد ، أتاني كتابك فامتحنتنا به من تعنتك لتجد إلى الطّعن سبيلاً إن قصرّنا فيها والله يكافيك عليها على نيتك ، وقد شرحنا مسائلك ، فاصغ إليها سمعك وذلل لها فهمك وأشغل بها قلبك ، فقد لزمتك الحجة والسّلام .

سألت: عن قول الله جل وعز (( قال الّذي عنده علم من الكتاب)) فهو آصف ابن برخيا ، ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف ، لكنه ( ص ) ، أحب أن يعرّف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده ، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه عند آصف بأمر الله ، ففهمه ذلك لئلاّ يختلف عليه في إمامته ودلالته كما فهم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام لتعرف نبوته وإمامته من بعد لتأكد الحجة على الخلق.

وأما سجود يعقوب عليه السلام وولده كان طاعة لله ومحبة ليوسف عليه السلام كما أن السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم ، فسجود يعقوب وولده يوسف معهم كان شكراً لله

بإجتماع شملهم ، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت (( رب قد آتيـــتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث )) .

وأما قوله (( فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الّذين يقرأون الكتاب )) فإن المخاطب به رسول الله ( ص ) ولم يكن في شك مما أنزل إليه ولكن قالت الجهلة كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة ، إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا في الإستغناء عن المأكل والمشارب والمشي في الأســـواق ، فأوحى الله إلى نبيه (( فاسأل الّذين يقرأون الكتاب )) بمحضر الجهلـــة ، هل بعث الله رسولاً قبلك إلاّ وهو يأكل الطّعام ويمشي في الأســـواق ، ولك بهم أسوة ، وإنما قال (( فإن كنت في شك )) ولم يكن شك ولكن للنصفة ، كما قال ﴿ فتعالوا ندعو أبناءنا وأبناءكم ونســـائنا ونســـاءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ ولـــو قـــال عليكم لم يجيبوا إلى المباهلة ، وقد علم الله أن نبيه يؤدي عنه رسالاته وما هو من الكاذبين ، فكذلك عرف النّبي إنه صادق فيما يقول ولكن أحب أن ينصف في نفسه .

وأما قوله ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ ، فهو كذلك لـــو أن أشـــجار الدنيا أقلام والبحر يمده سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله وأما الجنة فإن فيها من المأكل والمشارب والملاهي مـــا تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأباح الله ذلك كله لآدم عليه السلام والشّجرة التي

نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضّل الله على خلائقه بعين الحسد فنسي ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزماً .

وأما قوله ﴿ أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ﴾ أي يولد له ذكور ويولد له إناث ، يقال لكل إثنين مقرنين زوجان ، كل واحد منهما زوج ، ومعاذ الله أن يكون عن الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرّخص لإرتكاب المآثم ﴿ ومن يفعل ذلك يلق آثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً ﴾ .

وأما شهادة المرأة وحدها الّتي جازت فهي القابلة جازت شهادتها مع الرّضا ، فإن لم يكن رضا فلا أقل من إمرأتين ، تقوم المرأتان بدل الرّجل للضرورة ، لأن الرّجل لا يمكنه أن يقوم مقامهما ، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها .

وأما قول علي عليه السلام في الخنثى فهي كما قال ، ينظر قوم عدول ، يأخذ كل واحد منهم مرآة وتقوم الخنثى خلفهم عريانة وينظرون في المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه .

وأما الرّجل النّاظر إلى الرّاعي وقد نزا على شاة فإن عرفها ذبحها وأحرقها وإن لم يعرفها قسم الغنم نصفين وساهم بينهما ، فإذا وقع على أحد النّصفين فقد نجا النّصف الآخر ثم يفرق النّصف الآخر ، فلا يزال

كذلك حتّى تبقى شاتان فيقرع بينهما ، فأيتهما وقع السّهم بها ذبحت وأحرقت ونجا سائر الغنم .

وأما صلاة الفجر فالجهر فيها القراءة ، لأن النّبي ( ص ) كان يغلس بها فقراءتها من اللّيل .

وأما قول علي عليه السلام : بشر قاتل ابن صفية بالنار فهو لقول رسول الله ( ص ) وكان ممن خرج يوم النّهروان ، فلم يقتله أمير المؤمنين بالبصرة لأنه علم أنه يقتل في فتنة النّهروان .

وأما قولك : إن علياً عليه السلام قتل أهل صفين مقبلين ومدبرين وأجهز على جريحهم وإنه يوم الجمل لم يتبع مولياً و لم يجهز على جريح ومن ألقى سلاحه آمنه ومن دخل داره آمنه فإن أهل الجمل قتل إمامهم و لم تكن لهم فئة يرجعون إليها وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين ، رضوا بالكف عنهم ، فكان الحكم فيها رفع السّيف منهم والكف عن أذاهم ، إذ لم يطلبوا عليه أعواناً ، وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام يجمع لهم السّلاح والدّروع والرّماح والسّيوف ويسني لهم العطاء ، يهيء لهم الإنزال ويعود مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم ويكسو حاسرهم ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم ، فلم يساو بين الفريقين في الحكم لما عرف من الحكم في قتل أهل التوحيد لكنه شرح ذلك لهم ، فمن رغب عرض على السّيف أو يتوب من ذلك .

وأما الرّجل الّذي اعترف باللواط فإنه لم تقم عليه بيّنة وإنما تطوع بالإقرار من نفسه وإذا كان للإمام الّذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمنّ عن الله ، أما سمعت قول الله (( هذا عطاؤنا )) قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه فأعلم ذلك ))[1] .

واستمرت وظيفة يحيى بن أكثم إلى عصر الخليفة المتوكل ، وكان ديدن الخلفاء دوماً هو توجيه الأسئلة إلى الأئمة عليهم السّلام من أجل إسقاطهم في أعين النّاس ولكن النّتيجة كانت معكوسة دائماً ، حتّى قال يحيى بن أكثم للمتوكل (( ما أحب أن تسأل هذا الرّجل — يعني علي الهادي عليه السلام — عن شيء بعد مسائلي هذه ، وإنه لا يرد عليه بشيء بعدها إلاّ دونها وفي ظهور علمه تقوية للرافضة ))[2] .

وكانت وظيفة الأئمة الشّرعية والسّياسية أن يبينوا الحكم الشّرعي في جميع المسائل التي يتعرضون لها ، أو التي تعرض عليهم ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، سواء رضي الحكام أو لم يرضوا ، فذلك أمر لا يهمهم ، فليسوا من وعاظ السّلاطين الّذين يبتغون إرضاء الحكام ليدّروا عليهم معايشهم أو يزيدوا في منزلتهم لدى النّاس .

فالمنزلة التي كان يمتلكها الأئمة عليهم السّلام لدى الأمة والتأثير عليهم كانت أكثر بكثير من قدرة السّلاطين ووجاهتهم ، ولذلك كانوا يخشونهم ويحسدونهم والمأمون بالذات كان يحاول في عملية ولاية العهد

[1] – تحف العقول ص ٣٥٢ والأختصاص للمفيد ص ٩٠ وما بعدها .
[2] – الأئمة الأثنا عشر/ عادل الأديب ص ٢٣٠ .

للرّضا عليهم السّلام ، أن يكسب عدة مكاسب ، كان منها أن يشغل الإمام في أبّهة الملك وترف المنصب ليقول للنّاس إنّ الرّضا ليس زاهداً في ذلك ولكن الدنيا زهدت فيه .

وحيث لم تؤثر هذه الحيلة على مقام الإمام عليه السلام ، فحاول أن يسقطه من الناحية العلمية ، في عمليات توجيه الأسئلة التي يتصور أنها من المسائل الشّداد التي كان يوجهها هو للإمام عليه السلام أو يحرك بعض صنائعه في توجيهها ، ولكنّ الجواب كان يأتي دائماً واضحاً حاسماً يلقم المأمون وعصابته بحجر .

ومسألة العلم والورع والزّهد كانت هي الأسس الّتي يستند إليها الحكام في إمرتهم للمؤمنين .

والمأمون نفسه عندما عرض الخلافة إبتداءً على الإمام الرّضا عليه السلام ، قال له : إنه لم يجد أفضل منه وأورع وأعلم من بني هاشم .

فإذا كشفت الأمة أن غيرهم أفضل منهم سقطت حجتهم من النّاحية النظرية ، ولذلك فإن الحكام كانوا يحقدون على الأئمة عليهم السّلام ، عندما يعرف فضلهم وعلمهم ، فكانوا يحاولون جهدهم في إسقاطهم في أعين النّاس بأنهم لا يملكون ملكة العلم والورع .

وكان السّلاطين ربما يوجهون إلى الأئمة عليهم السّلام لوماً في ارتكابهم بعض الأمور التي يتصورون أنها تحطّ من كرامتهم ومعرفتهم ، فجيئهم الرد قوياً ويثبتوا لهم أنهم ( السّلاطين ) في ذلك جاهلون .

❀❀❀

# محاولة يائسة من عبد الملك بن مروان مع زين العابدين

يذكر التاريخ أنّ علي بن الحسين عليه السلام ، تزوج سرية كانت للحسن ابن علي عليه السلام فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فكتب إليه في ذلك كتاباً إنك صرت بعل الإماء فكتب إليه علي بن الحسين عليه السلام : إنّ الله رفـع بالإسلام الخسيسة وأتّم النّاقصة وأكرم به من اللّؤم ، فلا لؤم على مسلم إنما اللّؤم لؤم الجاهلية إنّ رسول الله ( ص ) أنكح عبد الله ونكح أمته .

فلما انتهى الكتاب إلى عبد الملك قال لمن عنده : أخبروني عن رجل إذا أتى ما يضع النّاس لم يزده إلا شرفاً ؟ قالوا : ذلك أمير المؤمنين .

قال : لا والله ما هو ذاك .

قالوا : ما نعرف إلاّ أمير المؤمنين .

قال : فلا والله ما هو بأمير المؤمنين ولكنه علي بن الحسين .

# محاولة يائسة من المأمون مع الإمام الرّضا (عليه السلام)

المأمون كان أكثر خلفاء العباسيين دهاءً ومكراً وقد حاول أن يكون ماكراً في تصرفه مع زعيم العلويين ( الإمام الرّضا (عليه السلام) ) بعدما اشتدت عليه الأزمات في خلعه من قبل الأمين وزيادة ثورات العلويين وإضطراب بعض الأطراف عليه ، نراه يوليه ولاية العهد .

وكان يتوقع من الإمام أن يدعمه بالقول والعمل ، ولكن المأمون باء بالفشل في جميع أحلامه الّتي كان يتوقعها من وراء تلك العملية ، وبقي الإمام شامخ المبدأ عالي الهمة ، لا يتحرك إلاّ بما يرضي الله تعالى وبما يوائم سيرة رسول الله ( ص ) .

فكانت هذه المبدأية من الإمام تجّر على المأمون الخيبة والخسران وكان تأثيرها على العكس تماماً مما يبتغيه المأمون .

وصلاة العيد الّتي طرحها على الإمام الرّضا ، كانت واحدة من هذه الخسائر الّتي يبتغي المأمون من ورائها أن يشغل الإمام بإبّهة السّلطان ، واعتذر الإمام وأصرّ المأمون ، وقبل الإمام أخيراً ولكن المأمون أدرك المردود العكسي الّذي سوف يتحمله من جرّاء صلاة العيد ، فأرسل إلى الإمام أن يرجع ويكفّ عن الصّلاة والّتي كانت كما ينقلها الرّواة هكذا

(( لقد كانت البيعة للإمام الرّضا بولاية العهد في الخامس من شهر رمضان سنة ٢٠١ ، وبإنتهاء شهر رمضان أي بعد ٢٥ يوماً كلفه المأمون أن يصلي بالنّاس صلاة العيد ، بالرغم من أنّ الإمام الرّضا عليه السلام كان قد شرط على المأمون أن لا يشترك معه بشيء يتعلق بالحكم وشؤونه وملحقاته ، فقد روى علي بن إبراهيم عن ياسر الخادم والرّيان بن الصّلت أنهما قالا : لما حضر العيد في السنة التي عقد له فيها ولاية العهد أرسل إليه المأمون بالركوب إلى العيد والصّلاة بالنّاس والخطبة بهم ، فبعث إليه الإمام الرّضا : لقد علمت ما كان بيني وبينك من الشّروط في دخول هذا الأمر ، فاعفني من الصّلاة بالنّاس .

فألحّ عليه المأمون ، وقال له : أريد بذلك أن تطمئن إليك قلوب النّاس ويعرفوا فضلك .

وجعل المأمون يلحّ عليه ويرسل له الرّسول بعد الرّسول ، حتّى أجابه لذلك . على شرط أن يخرج إلى الصّلاة كما كان يخرج إليها رسول الله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من بعده .

فقال له المأمون : أخرج كيف شئت ، وأمر القواد والحجاب والناس أن يبكّروا إلى باب الرّضا عليه السلام .

مضى الراوي يقول فقعد النّاس لأبي الحسن في الطّرقات والسّطوح واجتمع النساء والصّبيان ينتظرون خروجه ، ووقف الجند والقادة على بابه حتى طلعت الشمس .

فاغتسل أبو الحسن عليه السلام ولبس ثيابه وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن فألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه ومسّ شيئاً من الطّيب واخذ بيده عكازاً ، وقال لمواليه وخاصته : إفعلوا مثل ما فعلت فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمّر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمّرة ومشى قليلاً ثم رفع رأسه إلى السّماء وكبّر فكبّر معه مواليه ، ومشى حتى وقف على الباب ، فلما رآه القواد والجند على تلك الصّورة سقطوا كلهم عن الدّواب إلى الأرض ، وكان أحسنهم حالاً من كان معه سكين فقطع ربطة حذائه لينـزعه من رجله ويمشي حافياً.

ثم كبّر الرّضا على الباب الأكبر وكبّر النّاس معه ، وارتفعت أصوات الناس فيه (مرو) بالبكاء والتكبير من جميع الجهات .

وكان الإمام عليه السلام كلما مشى خطوات وقف وكبّر ، وكبّر النّاس معه حتى ضجّت المدينة بأصوات المكبّرين ، وخرج الناس من منازلهم وازدحموا في الشّوارع بشكل لم تعهد له المدينة مثيلاً .

فأرسل إليه المأمون : لقد كلفناك شططاً وأتعبناك يا ابن رسول الله ولسنا نحب لك إلاّ الرّاحة ، فارجع وليصلّ بالنّاس من كان يصلي بهم على رسمه ، ورجع الإمام )).

ويذكر بعض المؤرخين تتمة للقصة أعلاه ، (( فأسرع بعض الحاشية إلى الخليفة المأمون فقال : يا أمير المؤمنين تدارك الناس وأخرج صلّ بهم وإلاّ خرجت الخلافة منك الآن ، فحمله على أن خرج بنفسه وجاء

مسرعاً ، والرّضا عليه السلام بعد من كثر الزّحام عليه لم يخلص إلى المصلى فتقدم المأمون وصلى بالناس )) [1] .

❋❋❋

[1] - كشف الغمة جزء ٣ ص ٨٧ .

## خشية السّلاطين من أصحاب الأئمة

سلاطين الجور ، أولئك لم يكونوا يخشون من الأئمة عليهم السّلام فقط ، عندما يظهرون علمهم للناس ، وإنما يخشون حتى من أصحاب الأئمة إذا وجدوهم يكلمون الناس بما يرفع منزلة الأئمة ويحط بالنتيجة من منزلة غيرهم ، فكانوا يتابعون أولئك ليقضوا على كل شخص لا يدين لهم بالولاء ، فالناس يجب أن يكونوا ممن يحمد ذكر الخلفاء أو يسكتون فإذا تكلموا بما يخالف أهواءهم تعرضوا للملاحقة وهي الحبس وضرب الأعناق وهدم البيوت والتعرض للذرية .

فلنستمع إلى هذه القصة الطّريفة الّتي تبدأ هكذا:

كان يحيى بن خالد وزير الرّشيد ، يعقد مجلساً في داره كل يوم أحد يحضره أصناف الناس في المذاهب والآراء ، ثم يتناقشون.

وعلم الرّشيد بذلك ، وأراد أن يستمع إليهم ، فطلب إلى يحيى أن يجلس من وراء ستر بحيث لا يعلمون ليأخذوا حريتهم في المناقشة ، وهكذا كان .

وبدأ النقاش ، فكان المتحاوران (ضرار ) وهو معتزلي و(هشام ابن الحكم ) وهو من أصحاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .

فسأل ضرار هشاماً عن صفات الإمام .

قال هشام : إنها أربع .

١-أن يكون أعلم الناس كلهم بفرائض الله وسننه وأحكامه ، حتى لا يخفى عليه منها دقيق ولا جليل .
٢-وأن يكون معصوماً من الذّنوب كلها .
٣-وأن يكون أشجع الناس .
٤-وأن يكون أسخى الناس .

قال ضرار : من أين قلت أنه أعلم الناس ؟

قال هشام : لأنه إن لم يكن عالماً بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه ، لم يؤمن عليه أن يقلب الحدود ، فمن وجب عليه القطع حدّه ، ومن وجب عليه الحد قطعه ، فلا يقيم لله حداً على ما أمر به ، فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فساداً .

قال ضرار : فمن أين قلت إنه معصوم من الذّنوب ؟

قال هشام : لأنه إن لم يكن معصوماً من الذّنوب ، دخل في الخطأ فلا يؤمن أن يكتم على نفسه ويكتم على حميمه وقريبه ولا يحتج الله عز وجل بمثل هذا على خلقه .

قال ضرار : فمن أين قلت إنه أشجع الناس ؟

قال هشام : لأنه فئة للمسلمين الّذين يرجعون في الحروب ، وقال الله عزّ وجل ﴿ ومن يولهم يومئذٍ دبره إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ﴾ فإن لم يكن شجاعاً فرّ ، فيبوء

بغضب من الله ، فلا يجوز أن يكون من يبوء بغضب من الله حجـــة لله على خلقه .

قال ضرار : فمن أين قلت إنه أسخى النّاس ؟

قال هشام : لأنه خازن المسلمين ، فإن لم يكن سخياً تاقت نفســه إلى أموالهم فأخذها ، فكان خائناً ، ولا يجوز أن يحتج الله على خلقه بخائن .

قال ضرار فمن هذا بهذه الصّفة في هذا الوقت ؟

فقال هشام : صاحب العصر أمير المؤمنين

وكان هارون الرّشيد قد سمع الكلام كله، فقال عند ذلك: يا جعفر ( كان جعفر بن يحيى جالساً معه في السّتر ) من يعني هذا ؟

قال : يا أمير المؤمنين يعني موسى بن جعفر .

قال هارون : ما عنى بها غير أهلها ، ثم عضّ على شفتيه وقال : مثل هذا حي ويبقى لي ملكي ساعة واحدة ؟ فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف .

وعلم يحيى أن هشاماً قد أُتي ، فدخل السّتر ، فقال له هارون : من هذا ؟ فقال له يحيى : يا أمير المؤمنين تكفى تكفى .

ثم خرج إلى هشام فغمزه ، فعلم هشام إنه قد اُتي ، فقام يريهم أنــه يبول أو يقضي حاجة ، فلبس نعليه وانسلّ ، ومرّ ببنيه وأمرهم بالتواري ، وهرب ، ومرّ من فوره نحو الكوفة، ونزل على بشير النبّال وكان من حملة

الحديث من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام فأخبره الخبر ، ثم اعتلّ علة شديدة ؟ فقال له بشير : آتيك بطبيب ؟

قال : لا، أنا ميت .

فلما حضره الموت قال لبشير : إذا فرغت من جهازي فـاحملني في جوف اللّيل وضعني بالكناسة ، واكتب رقعة وقل هذا هشام بن الحكم الّذي طلبه أمير المؤمنين مات حتف أنفه .

وكان هارون قد بعث إلى إخوانه وأصحابه ، فأخذ الخلق به ،فلما أصبح أهل ألكوفة رأوه ، وحضر القاضي وصـاحب المعونـة والعامـل والمعدّلون بالكوفة ، وكتب إلى الرّشيد بذلك .

فقال الرّشيد :الحمد لله الّذي كفانا امره ، فخلّى عمن كان اخذ به[1]

❁❁❁

قلنا في الحديث عن أسلوب الصّادق عليه السلام في مواجهة الظالمين ، إن الأئمة كلهم أتخذوا في ذلك أسلوبين .

أما الأول فقد تكلمنا عنه بإسهاب وهو التثقيف الإسلامي .

**وأما الأسلوب الثاني :**

وهو أسلوب التربية الخاصة التي كان يعنى بها الإمام بل كل الأئمـة عليهم السّلام تجاه شيعتهم ومواليهم ، وقد كانوا يستخدمونه مع شيعتهم

---

[1] – كمال الدّين وتمام النعمة جزء ٢ ص ٣١ كما نقله صاحب البحار في الجزء ٤٨ ص ٢٠٢ .

الخاصة ممن كان يتولاهم عملياً وعقائدياً فليس كل المسلمين كانوا يعرفون رأي الإمام في الحكومة العباسية مثلاً ، بل لا شك أن كثيراً من أولئك كانوا يتصورون أن الأمام الرّضا عندما أصبح ولياً لعهد المأمون ، أنه قد انسجم مع الدّولة العباسية وأصبح جزءً لا يتجزأ منها وهكذا ...

فكان على الأئمة عليهم السلام أن يبيّنوا رأيهم الخاص من كل مسألة من مسائل الناس ، خصوصاً تلك الّتي تتعلق بأحكام السّلطة والدّولة والحاكمين .

والإمام – بدوره – لا يستطيع أن يُفضي برأيه الخاص على كل سائل ، فإن في ذلك مشاكل خطيرة ، ربما تؤدي إلى القضاء على حياة الإمام أو السّائل نفسه أو إرباك المجتمع أو الخطط الّتي كان يمارسها الأئمة عليهم السلام في تثقيف الأمة وصيانتها من فساد الحاكمين ( يرتبط هذا بموضوع التقية ) الّذي سوف نفرد له مجالاً نتحدث عنه إن شاء الله .

# الأئمة يمنعون أصحابهم من العمل لدى حكام الجور

سبق منا الحديث عن صفوان الجّمال الّذي يعتبر من خاصة شيعة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، والّذي كان مقرباً إلى هارون الرّشيد ويكري له جماله عندما يذهب للحج.

وقد منعه الإمام عن ذلك لأنه يعتبر في الميزان الشّرعي الدّقيق معاونة على الظّلم واستمرار الظّالمين .

وإذا كان الإمام موسى بن جعفر يمنع ( صفوان ) من معاونة الظالمين في كراء جماله ، فإننا نراه في موضع آخر يشدّد على ( علي بن يقطين ) الّذي كان من الموالين المخلصين له ، كما كان وزيراً لهارون الرّشيد أيضاً نرى الإمام هنا يشدد عليه بالبقاء في منصبه ليقضي حوائج الشّيعة الّتي انتهكها سلاطين الجور . ولا شك أن منصب الوزارة منصب خطير جداً لا يقاس أبداً بموضوع ( كراء الجمال ) ولكن الإمام هناك نراه يمنع الكراء وهنا يطلب من ( علي بن يقطين ) البقاء في الوزارة لمصلحة عامة تقتضي البقاء وإن كانت في مجملها تساهم في الظّلم والجور . ولكن الأساس في ذلك هو الأهم الّذي يقدم على المهم ، فإذا استطاع الإنسان أن يحقق أمراً خطيراً ينفع الإسلام والمسلمين ، لكنه يستتبع بعض المخالفات الّتي لا ترقى في أهمية سلبيتها إلى مصاف الإيجابيات فليكن ذلك .

ولنستمع الآن إلى قصة علي بن يقطين الّذي كان وزيراً لهارون وكان يتشيع في نفس الوقت للإمام موسى بن جعفر عليه السلام من حيث لا يدري هارون ، ولكن علياً هذا كان يدرك عظم المسؤولية الّتي هو فيها والمظالم الّتي ربما يشارك فيها بإعتباره وزيراً للظالم فيضيق صدره مما هو فيه .

فكتب إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إن قلبي يضيق مما أنا عليه من عمل السّلطان ، فإن أذنت لي جعلني الله فداك هربت منه ؟ فجاء الجواب كما يلي :

(( لا تفعل ... فإن لنا بك أنساً ولإخوانك بك عزاً ، وعسى أن يجبر الله بك كسراً ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه .

يا علي : كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم .

إضمن لي واحدة وأضمن لك ثلاثاً .

إضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلاّ قضيت حاجته وأكرمته وأضمن لك : أن لا يضلك سقف سجن أبداً ولا ينالك حد سيف أبداً ولا يدخل الفقر بيتك أبداً .

يا علي : من سرّ مؤمناً فبالله بدأ وبالنبي ( ص ) ثنّى وبنا ثلّث [1] ))

ونستطيع أن نجعل من هذا القبيل ما يحدثنا التاريخ عن الإمام الرّضا عليه السلام وقبوله لولاية العهد فلقد كان شيعته المخلصون يستغربون منه كيف

[1] - البحار جزء ٤٨ ص ١٣٦ .

يدخل في دولة أولئك الظّالمين في حين أن موسى بن جعفر عليه السلام مثلاً يمنع إكراء الجمال لهارون لأن ذلك ينطوي على تعاون على الإثم والعدوان .

ولكن الرّضا عليه السلام ، يصرح لخاصة شيعته بما كان منه في ذلك ....

يقول الرّيّان : دخلت على علي الرّضا عليه السلام فقلت له يا ابن رسول الله إن الناس يقولون إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزّهد في الدنيا ؟

فقال عليه السلام : قد علم الله كراهيّ لذلك ، فلما خيّرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل ...

وذكر المدائني قال : لما جلس الرّضا عليه السلام في الخِلع [1] . بولاية العهد فأقام بين يديه الخطباء والشّعراء وخفقت الأولوية على رأسه ، فذكر عن بعض من حضر ممن كان يختص بالرّضا .

أنه قال : كنت بين يديه في ذلك اليوم فنظر إليّ وأنا مستبشر بما جرى فأومأ إليّ أن أدنُ ، فدنوت منه فقال لي : من حيث لا يسمعه غيري : لا تشغل قلبك بهذا الأمر ولا تستبشر له ، فإنه شيء لا يتم [2] .

وإذا دققنا في جملة ( فقال لي من حيث لا يسمعه غيري ) نستكشف أن الإمام عليه السلام ، كان يكلم الناس على حسب مراتبهم والتصاقهم بالإمامة ، فليس كل ما يعلم يقال .

[1] – الخِلع جمع خلعة وهي الهدية الّتي تقدم بهذه المناسبات .
[2] – البحار جزء ٤٩ ص ١٤٧ .

فالّذي يقال للخاصة من الناس ، ليس من الضّروري أن تعلمه العامة والموضوع منطقي جداً .

ونوجز الكلام بأن الأئمة عليهم السلام كانوا يربوّن شيعتهم المرتبطين بهم عقائدياً تربية إسلامية خالصة لا يشوبها شيء من مهادنة للظالم ـــ وكل الحاكمين كانوا ظالمين ـــ لأنهم لا يحكّمون الإسلام بل ينتهكون منه حرماته .

وكانوا يثقفونهم على أن معاونة الظّالم ـــ ولو كانت بسيطة ـــ فهي من المحرمات .

كان الصادق عليه السلام يقول لهم (( إياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور ، أيّما مؤمن قدّم مؤمناً في خصومة إلى قاضٍ أو سلطان جائر فقضي عليه بغير حكم الله فقد شركه في الإثم )) .

فإذا حصلت بينهم خصومة فعليهم أن يرجعوا إلى رجل منهم ، فيقول في مورد آخر (( انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم قاضياً فإني قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه )) [1] .

واعتبر الإمام الصّادق أن التقاضي لدى أولئك ( حكام الجور ) إنما هو التجاء إلى الطّاغوت .

فيقول (( إيما رجل كان بينه وبين أخ له مماراة في حق ، فدعاه إلى رجل من إخوانكم ليحكم بينه وبينه فأبى إلاّ أن يرفعه إلى هؤلاء ، كان

[1] - الصّادق والمذاهب الأربعة | أسد حيدر جزء ٤ ص ٧١ .

بمنـــزلة الّذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ ألم تر إلى الّذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ [1] .

بل إن الإمام الصّادق عليه السلام كان يبذل أمواله الخاصة للمتخاصـــمين لئلاّ يترافعوا إلى السّلاطين وأعوانهم . يقول أبو حنيفة سائق الحاج : مـــرّ بنا المفضل وأنا وختني نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ، ثم قال لنا : تعالوا إلى المنـــزل فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمائة درهم ، فدفعها إلينا مـــن عنده حتى إذا استوثق كل واحد منا من صاحبه قال : إنها ليست مـــن مالي : ولكنْ أبو عبد الله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصـــحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأفتديهما من ماله ، فهذا من مـــال أبي عبـــد الله عليه السلام [2] .

---

[1] - من لا يحضره الفقيه جزء ٣ ص ٤ .
[2] - البحار جزء ٤٧ ص ٥٧ و٥٨ نقلاً عن الكافي جزء ٥ ص ٧٦ .

# جماهيرية الأئمة
# كانت سبباً لحقد الحكام

الجماهيرية التي تمتع بها الأئمة عليهم السلام،توفرت لهم من عدة أسباب:

١-من الموهبة العلمية ، وقد تكلمنا عنها في الصفحات السابقة .

٢-كونهم أهل بيت النبي ( ص ) الّذين مدحهم القرآن .

٣-المظلومية التي شملتهم جميعاً .

٤-فسق الحكام الظالمين

٥-أخلاق الأئمة وعبادتهم

٦-موقف الأئمة عليهم السلام من مخالفيهم .

كل تلك الأسباب وغيرها حققت جماهيرية كبرى للأئمة عليهم السلام بحيث كانت تأخذ بتلابيب السّلاطين فتقضّ مضاجعهم وتقلق حياتهم المترفة ، فيجدون بالنتيجة أن خير وسيلة للتخلص من هذه المنغصات المقلقة هو القضاء على الأئمة وتصفيتهم بهدوء ، حيث يتحقق لهم خلو السّاحة .

حتى أن أبا جعفر المنصور، كان يخشى على خلافته مما وصل إليه الإمام جعفر الصّادق من علو منزلة وسمو مكانة بين المسلمين عامة والشّيعة خاصة فكان يصفه بأنه الشّجى المعترض حلقه[1].

[1] - تاريخ اليعقوبي جزء ٣ ص ١١٧ .

وكان المنصور يتخبط في إتخاذ الموقف المناسب أزاء الإمام عليه السلام فكتب إليه مرة ( لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس ) ؟

وكأنه تصور أن الإمام سوف يهلّل لذلك ويسارع إليه طمعاً في الدّنيا كما يفعل الآخرون .

فأجابه الإمام : ليس لنا ما نخافك من أجله ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ؟ ولا أنت في نعمة ، فنهنئك ، ولا تراها نقمة فنعزيك بها ، فما نصنع عندك ؟ فكتب إليه المنصور : تصحبنا لتنصحنا .

فأجابه : من أرادّ الدّنيا لا ينصحك ، ومن أراد الآخرة لا يصحبك

فقال المنصور لمن حوله : والله لقد ميزّ عندي منازل الناس ، من يريد الدّنيا ممن يريد الآخرة ، وإنه ممن يريد الآخرة لا الدنيا[1] .

ثم يبعث المنصور إلى الإمام في المدينة ليستدعيه قسراً إلى العراق عدة مرات ، ليوقفه بين يديه ، يريد بذلك إنتقاصه أمام الناس والتصغير من شأنه[2] .

وأخيراً لا يجد حلاً للقضاء على الصّادق إلاّ أن يدس إليه السّم ، وهو الّذي حصل بالفعل ، ومع ذلك فإنه عندما علم بموته تظاهر أولاً بالتأسف والجزع عليه لكيلا توجه إليه التهمة ، ثم طلب من عامله على المدينة أن يضرب عنق وصيه ليتخلص نهائياً مما يعترض حلقه من شجى .

---

[1] - البحار جزء ٤٧ ص ١٨٤ .
[2] - تاريخ الشيعة ص ٤٥ للمظفري .

يقول أبو أيوب الخوزي بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الّليل فدخلت وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يديه كتاب ، فلما سلمت عليه ، رمى الكتاب إليّ وهو يبكي وقال : هذا كتاب محمد ابـــن سليمان[1] يخبرنا أن جعفر بن محـــمد قد مات فإنا لله وإنا إليه راجعـــون ـــ ثلاثاً ـــ وأين مثل جعفر ؟

ثم قال لي: أكتب ، فكتبت صدر الكتاب ، ثم قال : أكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدّمه واضرب عنقه .

قال: فرجع الجواب إليه : إنه قد أوصى إلى خمســـة ( أبي جعفـــر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى ابني جعفر وحميدة ) [2] .

فقال المنصور : ليس إلى قتل هؤلاء سبيل [3] .

والإمام عليه السلام بفطنته وفراسته ومعرفته بحال المنصور ، إتخذ الحيطة في الوصية ، فهي للإمام موسى بن جعفر حسب التعيين الرّباني ولكنه أشرك معه ظاهراً أربعة آخرين منهم المنصور نفسه تحاشياً وتوقياً .

والجماهيرية الّتي أبتدأنا بها الحديث ، الّتي كان يتمتع بهـــا الأئمـــة عليهم السلام لم يكن يختص بها إمام دون إمام ، فهم فيها سواء ، إبتـــداء من علي عليه السلام وإنتهاء بالحسن العسكري ، وهي ليست نتيجـــة ســـلوك مفتعل يسلكه الأئمة وكأنهم بذلك يريدون أن يدخلوا في سباق ومنافسة

---

[1] – محمد بن سليمان العباسي عامل المنصور على المدينة .
[2] – حميدة هي زوجة الإمام الصادق .
[3] – البحار جزء ٤٧ .

مع السّلاطين أيهما يكسب الجماهير أكثر وإنما هي حالة طبيعية تــوفرت لهم نتيجة لعوامل شتّى ، ولا يمكن أن تتحقق لغيرهم أبداً بالغاً ما بلغ من إمكانات المال والسّلطان .

وموضوع الارتباط بالجماهير والإنشداد إليهم ، طريقة اتبعها الأئمة عليهم السلام وسار عليها أتباعهم المخلصون فعلماء الشّيعة علــى مــر التاريخ كانت طريقتهم ولا يزالون يرتبطون بالأمة وليس الحاكم ، علــى العكس من طريقة إخواننا ( أهل السّنة ) الّذين يتميزون بأنهم يرتبطــون بالحاكم وليس الأمة .

ولعل هذا ناشيء من أن الشيعة يعتبرون الحكام غاصــبين للحكــم الشّرعي وحيث أنهم لا يحكمون بما أنزل الله فهم فاسقون ، وإن التقرب إليهم والاصطفاف معهم يخرج الإنسان من ورعه وتقواه وبالتالي يسقطه لدى الأمة الّتي تعيش طريقة الأئمة في وجدانها

والحديث في هذا الموضوع يطول، لسنا بصدده الآن،ولعلنا نتفرغ له يوماً،أما إخواننا من (أهل السّنة) فنظرتهم إلى الحاكم تختلف اختلافاً كلياً.

ولقد عمل السّلاطين من الحقبة الأولى من تاريخ الإسلام وإلى يومنا هذا على أن لا يجعلوا لبشر غيرهم حالة من الهيمنة على الأمة والتأثير فيهم

ونحن الّذين عشنا في العراق ، نستطيع أن نستظهر بسهولة كيف أنّ الحكام بصورة عامة يصعب عليهم أن يجدوا لمرجع التقليد تأثيراً متميــزاً على قطاع واسع من الأمة .

وكمثل على ذلك عندما كان يفتي قاضي الحكومة برؤية الهلال في بداية شهر رمضان أو نهايته ، فإن الجماهير المؤمنة تنتظر ما يقوله مرجع التقليد ، وكان هذا يغيض الحكام كثيراً ... وهكذا ...

وإذا كنا نجد لمرجع التقليد الآن تلك الهيمنة الرّوحية على عواطف الجماهير ، كيف الحال بالأئمة عليهم السّلام ، الّذين كانوا يفوقون العلماء بآلاف المرات .

**أما السبب الثاني من أسباب الجماهيرية فهو :**

٢- كونهم أهل بيت النبي ( ص ) الّذين مدحهم القرآن الكريم في آية التطهير ﴿ إنما يريد الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ وآية المباهلة ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ .

هذا إذا أردنا أن نغضّ الطّرف عن الآيات الكثيرة والأحاديث المتواترة والمناسبات والقصص التي وردت في حق علي وأبنائه والتي عمل المناوؤن وعلى رأسهم معاوية على طمسها والّتي لسنا بصددها الآن .

وآية التطهير وآية المباهلة لو لم تكونا من القرآن الكريم لعمل القوم على طمسهما ، ولكنّ الله كان قد تكفل بحفظ القرآن ﴿ إنا نحن نزلنا الذّكرَ وإنا له لحافظون ﴾ فأهل البيت لا يستطيع إنسان مسلم ( غير معاند ) أن ينكر فضلهم وليس لمسلم أن ينكر أنهم ينسبون إلى النبي (ص)

ومن هنا نستطيع أن نتلمس مدى قوة الخديعة الّتي أستغلّها بنو العباس في دعوتهم بالخفاء للرّضا من أهل البيت ، فالمسلمون جميعاً ـ عدا أولئك الّذين يستحوذ عليهم بنو أمية مباشرة في الشّام [1] كانوا يعرفون فضل أهل البيت ويتعاطفون معهم . ويرون أنّ الخلاص من ظلم بني أمية لا بدّ أن يكون على يد أهل بيت النبوة .

وبقي بنو العباس يتكتمون على نواياهم الخاصة إلى أن بويع لأبي العباس السّفاح بالكوفة.

ولذلك ـ حيث أن الناس كانوا يتصورون أن الدّعوة للرّضا من أهل البيت لا تتجاوز ذرية الرّسول خاصة ـ فإن أبا سلمة الخلاّل أراد أن يسلّم الدّولة للصّادق (عليه السلام) ، وكان يعتقد أن الأمة سوف تتقبل ذلك بكل رحابة صدر وسوف يتمّ الأمر بدون معاناة .

وسلاطين بني العباس يعرفون ما لذرية الرّسول ( ص ) من أهمية لدى عموم الناس ، فاستغلوا هذه الناحية وتمسّكوا بها وتكتموا عليها وأفصحوا وأوضحوا وأعلنوا للناس أن المقصود من أهل البيت هم بنو العباس دون غيرهم ، وحين ذاك كانت قد استتبّت لهم الأوضاع ومسكوا بالزمام وحكموا الناس ـ كغيرهم من الحاكمين ـ بالقوة والحبس والتنكيل ، كما كان يفعل بنو أمية إن لم يزيدوا عليهم .

---

[1] - وحتى أولئك ، فإن التاريخ يذكر منهم نماذج كانوا قد أدركوا التضليل الّذي يمارسه معاوية والّذين كانوا من بعده معهم ، وبالتالي كانوا يجعلون لأهل البيت مرتبة عظيمة من الفضل .

لقد ذهب جيل وجاء من بعدهم جيل آخر ، وإذا كانت حجة الجيل الجديد أن السابقين انتهكوا المحارم ونشروا الظّلم واقترفوا الموبقات فإن القادمين الجدد لم يكن همهم نشر العدالة ـــ كما أعلنوا في بيانهم الأول ، خطبة أبي العباس ـــ وإنما للتحكّم برقاب الناس كما تحكّم غيرهم وإذا رأوا أن أصحاب الحق ( أهل البيت ) قد أزيحوا من قبل الّذين سبقوهم ( بني أمية ) ، فما الّذي يمنع بني العباس أن يمسكوا بزمام الأمور وتكاد تكون حجتهم أقوى من السّابقين بإعتبارهم ينتسبون إلى الرّسول (ص) .

فإذا ما تسلموا الأمور ، بدأت الفضائع وانتشرت المظالم كما كانت في السّابق . (وان تردّي الوضع السّياسي والأخلاقي للحاكمين في تلك الفترة انعكس على كافة طبقات الأمة ، فلم يسلم منه احد سواء العامة والجمهور أو قادة الرّأي وأقطاب المجتمع والعلماء ، لذا كان الرّأي العام قد اتجه بشكل قوي وواضح باتجاه أهل البيت عليهم السلام حيث أن قادة أهل البيت وأئمتهم أمثال الصّادق والكاظم والرّضا عليهم السلام كانوا هم المفزع للأمة وملجأ الإستغاثة ومحور التجمع والمعارضة .

فقد كانوا يمثلون موقع القيادة ومقام الإمامة في البيت النبوي الكريم في تلك الفترة ، وكانت القلوب تفيض بحبهم والولاء لهم وتثق بما ترى من ورع وعلم وتقوى وصدق في القول والعمل ، ولذلك نشاهد ثورات العلويين تمتد في بلاد الديّلم وخراسان والأهواز والبصرة والكوفة والمدينة

ومكة وأفريقيا واليمن وغيرها من البلدان الإسلامية وتلقى التأييد والنصرة وينضم إليها الأتباع والأنصار ، إبتداء من ثورة زيد والمجتمع الإسلامي يعيش في شدّ وصراع وتوتر سياسي وأمني مستمر ومحوره وعقله الثوري وطلائعه في الجهاد هم العناصر العلوية وأتباعهم وقادتهم .

وكان الكل يشاطرهم الإحساس والموقف ، ولكن يصعب عليهم أو تحول الظروف دون المقاومة المسلحة وإعلان الثورة والجهاد .

لذالك نشاهد الأمة بمختلف طبقاتها تفزع للتأييد وتعلن الولاء سراً وعلناً لمجرد سماعهم بتحرك العلويين)[1] .

ووقع خلفاء بني العباس في حيرة نتيجة تلك الثورات واضطراب الأطراف وانكشاف الحيلة الّتي تمسك بها العباسيون في الدّعوة للرضا من أهل ألبيت .

ولذلك نرى هارون الرّشيد يسأل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ويقول له : (( اخبرني لم فضلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة وبنو عبد المطلب ونحن وانتم واحد ، إنا بنو العباس وانتم ولد أبي طالب وهما عما رسول الله (ص) وقرابتهما منه سواء ؟

فقال الإمام : نحن أقرب

قال : وكيف ذلك ؟

قال الإمام : لأن عبد الله وأبا طالب لأب وأم وأبوكم العباس ليس هو من أم عبد الله ولا من أم أبي طالب .

[1] -الإمام الرّضا (ع) مؤسسة البلاغ عدد ١٠ ص ٦٦ وما بعدها .

قال هارون : فلم ادعيتم أنكم ورثة النبي ( ص ) والعم يحجب ابن العم وقُبض رسول الله (ص) وقد توفي أبو طالب قبله والعباس عمه حي ؟

قال الإمام : إن في قول علي بن أبي طالب عليه السلام ليس مع ولد الصّلب ذكراً كان أو أنثى لأحدٍ سهم إلاّ للأبوين والزّوج والزّوجة ، ولم يثبت للعم مع ولد الصّلب ميراث ، ولم ينطق به الكتاب ، إلاّ أنّ تيماً وعدياً وبني أمية قالوا : العم والد رأياً منهم بلا حقيقة ولا أثر عن النبي (ص) .

قال هارون : زدني يا موسى .

قال الإمام : إنّ النبي ( ص ) لم يورّث من لم يهاجر ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر .

فقال هارون : ما حجتك فيه ؟

قال الإمام : قول الله تبارك وتعالى ﴿ والّذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴾[1] وإن عمي العباس لم يهاجر

فقال هارون أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحداً من أعدائنا أم أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشيء ؟

قال الإمام : اللّهم لا .

قال هارون : كيف قلتم أنا ذرية النبي ، والنبي ( ص ) لم يعقب ؟ وإنما العقب للذكر لا للأنثى ، وأنتم ولد الإبنة ولا يكون لها عقب .

[1] - سورة الأنفال آية ٨.

فقال الإمام : أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿ ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى ﴾[1] من أبو عيسى يا أمير المؤمنين ؟

فقال هارون : ليس لعيسى أب .

فقال الإمام : إنما ألحقناه بذراري الأنبياء من طريق مريم وكذلك أُلحقنا بذراري النبي ( ص ) من قبل أُمنا فاطمة عليها السلام وأزيدك يا أمير المؤمنين .

قال هارون : هات .

فقال الإمام : قول الله عز وجل ﴿ فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾[2] ولم يدع أحد أنه أدخل النبي تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلاّ علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان تأويل قوله عزّ وجل ( أبناءنا الحسن والحسين ونسائنا فاطمة وأنفسنا علي بن أبي طالب )[3].

وروى السّيد المرتضى في كتاب العيون والمحاسن عن الشّيخ المفيد رضي الله عنه قال : لما سار المأمون إلى خراسان وكان معه الرّضا علي ابن موسى عليه السلام فبينما هما يسيران إذ قال له المأمون : يا أبا الحسن إني فكرت

[1] – سورة الأنعام آية ٨٤
[2] – سورة آل عمران الآية ٦١ .
[3] – البحار جزء ٤٨ ص ١٢٦ وما بعدها .

في شيء فنتج لي الفكر الصّواب فيه ، فكرت في أمرنا وأمركم ونسبنا ونسبكم فوجدت الفضيلة فيه واحدة ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبية .

فقال له أبو الحسن الرّضا عليه السلام إن لهذا الكلام جواباً إن شئت ذكرته لك وإن شئت أمسكت .

فقال له المأمون : إني لم أقله إلاّ لأعلم ما عندك فيه .

فقال له الرّضا عليه السلام أنشدك الله يا أمير المؤمنين لو أن الله تعالى بعث نبيه محمداً ( ص ) فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الآكام يخطب إليك إبنتك كنت مزوّجه إياها؟

فقال : يا سبحان الله وهل أحد يرغب عن رسول الله ( ص ) ؟

فقال له الرّضا عليه السلام أفتراه كان يحلّ له أن يخطب إليّ؟

قال : فسكت المأمون هنيئة ، ثم قال : أنتم والله أمسّ برسول الله (ص) رحماً [1].

## ٣- المظلومية

والمظلومية تعتبر سبباً مهماً من أسباب جماهيرية الأئمة عليهم السلام والمظلومية لا زمت أئمة أهل البيت من ذرية الرّسول ( ص ) وهي لم تشمل إماماً دون إمام ، فكلهم في المظلومية سواء ، إبتداءً من علي عليه السلام وإنتهاء بآخر إمام ، الّذين عايشوا بني أمية أو الّذين عايشوا بني العباس .

[1] - البحار جزء ٤٩ ص ١٨٧ .

والمظلومية عادة تؤثر أثرين :

أ – الناس عادة مع المظلوم وليس مع الظّالم ، مع المسروق وليس مع السّارق ، مع المعتدى عليه وليس مع المعتدي ، وهي طبيعة بشرية متأصلة تدفع الإنسان المحايد إلى أن يأخذ بحق المظلوم مهما استطاع إلى ذلك سبيلا .

ب – ولو كان المظلوم منهم واحداً لكان له تفسير معيّن ، ولكن المظلومين من أهل البيت ( كل الأئمة ) وهذا ينبيء عن أنهم جميعاً كانوا في خط العدالة ، ولذلك لم يطق خلفاء الجور تحملهم .

وإذا كان بنو أمية قد قتلوا الحسين عليه السلام جهاراً نهاراً وسبّب لهم ذلك مشاكل ومتاعب لم تنته إلاّ بسقوط دولتهم ، فإن الّذين جاءوا من بعد يزيد سواء كانوا من بني أمية أو من بني العباس ، كانوا يقضون على الأئمة عليهم السلام بالسم لتكون موتة باردة لا تؤثر أثراً عكسياً فتنغّص عليهم حياتهم ودولتهم .

ومع ذلك نجد أن القاتلين يخشون من العاقبة الّتي لا بدّ أن تكون وخيمة جداً ، فيتباكون على القتيل ، كما فعل المنصور والمأمون مع الصّادق والرّضا عليهما السلام .

وقد يستقدم القاتل عدداً من شهود الزّور من القضاة ووعاظ السّلاطين : فيشهدون أن الإمام مات حتف أنفه غير مقتول ولا مسموم[1] كما فعل هارون الرّشيد مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

وحتى بعد موته سلام الله عليه والإشهاد عليه ، فإن هارون كان يخشى أن يعلن موته ، فيجتمع الشّيعة والغاضبون على حكم بني العباس لتشييع الجنازة ، فيحدث ما لا تحمد عقباه ، وإنما يكتفي بأن يحمله أربعة حمالين فقط ، تماماً كما فعل ( صدام حسين ) طاغية العراق عام ١٩٨٠ عندما قتل السّيد محمد باقر الصّدر ودفنه ليلاً دونما تشييع خوفاً من غضبة الجماهير .

فقد جاء في البحار :

( ... توفي موسى بن جعفر عليه السلام في يدي السّندي بن شاهك، فحمل على نعش ونودي عليه هذا إمام الرّافضة فاعرفوه.

فلما أُتي به مجلس الشّرطة أقام أربعة نفر ، فنادوا ألا من أراد أن يرى الخبيث بن الخبيث موسى بن جعفر فليخرج .

وخرج سليمان بن أبي جعفر[2] من قصره إلى الشط ، فسمع الصّياح والضّوضاء ، فقال لولده وغلمانه : يوشك أن يفعل هذا به في الجانب

---

[1] – فإن هارون دعا ثمانين رجلاً من الفقهاء والوجهاء وأدخلهم على الإمام موسى ابن جعفر عليه السلام وقال لهم : انظروا هل حدث به حدث ( الشيعة والحاكمون محمد جواد مغنية ص ١٦٥ ) .

[2] – عم هارون .

الغربي[1] ، فإذا عبر به فانزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم فإن مانعوكم فاضربوهم وخرّقوا ما عليهم من السّواد .

فلما عبروا به نزلوا إليهم ، فأخذوه من أيديهم وضربوهم وخرّقوا عليهم سوادهم ووضعوه في مفرق أربعة طرق ، وأقام المنادون ينادون ألا من أراد الطّيب ابن الطّيب موسى بن جعفر فليخرج .

وحضر الخلق وغسّل وحنط بحنوط فاخر وكفنّه بكفن فيه حبرة استعملت له بألفين وخمسمائة دينار ، عليها القرآن كله واحتفى[2] ومشى في جنازته متسلباً مشقوق الجيب إلى مقابر قريش ، فدفنه عليه السلام هناك وكتب بخبره إلى الرّشيد .

فكتب هارون إلى سليمان بن أبي جعفر : وصلتك رحم يا عم ، وأحسن الله جزاءك .

والله ما فعل السّندي بن شاهك لعنه الله ما فعله من أمرنا [3] .

فإذا كانت تلك ظلامة الأئمة : في قتلهم ، فإنهم : كانوا يلاقون أنواع المضايقات في حياتهم من قبل الخلفاء وعمالهم من حبس وملاحقات ومداهمات للبيوت وإستقدام من المدينة إلى مقر الخلافة في دمشق والحيرة والكوفة وبغداد وسامراء وطوس .

---

[1] - يبدو أنه كان يخشى أن يفعل هذا في الجانب الغربي لأنه كان موطن الشّيعة ، فكان يخشى من ردود الفعل .

[2] - احتفى بمعنى مشى حافياً .

[3] - عيون أخبار الرّضا ص ٢٢٠ .

والخلفاء بأجمعهم كانوا يعرفون المرتبة العالية للأئمة ، ومع ذلك فلم يكونوا يتحملون أن يجدوا أحداً أن يبزّهم في عملهم وأخلاقهم وإرتباط الناس بهم وتوجههم إليهم ، حتى إن هارون كان ربما صعد سطحاً يشرف منه على الحبس الّذي حبس فيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فكان يرى الإمام ساجداً فقال للربيع : ما ذاك الثوب الّذي أراه كل يوم في ذلك الموضع ؟

قال : يا أمير المؤمنين ما ذاك بثوب وإنما هو موسى بن جعفر ، له كل يوم سجدة بعد طلوع الشّمس إلى وقت الزّوال .

فقال هارون : أما إن هذا من رهبان بني هاشم .

قال الرّبيع : فما بالك ، فقد ضيّقت عليه في الحبس ؟

قال : هيهات لا بدّ من ذلك .

ويتصور هارون أنّ الإمام قد ضاق ذرعاً بالحبس ، ولكن الواقع أن هارون نفسه ذاق ذرعاً بالإمام موسى ، فقد حاول بشتى السّبل أن يقضي عليه أو على تأثيره في الأمة.

فبعث إليه بجارية جميلة ظناً منه أنها سوف تشغل الإمام عن مهمته السياسية الاجتماعية وأنها سوف تذكّره بالدنيا وملذاتها .

يقول المؤرخون : ( إن هارون الرّشيد ) أنفذ إلى موسى بن جعفر جارية ، لها جمال ووضاءة لتخدمه في السّجن ، فقال للشخص الّذي جاء بها .

قل له ﴿ بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها فاستطار هارون غضباً وقال :

إرجع إليه وقل له : ليس برضاك حبسناك ولا برضاك أخذناك ، وأترك الجارية عنده وانصرف . فمضى ورجع .

ثم قام هارون عن مجلسه وأنفذ الخادم إليه ليستفحص عن حالها فرآها ساجدة لربها لا ترفع رأسها تقول : قدوس سبحانك سبحانك .

فقال هارون : سحرها والله موسى بن جعفر بسحره [1] .

هكذا كان تأثير الإمام في الأمة .

وكم نسمع أن شخصاً كان له تأثير عظيم في أفراد الأمن العراقي عندما يتناقش معهم ، وهو يروى بالخصوص عن الشّهيد حسين معن ، فكيف الحال بالإمام موسى وهو إمام معصوم منزه عن كل عيب ، فما أسهل ما يستطيع أن يؤثر على تلك الجارية ، فتتحول من طالبة دنيا إلى خائفة من يوم الحساب ، فتسجد لله تائبة خاشعة وليخسأ هارون ، فالإمام عليه السلام لم يضق ذرعاً بالسجن أبداً ، بل إنه تفرغ للعبادة إذ يقول : كم طلبت منك يا ربّ أن تفرغني لعبادتك ، وقد فعلت ، فلك الشّكر ويتحدى هارون فيرسل إليه رسالة يقول فيها ( إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء حتى ينقضي عنك يوم من الرّخاء حتى نفنى جميعاً إلى يوم ليس له إنقضاء ، وهناك يخسر المبطلون )[2] .

---

[1] – البحار جزء ٤٨ ص ٢٣٨ .

[2] – البداية والنهاية جزء ١٠ ص ١٨٣ .

وما دام الأئمة : على طريقتهم وديدنهم في الورع والتقوى والعلم والزّهد والاتصال بالناس والتأثير فيهم وحب الناس لهم فإن ديدن الجائرين هو خشية من الأئمة عليهم السلام وتضييق عليهم .

فالمنصور الدّوانيقي كان يعرف الإمام الصّادق وفضله حق المعرفة والإمام هو الّذي أخبره يوم اجتمع بنو هاشم بالأبواء وبايعوا محمد النفس الزّكية ، وقال إنه لا يليها إلاّ ذو القباء الأصفر واشار بيده إلى المنصور .

وكان المنصور يقول : إنني منذ ذلك اليوم رتّبت عمالي ومع ذلك فإنه يتوعد الإمام الصّادق بالقتل عدة مرات .

قال محمد الأسقنطوري : دخلت يوماً على الدّوانيقي ، أي المنصور فوجدته في فكر عميق ، قلت له : ما هذا الفكر ؟

قال : قتلت من ذرية فاطمة بنت محمد ألفاً أو يزيد ، وتركت سيدهم ومولاهم .

فقلت : ومن ذاك ؟

قال : قد عرفت إنك تقول بإمامته وإنه إمامي وإمامك وإمام جميع هذا الخلق ، ولكن الآن أفرغ له[1] .

وفي خبر آخر روي أن المنصور لما أمر الرّبيع بإحضار أبي عبد الله عليه السلام ، فأحضره ، فلما بصر به المنصور قال له قتلني الله إن لم أقتلك أتلحد في سلطاني ؟ وتبغيني الغوائل ؟

[1] – الشيّعة والحاكمون / محمد جواد مغنية ص ١٤٨ نقلاً عن كتاب شرح الشّافية لأبي فراس في مناقب آل الرّسول ومثالب بني العباس ص ١٧١ .

فقال له أبو عبد الله عليه السلام : ما فعلت ولا أردت فإن كان بلغك فمن كاذب ، ولو كنت فعلت ، لقد ظلم يوسف فغفر وابتلي أيوب فصبر وأعطي سليمان فشكر ، فهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك .

فقال له المنصور ، أجل إرتفع إلى هنا .

ثم قال له : إرفع حوائجك .

فأخرج الإمام عليه السلام رقاعاً لأقوام[1] .

فقال المنصور : ارفع حوائجك في نفسك .

فقال الإمام : لا تدعوني حتى أجيئك .

فقال المنصور : ما إلى ذلك سبيل[2] .

إنما ذكرناه كان نماذج قليلة جداً من المظالم والمضايقات الّتي تعرض لها الأئمة عليهم السلام على طول خطهم وتسلسلهم وإن تلك المظالم كانت تثير آلام المسلمين وسخطهم على السّلطة ، فالمسلمون كلهم أو فلنقل إن كثيراً منهم كانوا يعرفون فضل أهل البيت ويحترمونهم ويحبونهم ولا يرضون بتوجيه الأذى لهم .

يقول السّيد جعفر مرتضى :

ومما يؤكد ما كان للإمام الهادي عليه السلام من المكانة العالية في نفوس المسلمين وتعلقهم به كما جاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي وهو

[1] - نلاحظ أن الإمام وقد أستقدمه المنصور يقدم الرّقاع للمنصور يطلب قضاء حوائج الناس وهو الذي جعل محبته في قلوب الناس .

[2] - البحار جزء ٤٧ ص ١٧٥.

يصف ما أصاب الناس من الخوف والقلق حينما بلغهم أن المتوكل العباسي قد أرسل في طلبه يستدعيه إلى عاصمة ملكه في العراق ...

فقد قال لّما بلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس إليه خاف منه ، فدعا يحيى بن هرثمة وقال : إذهب إلى المدينة وانظر في حاله وأشخصه إلينا .

قال يحيى : فذهبت إلى المدينة ، فلما دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ، ما سمع الناس بمثله خوفاً على ( علي الهادي ) وقامت الدّنيا على ساق ، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد لا يميل إلى الدّنيا ومظاهرها

ومضى يحيى بن هرثمة يقول : فجعلت أسكّنهم وأحلف لهم بأني لم أُأمر فيه بمكروه ، وأنه لا بأس عليه ، حتى هدأت حالتهم وسكن ضجيجهم .

ولعل الظّلامة العظيمة الّتي يتعرض لها أهل البيت هي مأساة الحسين عليه السلام ، يوم كربلاء ، فإن تلك المأساة كان لها وقع مهم جداً في نفوس المسلمين كافة وإلى يومنا هذا

والطّريقة التي تعامل بها يزيد بن معاوية مع الحسين وأهل بيته كانت طريقة بشعة للغاية ، ومهما حاول بنو أمية من تبرير لما حدث في كربلاء فإن المأساة تلك تبقى ملتهبة في القلوب لا تنطفيء أبداً .

والمسلمون كلهم يعرفون مكانة الحسين عليه السلام من جده رسول الله (ص) الّذي كان يقول (( الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة )) .

ثم إن الحسين هو ابن فاطمة الزّهراء الّتي هي بضعة من رسول الله (ص) من آذاها فقد آذى رسول الله .

ونستطيع أن نقول إن الحسين عليه السلام كان محبوباً من جماهير الأمة الإسلامية أكثر من حبهم لأبيه ، ذلك لأن قريشاً كانت تبغض علياً عليه السلام لأنه قتل آباءهم وأبناءهم في حروبهم مع الرّسول ، قال ابن أبي الحديد : وقال شيخنا أبو جعفر الإسكافي :كان أهل البصرة كلهم يبغضونه قاطبة وكانت قريش كلها على خلافه وكان جمهور الخلق مع بني أمية[1] . ثم أنه دخل في حروب ثلاث خلّفت أضغاناً كثيرة ، وقد دأب معاوية والّذين جاؤوا من بعده على لعن علي[2] ومعاقبة من يروي في حقه فضيلة عن رسول الله (ص) ، ولكن المسلمين كلهم يروون أن رسول الله قال (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ) حتى أن يزيداً حاول في بداية المأساة أن يقول للناس إن هؤلاء خرجوا على إمام زمانهم (يزيد) ولم يقل إنهم ذرية رسول الله . وكان أهل الشّام يعتقدون في البداية أن هؤلاء هم خوارج فعلاً . ولذلك نرى شيخاً شامياً يدنو من نساء الحسين وعياله وهم أقيموا على درج باب المسجد في الشّام ، فقال :الحمد لله الّذي قتلكم وأهلككم ، وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم .

أما زين العابدين عليه السلام فقد عرف أن هذا رجل قد إستغفلته السّلطة فقال له : ياشيخ هل قرأت القرآن ؟

قال: نعم .

[1] - البحار ج ٣٤ | ٢٩٧ .

[2] -ولا نستبعد أن يكون (اللّعن) قد ولدّ محبة لعلي (ع) في قلوب الناس أو بعضهم على الأقل .

قال : قرأت هذه الآية ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾ .

قال الشّيخ : قد قرأت ذلك .

فقال الإمام : فنحن القربى يا شيخ : وهل قرأت هذه الآية ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى ﴾ .

قال : نعم .

قال الإمام : فنحن القربى يا شيخ : وهل قرأت هذه الآية ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ .

قال الشّيخ : قد قرأت ذلك .

قال الإمام : فنحن أهل البيت خصصنا بأية الطّهارة يا شيخ .

فبقي الشّيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به ، وقال : بالله إنكم هم ؟

فقال الإمام : تالله إنا لنحن هم من غير شك ، وحق جدنا رسول الله إنا لنحن هم .

فبكى الشّيخ ورمى عمامته ، ورفع رأسه إلى السّماء ، وقال : الّلهم إني أبرأ أليك من عدو آل محمد ...[1] .

وقد عمل بنو أمية على طمس أسماء أهل البيت عليهم السلام ويلعنوهم ، ولذلك نرى الإمام زين العابدين عندما يرقى المنبر في مسجد الشّام لا يعرّف نفسه بأنه ( علي بن الحسين بن علي ) فتلك أسماء كان

---

[1] - اللهوف ص ١٥٦ .

بنو أمية قد أدخلوا في أذهان أهل الشّام أهم خارجيون ، وإنما عرّف نفسه بمواقع وأسماء يقدسونها ، لم يكن بنو أمية قد دنّسوا سمعتها بعد ، قال :

أيها الناس : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني أنباته بحسبي ونسبي .

أيها الناس: أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم والصّفا : أنا ابن من حمل الرّكن بأطرّاف الرّداء ، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى وخير من طاف وسعى وحج ولبّى ، أنا ابن من حمل على البراق وبلغ به جبريل سدرة المنتهى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلى بملائكة السّماء ، أنا ابن من أوصى إليه الجليل ما أوصى .

أنا ابن فاطمة الزّهراء سيدة النساء وابن خديجة الكبرى ، أنا ابن المرّمل بالدماء ، أنا ابن ذبيح كربلاء .

وحين بلغ هذا الموضع من خطابه استولى الذّعر على الحاضرين ، وضجّ أغلبهم بالبكاء حين فوجئوا بالحقيقة ، مما أضطر يزيد أن يأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة لتقطع على الإمام عليه السلام خطبته ، غير أن الإمام عليه السلام عندما قال المؤذن ( أشهد أن محمداً رسول الله ) التفت إلى يزيد قائلاً ( هذا الرّسول العزيز الكريم جدك أم جدي ؟ فإن قلت جدك ، علم الحاضرون والناس كلهم أنك كاذب وإن قلت جدي ، فلما قتلت أبي ظلماً وعدواناً وأنتهبت ماله وسبيت نساءه ؟ فويل لك يوم القيامة إذا كان جدي خصمك [1] .

---

[1] الطّبري / الاحتجاج جزء ٢ ص٤٩ ، المقرم / مقتل الحسين ص٣٥٢ .

ولا نستبعد أن أهل الشّام ، كانوا قد سمعوا قول الرّسول ( الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ) ولكنهم ما كانوا يعلمون أن القافلة المسبيّة هم ذرية الحسين سبط الرّسول ( ص ) بل الذي قيل لهم ، إنهم خارجيون كما توضح لنا قبل قليل ، ولذا كانت التفاتة الإمام زين العابدين عليه السلام ، موفقة جداً عندما عرّف نفسه أولاً بأنه ابن زمزم والصّفا .... إلخ ليستقطب إنتباه الناس ، فكلهم يعرف زمزم والصّفا ... ويعرف رسول الله ( ص ) .

وبقدر ما كانت إلتفاتة الإمام موفقة ، كانت محاولة يزيد غبية جداً عندما حاول أن يستر نفسه ، فأمر المؤذن أن يؤذن لكي يقطع على الإمام عليه السلام واسترساله في التأثير على الأمة ، ولكن الإمام أدرك أنّ الضّربة القاصمة ليزيد هي هنا ، في هذا الموقع ، في الأذان بالذات .

من هو رسول الله ؟ جدك ؟ أم جدي ؟ ... وسقط ما في يد يزيد .

وحاول أن يتبرأ ممن فعله ابن زياد ، ثم حاول أن يخفف من سوء العاقبة فأمر ذرية الرّسول بأن ينتقلوا إلى داره بعد ما كانوا في خربة .

ولا ننسى الأثر العظيم الّذي مارسه الإمام زين العابدين عليه السلام ، في المدينة وعمته زينب ، وهما وإن لم يذكرا مثالب بني أمية مباشرة إلاّ أنهما كانا يذكران كيف قتل الحسين ، وكيف قتل أهله وأنصاره وكيف داسوا صدر الحسين بحوافر الخيل ، وكيف حرقوا الخيام وأرعبوا الأطفال إلى آخر ما هنالك من مآس ...

إن ذلك كله ، إضافة إلى ما فعلته حركات التوابين الّذين تـــابوا إلى الله من عدم نصرة الحسين ، إن ذلك كله أصبح يؤجج في النفوس مأساة الحسين عليه السلام ولا تزال النفوس متأججة .

وقد كان الأئمة عليهم السلام، الّذين جاؤوا من بعـــد الحســـين ، يذكرون تلك المأساة ويدعون الناس لتذكرها وإقامة المجالس من أجلها ، لكي تبقى حيّة لا تمحى من النفوس مطلقاً .

وتلك ظلامة عظيمة جداً ، لا تدانيها ظلامة أخرى .

ومن أجل هذا ، أراد المتوكل العباسي أن يمحو ذكر الحسين فحرث القبر وأجرى من حوله الماء ، وعاقب الناس على زيـــارة الحســـين عليه السلام ولكنه لم يجنِ من فعله إلاّ الفشل ، فإن عمليته تلك كانت تزيد في النفوس حبها للحسين وشعورها للمظلومية .

والحسين عليه السلام هو جد كل الأئمة الذين جاؤوا من بعده وقد ورث الأئمة عليهم السلام حب الناس لجدهم الحسين ، وكان طبيعياً جـــداً أن ينتقل إليهم ذلك الحب .

ولقد قلنا إن المظلومية تورث صاحبها حباً وتعاطفاً وتقرّبـــه مـــن الإنتصار ، وأجاد غاندي حينما قال ( تعلمت من الحسين كيف أكـــون مظلوماً فأنتصر ) .

ونذكر الآن سبباً آخر في جماهيرية الأئمة عليهم السلام وهو (فسق الحكام) من معاوية إلى آخر سلطان من بني العباس ونستثني منهم عمر ابن

عبد العزيز الّذي لم يؤثر عنه أنه كان فاسقاً ، أما البقية فضع رجلك على من شئت منهم فكلهم في الفسق سواء ، وإن كان بعضهم كان يحاول أن يتستّر على نفسه ويعاقر الفسوق في مجالس خاصة في محاولة منه لإخفائها عن أعين الناس ، ولكن صدى ذلك كان يتسرّب من أولئك الخاصة إلى خارج الحدود .

وإذا أردنا الحقيقة والواقع فإن معاوية ومن جاء بعده ، إنما كانوا يريدون الخلافة للدنيا ولهوها ولعبها ولو كانوا يريدونها لله وللآخرة لما أغتصبوها .

فإذا علمنا ذلك من الطّبيعي جداً أن نسمع عنهم أنهم اقترفوا المنكرات في الوقت الذي يدّعون فيه أنهم خلفاء رسول الله ( ص ) وإمراء المؤمنين . فتعساً لأولئك الأمراء الّذين يرتكبون الفسق والفجور ولا يستحيون من الله ورسوله .

ولعل فسق الحكام أمر شايع يعرفه القاصي والدّاني . ولكل واحد من أولئك السّلاطين ( خلفاء الجور ) قصة أو قصص تملأ حياته صخباً وضجيجاً في إعراضه عن الله وارتمائه في أحضان الشيطان ولكنني سوف اسوّد صفحات هذا الكتاب بنموذجين من بني أمية ومثلهما من بني العباس وقس عليها ما شئت :

## ٤- فسق الحكام

### أما بنو أمية

فقد كانت ليزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي جارية تسمى (حبابة) وقد غلبت عليه ، فعذله مسلمة بن عبد الملك ( أخوه ) لما عمّ الناس من الظّلم والجور بإحتجابه وإقباله على الشّراب واللّهو ...

واعتلّت حبابة وأقام يزيد أياماً لا يظهر للناس ثم ماتت فأقام أياماً لا يدفنها جزعاً عليها حتى جيفت ، فقيل إن الناس يتحدثون بجزعك وإن الخلافة تجلّ عن ذلك فدفنها وأقام على قبرها فقال :

فإن تسلُ عنك النفس أو تدع الهوى فباليأس تسلو النفس لا بالتجلد

ثم أقام بعدها أياماً قلائل ومات .

وكان يزيد ذات يوم في مجلسه وقد غنته حبابة فطرب طرباً شديداً ثم قال : أريد أن أطير ، فقالت له حبابة : يا مولاي ، فعلى من تدع الأمة وتدعنا [1] .

وكان الوليد بن يزيد ( الخليفة بن الخليفة ) ، صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء وهو أول من حمل المغنين من البلدان إليه وجالس الملهين وأظهر الشّرب والملاهي والعزف ... وكان متهتكاً ماجناً خليعاً ومن مجونه قوله عند وفاة هشام ( الخليفة ، أمير المؤمنين ) وقد أتاه البشير بذلك ، وسلم عليه بالخلافة ، فقال :

[1] - مروج الذّهب الجزء الثالث ص ١٩٦ و١٩٨ .

| | |
|---|---|
| إني سمـعت خـليلي | نحـو الرّصـافة رنّه |
| أقبلت أسحـب ذيلي | أقـول : ما حـالهنّه |
| إذا بنـات الـشـام | يندبـن والـدهـنّه |
| يدعون ويلاً وعـولاً | والـويل حـلّ بهنّه |
| أنا المخـنـث حـقاً | أن لا أنـيكنهـنّه[1] |

وقال أحدهم كنت سميراً للوليد بن يزيد ، فرأيت ابن عائشة القرشي عنده وقد قال له : غنني فغناه .

| | |
|---|---|
| إني رأيـت صبيـحة النـحر | حوراً نفين عـزيمة الصّبر |
| مثـل الكواكب في مطالعها | عند العشاء أطفن بالبدر |
| وخرجت أبغي الأجر محتسباً | فرجعت موقوراً من الوزر |

فقال له الوليد: احسنت والله يا أميري[2] اعد بحق عبد شمس،فأعاد .

فقال : احسنت والله[3]، بحق أمية اعد ، فأعاد ، فجعل يتخطى مـن أب إلى أب ويأمره بالإعادة ، حتى بلغ نفسه ، فقال : اعد بحياتي فأعاد ، فقام إلى ابن عائشة فأكبّ عليه و لم يبق عضواً من أعضائه إلاّ قبله وأهوى إلى أيره يقبله ، فجعل ابن عائشة يضم ذكره بين فخذيه ، فقال الوليـد : والله لا زلت حتى أقبله ، فأبرأه فقبل رأسه وقال : واطرباه واطرباه ونزع

[1] – المصدر السابق ص ٢١٣ .
[2] – حيث إن الوليد بن يزيد أمير المؤمنين فالمغني ابن عائشة أمير أمير المؤمنين
[3] – المصدر السابق ص ٢١٥

ثيابه فالقاها على ابن عائشة وبقي مجرداً إلى أن أتوه بثياب غيرها ودعا له بألف دينار فدفعت له وحمله على بغلة له وقال : اركبها علـــى بســـاطي وانصرف فقد تركتني على أحر من جمر الغظى .

وقرأ الوليد ذات يوم المصحف ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماءٍ صديد ﴾ فدعا بالمصحف فنصبه غرضـــاً للنشاب ، وأقبل يرميه وهو يقول :

أتوعد كـــل جـــبار عـــنيد فها أنا ذاك جبار عنـــيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يارب خرّقني الوليد[1]

وذكر المبّرد أن الوليد ألحد في شعر له ذكر فيه الـــنبي ( ص ) وأن الوحي لم يأته عن ربه ، كذب أخزاه الله ، من ذلك الشّعر :

تلقبَ بالخلافة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب

فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شـــرابي

فلم يمهل بعد قوله هذا إلاّ أياماً حتى قتل[2] .

## وأما بنو العباس

[1] – المصدر السابق ص ٢١٦
[2] – المصدر السابق ص ٢١٦ .

ونطوي السّنين لنصل إلى حكم بني العباس وننظر ماذا فعله أمـــراء المؤمنين هل أنهم ساروا على نهج رسول الله وهم يدّعون أنهم خلفـــاؤه أم اتبعوا الشهوات والباطل :

حدث إبراهيم الموصلي ، قال : جمع الرّشيد ذات يوم المغنين ، فلم يبق أحد من الرّؤساء إلاّ حضر وكنت فيهم ، وحضر معنا مسكين المدني ويعرف بأبي صدقة ، وكان يوقع بالقضيب مطبوعاً حاذقاً طيب العشـــرة مليح البادرة ، فاقترح الرشيد ــ وقد عمل فيه النبيذ ــ صــوتاً ، فــأمر صاحب السّتارة ابن جامع أن يغنيه ففعل ، فلم يطرب عليه ، ثم فعل مثل ذلك بجماعة ممن حضر ، فلم يحرك منه أحد .فقال صــاحب السّــتارة لمسكين المدني : يأمرك أمير المؤمنين إن كنت تحسن هذا الصوت فغنّه .

قال إبراهيم : فاندفع فغناه فأمسكنا جميعاً متعجبين من جرأة مثلــه على الغناء بحضرتنا في صوت قد قصرنا فيه عن مراد الخليفة [1] .

قال إبراهيم : فلما فرغ منه سمعت الرّشيد يقول وقد رفع صوته يــا مسكين أعده فأعاد بقوة ونشاط واجتماع قلب ، فأحســن فيــه كــل الإحسان ، فقال الرّشيد أحسنت والله يا مسكين وأجملت ورفعت السّتارة بيننا وبينه ...[2] .

---

[1] - المقصود خليفة رسول الله هارون .
[2] - المصدر السابق جزء ٣ ص ٣٦

أما المتوكل فقد سعي إليه بالإمام أبي الحسن علي الهادي عليه السلام وقيل له إن في منـــزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته ، فوجه إليه لـــيلاً مـــن الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منـــزله على غفلة ممن في داره ، فوجده في بيت وحده مغلق عليه وعليه مدرعة من شعر ولا بساط في البيـــت إلاّ الرّمل والحصا وعلى رأسه ملحفة من الصّوف متوجهاً إلى ربـــه يتـــرنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ، فأخذ على ما وجد عليه وحمل إلى المتوكل في جوف اللّيل ، فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كأس ، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه و لم يكن في منـــزله شيء مما قيل فيـــه ولا حالة يتعلل عليه بها ، فناوله المتوكل الّذي في يده .

فقال الإمام : يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني منه ، فعافاه وقال أنشدني شعراً أستحسنه .

فقال : إني لقليل الرّواية للأشعار .

فقال المتوكل : لا بدّ أن تنشدني .

فأنشده الإمام :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرّجال فما أغـــنتهم القـــلل

واستنـــزلوا بعد عزٍ عن معاقلهم فأودعوا حـــفراً يا بئس ما نـــزلوا

ناداهم صـــارخ من بعد ما قبروا أيـــن الأسّرة والتيجـــان والحـــلل

أين الوجوه الّتي كانـــت منعمة من دونها تضـــرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدّود يقـــتتل

قد طالما أكلوا دهراً وما شـربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما عمّروا دوراً لتحـصنهم ففارقوا الدور والأهـلين وانتـقلوا
أضحت منازلهم قـفراً معـطلة وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا[1]
وطالما كنـزوا الأموال وادخروا فخـلفوها على الأعـداء وارتحلوا

❁❁❁

جئنا بهذه الأمثلة المقتطفة ليطلع القارئ على نماذج قليلة من فسـق (أمراء المؤمنين الخلفاء) من بني أمية وبني العباس ، ولو أردنا أن نحصـي عليهم موبقاتهم لشطّ بنا الحديث ولاحتجنا إلى مؤلفات ضخمة .

ونحن لا نستبعد هذه المقولة ( الناس على دين ملوكهم ) فقد كان كثير من الناس على دين ملوكهم حقاً ، بل إن الملوك كانوا يريدون مـن الأمة أن ينغمسوا في الشّهوات والفسق والفجور لكـيلا يعيبـوا علـى ملوكهم ما يفعلون .

ومع ذلك فقد كان في الأمة من يستنكر هذه الموبقات خصوصـاً وهي تصدر من أعلا مقام في الأمة ، من المقام الّذي يجب أن يقيم حدود الله وينشر دينه القويم .

---

[1] – المصدر السابق الجزء ٢ ص ١٠ .

ومهما حاول من يدّعي أنه ( أمير المؤمنين ) أن يخفي فسقه وفجوره فلن يستطيع ذلك ، ففي القصر من يفشي تلك المعلومات ، فإذا كانت بعض تلك الجرائم قد وصلت إلينا بما نقله المؤرخون بعد ثلاثة عشر قرناً ، فلا شك أن تلك الجرائم كانت أكثر بكثير مما وصل إلينا .

نعم تلك كانت حياة ( الأمراء ) الّذين يدعون ظلماً وعدواناً أنهم خلفاء رسول الله ( ص ) ومن المعلوم أن الخليفة في كل شيء ، لا بدّ أن يقتفي أثر من يخلفه القذة بالقذة .

ولكن ما عسى هؤلاء (الخلفاء ) يتنكبون الطريق ولا يكتسبون ممن يخلفونه أية فضيلة ، وإنما ركبهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ولم يجدوا أية ركيزة يرتكزون عليها في الإمساك بزمام الناس إلاّ الإبتزاز .

ولو وجدوا مقولة أخرى يحكمون بها الناس غير ( الخلافة ) لفعلوا ولكنهم وجدوا أن هذه المكيدة هي الوحيدة الّتي بها يحكمون .

والناس أولئك الّذين عاصروا تلك الحثالة من ( أمراء المؤمنين ) قلنا إنهم كانوا صنفين ، صنف انسجم مع السلطان ودين السلطان وصنف يستنكر وهم في أكثرهم خائفون فلا يكاد يبدو منهم استنكار ، ولكنهم في جميع الأحوال يستطيعون أن يميزوا بين الخبيث والطّيب ، بين الحسن والقبيح بين ( أمراء المؤمنين ) الفساق وبين أئمة المسلمين الّذين ينحدرون من سلالة الرّسول ( ص ) ويتخذونه لهم قدوة في كل شيء ، ولم ينقل عنهم حتى الأعداء أي منقصة ( والعياذ بالله ) في دينهم وخلقهم ، كما لم

يذكر التاريخ مطلقاً أنهم وجهت إليهم الأسئلة ( من المسائل الشّداد ) وعجزوا عن الإجابة .

كل ما فيهم فضيلة ، وحياتهم كلها تقوى وزهد وورع ، وهذا هو الّذي جعل أكثر الناس ، من شيعتهم المختصين بهم وغيرهم ، يحبونهم ، ويدركون أن الحكام غاصبون ، ليس لهم من الأمر شيء .

والأمة المسلمة كانت تتعاطف مع الأئمة عليهم السلام ويرون أنهم هم الوحيدون الّذين يمثلون خط الرّسول ( ص ) وخط الشّريعة الإسلامية لذلك فقد كانوا يحبونهم ويكنّون لهم المودة والتقدير .

وكتب التاريخ زاخرة بالأمثلة الّتي ندّعيها ، ولكننا سوف نكتفي بنماذج قليلة جداً ...

يذكر التاريخ أن هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي حجّ فلم يقدر على استلام الحجر من الزّحام ، فنصب له منبر فجلس عليه وأطاف به أهل الشّام ، فبينما هم كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزراء ورداء ، من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة ، بن عينيه سجادة كأنها ركبة عنز ، فجعل يطوف ، فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحّى الناس حتى يستلمه ، هيبة له .

فقال شامي : من هذا يا أمير المؤمنين ؟

فقال هشام : لا أعرفه ، لئلاً يرغب فيه أهل الشّام .

فقال الفرزدق ــ وكان حاضراً ــ لكني أنا أعرفه .

فقال الشّامي : من هو يا أبا فراس ؟

فأنشأ قصيدة ذكر بعضها في الأغاني والحلية والحماسة ، ونحن بدورنا نذكر بعضها أيضاً :

هذا الّذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
يغضي حياءً ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلاّ حين يبتسم
ينجاب نور الدجى عن نور غرّته ... كالشّمس ينجاب عن إشراقها الظُلم
ما قال ( لا ) قط إلاّ في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عُد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

فغضب هشام ومنع جائزته ، وقال : ألا قلت فينا مثلها ؟

قال الفرزدق : هات جداً كجده وأباً كأبيه وأماً كأمه حتى أقول فيكم مثلها .

فحبسوه بعسفان بين مكة والمدينة ، فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث إليه بإثني عشر ألف درهم ، وقال : إعذرنا يا أبا فراس ، فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به .

فردّها وقال : يا ابن رسول الله ، ما قلت إلاّ غضباً لله ولرسوله .

فردّها إليه ، وقال : بحقي عليك لمّا قبلتها ، فقد رأى الله مكانك وعلم بنيتك فقبلها .

فجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس فكان مما هجاه به قوله:

أيحبسني بين المدينة والّتي ... إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلّب رأساً لم يكن رأس سيدٍ ... وعيناً له حولاء بادٍ عيوبها

فأخبر هشام بذلك ، فأخرجه إلى البصرة .

يلاحظ على هذه القصيدة ، أنها قيلت بحضرة هشام الخليفة الأموي وفي ظل سلطانه وقوته وجبروته وبالطائفين من حوله من أهل الشّام .

وكان الفرزدق من شعراء البلاط الأموي ، ولذلك فقد كانت قصيدته مفاجأة لهشام ، ولكن الحب الّذي كان يكنّه الفرزدق للإمام ، كان يفوق الدّنيا الّتي يكسبها من هشام ، ولا شك أنه كان يتوقع بعد هذه القصيدة أن يودع السجن ويمنع من الرزق ، ولكن الحب والتقدير كان أقوى من كل ذلك ، ونجد أنه رفض الهدية الّتي بعثها له الإمام عليه السلام ويقول له إنني لم أقل ذلك إلاّ غضباً لله وليس طمعاً في مال ، فالمال الّذي كان يغدقه عليه هشام كثير .

❁❁❁

رأينا قبل عدة صفحات كيف أن أهل المدينة ضجوا ضجيجاً عالياً عندما سمعوا بأن يحيى بن هرثمة قد بعثه الخليفة المتوكل ليأخذ معه الإمام علي الهادي عليه السلام إلى دار الخلافة في سامراء ، حتى بذل يحيى جهوداً في تهدئتهم ، والّذي كان يقول : ثم فتشت مترله فلم أجد فيه إلاّ مصاحف وأدعية وكتب العلم ، فعظم في عيني ، وتوليت خدمته بنفسي .

فلما قدمت به بغداد ، بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطّاهري وكان والياً على بغداد.

فقال لي : يا يحيى إن هذا الرّجل قد ولده رسول الله ( ص ) والمتوكل من تعلم ، فإن حرّضته عليه قتله وكان رسول الله خصمك يوم القيامة .

فقلت له : والله ما وقعت منه إلاّ على كل أمر جميل ثم صرت به إلى سرّ من رأى ...

فبدأت بوصيف التركي ، فأخبرته بوصوله فقال : والله لئن سقط منه شعرة لا يُطالب بها سواك .

قال يحيى : فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق ، فلما دخلت على المتوكل سألني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته وأني فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وأن أهل المدينة خافوا عليه [1] .

[1] - تذكرة الخواص ص ٣٥٩ و٣٦٠ .

ولعل توقف الإمام الرّضا (عليه السلام) في مدينة ( نيسابور ) وهو في طريقه إلى مرو بخراسان ، يعطينا دليلاً على ما ندعيه من أنّ الأئمة عليهم السلام كانوا محبوبين من عامة المسلمين ، ذلك أن الإمام عندما كان في نيسابور في طريقه إلى مرو ، وأراد الرّحيل عنها ، وكان يركب بغلة شهباء ويجلس في عمارية عليها ، فاجتمع العلماء وأهل الحديث وتعلقوا بلجام بغلته ، فقالوا له : يا ابن رسول الله ، ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك؟

حدثنا بحق آبائك الطّاهرين .

فاستوقف البغلة ورفع المظلة ، والناس على طبقاتهم قيام كلهم وكانوا بين صارخ وباكٍ وممزق ثوبه ومتمرغ في التراب ومقّبل حزام بغلته ومطوّل عنقه إلى مظلة المهد وسكنت الأصوات وصاحت الأئمة والقضاة:

معاشر الناس اسمعوا وعوا ولا تؤذوا رسول الله ( ص ) في عترته وأنصتوا ، فقال (عليه السلام) : حدثني أبي موسى بن جعفر الكاظم قال حدثني أبي جعفر بن محمد الصّادق . قال : حدثني أبي محمد بن علي الباقر قال : حدثني أبي علي بن الحسين زين العابدين ، قال حدثني أبي الحسين قال حدثني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قال : حدثني أخي وابن عمي محمد رسول الله ( ص ) قال : حدثني جبرئيل قال : سمعت ربّ العزة سبحانه وتعالى يقول : (( كلمة لا إله إلاّ الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي )) .

فلما مرّت الرّاحلة نادى ( بشروطها وأنا من شروطها ).

❀❀❀

الّذي يهمنا من هذا الحديث في هذا المقطع ، هو الجماهيرية التي كان يتمتع بها الأئمة عليهم السلام ولقد ذكرنا فيما سبق ونكرر هنا أن الأئمة لم تكن جماهيريتهم من شيعتهم خاصة ، فالمسلمون بصورة عامة أدركوا أن الأئمة هم الملجأ الوحيد في الإسلام ، وإذا كان غيرهم قد تولّى السّلطة بقوة المال والعسكر وإن كانوا يدعون ذلك بميراثهم من رسول الله وقربهم إليه ، إلاّ أنّ الدين لا يؤخذ من أولئك الفساق الذين يتشبثون بالدين وهم بالواقع أعداء الدّين .

إن الناس الّذين كانوا يرون سلوك العباسيين مع العلويين ومع الناس عامة وأيضاً سلوكهم اللاأخلاقي في حياتهم الخاصة ، كانوا يرون في مقابل ذلك زهد العلويين وورعهم وترفعهم عن كل الموبقات والمشينات وخصوصاً الأئمة منهم عليهم السلام وقد جعلهم ينساقون معهم لا إرادياً حيث رأوا أنهم هم الّذين يمتلكون كل المؤهلات ويتمتعون بكافة الفضائل والمزايا التي تجعلهم جديرين بخلافة محمد ( ص ) وأهلاً لقيادة الأمة قيادة صالحة وسليمة ، كما كان النبي ( ص ) يقودها من قبل .

وواضح أن تلك الخصائص وهاتيك المؤهلات والمميزات لأئمة أهل البيت عليهم السلام وذلك السّلوك المثالي ـــ كل ذلك ـــ كـــان يغـــري العباسيين بمضايقتهم وملاحقتهم أشد الإغراء ، وكان أيضاً يدفع الحّساد للوشاية بهم ، وتحريض الخلفاء على الإيقاع والتنكيل بهم .

ولذلك نرى ( الخلفاء ) لم يـــألوا جهـــداً أو يـــدخروا وســـعاً في ملاحقتهم وإضطهادهم وسجنهم ، حتى إذا تمكنوا منهم قضـــوا علـــيهم بالوسائل التي تضمن ـــ بنظرهم ـــ عدم إثارة شكوك الناس وظنونهم .

نكتفي بهذا المقدار اليسير من فسق الحكام ، الّذي جعل الأمة تلتف حول الأئمة عليهم السلام لأنهم كانوا يرون أنهم هـــم الّـــذين يمثلـــون الأطروحة الإسلامية الصحيحة .

وننتقل الآن إلى فقرة أخرى من الأسباب التي جعلت الأمة ترنو إلى الأئمة وهي فقرة :

## ٥- أخلاقهم عليهم السلام وعبادهم

والأمة الإسلامية عاشت خلق الرّسول ( ص ) الّذي يقول ( بعثت لأتمم مكارم الأخلاق كما عاشت عبادته وتضرعه لله سبحانه وتعالى .

وجاء في أخلاقه ( ص ) أنه كان أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعفّ الناس ، لم تمس قط يده يد إمرأة لا يملك رقّها أو عصـــمة

نكاحها أو لا تكون ذا رحم محرم منه وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، وإن فضل و لم يجد من يعطيه فجاءه اللّيــل لم يــأو إلى منـــزله حتّى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، وكان يخصف النعـــل ويرقـــع الثوب ويخدم مصالح أهله ويقطع اللّحم معهن .

وكان أشد الناس حياءً ، لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوت الحر والعبد يقبل الهدية ولو كانت جرعة لبن ويكافئ عليهـــا ولا يأكـــل الصّدقة ويغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، يعود المرضى ، ويشهد الجنائز ويمشي بين أعدائه وحده وبلا حارس ، أشد الناس تواضعاً وأســـكنهم في غير كبر ، وأبلغهم من غير تطويل وأحسنهم بشراً ، لا يهوله شيء مـــن أمور الدّنيا و لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً .

وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ويلبس ما وجد ويركب ما أمكنـــه مرة فرساً ومرة بعيراً ومرة بغلة شهباء ومرة حماراً ومرة يمشي راجلاً .

يعود المريض في أقصى المدينة ، يحب الطّيب ويكره الرّوائح الرّديئة ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشّرف بالبر لهم ويصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هـــو أفضل منهم ولا يجفو أحداً ، يقبل معذرة المعتذر إليه .

يمزح ولا يقول إلاّ حقاً ويضحك من غير قهقه وترفع الأصوات عليه فيصبر ، وما لعن إمرأة ولا خادماً ولا يجزي بالسيئة السّيئة ولكن يعفو ويصفح يبدأ من لقيه بالسلام ، وما أخذ بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ : ولا يقوم ولا يجلس إلاّ على ذكر الله .

وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه لأنّه حيث ما انتهى به المجلس جلس فيه ، وأكثر ما يجلس مستقبل القبلة .

وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل .

وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاء ، وكان أرأف الناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس ، وأفصح الناس منطقاً وأحلاهم وأوجز الناس كلاماً ، يجمع كل ما أراد مع الإيجاز ويتكلم بجوامع الكلم ، طويل السّكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الغضب والرّضا إلاّ الحق .

وكان أحب الطّعام إليه ما كثرت عليه الأيدي لا يأكل الحار ويأكل مما يليه ويأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة يأكل خبز الشّعير غير منخول ، وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث ، وما ذمّ طعاماً قط ولكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه .

وكان أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع المقدرة وكان رقيق البشرة لطيف الظّاهر والباطن .

وكان أجود الناس وأسخاهم كفاً وأوسع الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة .

وأتي ( ص ) برجل فأرعد من هيبته ، فقال : هوّن عليك فلست بملك ، إنما أنا إبن أمرأة من قريش كانت تأكل القديد .

وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم ، فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه [1] .

كان هذا هو خاتم الأنبياء محمد ( ص ) الّذي يقول عنه الله سبحانه وتعالى ﴿ ولكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ والخطاب هنا موجّه لعموم المسلمين إن لم يكن موجهاً لعموم الناس .

ومن أولى الناس في أن يتأسى بالرسول ( ص ) من أهل بيته وعترته الطّاهرين ، ولو أردنا أن نحصي خصائص الأئمة عليهم السلام وفضائلهم لأحتجنا إلى موسوعات ، ولكننا سوف نشير إلى بعضها إشارة خفيفة ثم لنقارن ذلك بالذي كان عليه الخلفاء ( أمراء المؤمنين ) إبتداء من معاوية وإلى آخر خليفة ...

ولا ننسى أن حديثنا في هذا الفصل ، كان عن الأسباب الّتي جعلت المسلمين يلتفون حول الائمة عليهم السلام وهو ما عبرنا عنه بـ

[1] – الأخلاق / للسيد عبد الله شبر ص ٧و٨ .

(الجماهيرية ) وهنا ربما يسجل بعض الجدليين نقطة يتصور أنها سلبية ، على الأئمة عليهم السلام هي إنهم إذا كانت لهم هذه الجماهيرية ، فلماذا لم يثوروا في وجه الطّغاة سواء كانوا من بني أمية أو من بني العباس ومن ثم ليتسلموا السّلطة ويطبقوا الإسلام ؟؟

ولكن ليعلم أولئك أن استّلام السّلطة من قبل أي شخص لا يتأتى بجماهيريته فقط ، فهناك أسباب أخرى، الجماهيرية واحدة منها. حتى هذه الجماهيرية ربما لا تفي بالغرض ونذكر القارئ بما كتبناه في الصّفحات السّابقة عندما عالجنا الأسباب التي دعت الإمام الصّادق عليه السلام إلى أن يمتنع عن إستلام الحكم الذي عرضه عليه أبو سلمة الخلال قائد العباسيين في الكوفة ، وذكرنا حديث سدير الصّيرفي عندما قال للإمام ( والله لا يسعك القعود ولك نصف الدّنيا ) نعم نحن لا نشك أن الأئمة عليهم السلام كانوا يطمحون لتحكيم الإسلام ولكنهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

فلقد فسدت الدنيا وحدث إنقلاب في المفاهيم التي رسمها رسول الله ( ص ) ، حتى إذا مات ، تغيرت الأمور قليلاً قليلاً ﴿ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ .

ونعود إلى حديثنا الذي سبق منا ، عن خلق النبي ( ص ) وأن الأئمة عليهم السلام هم أولى الناس تأسياً بالرسول وإقتفاءً بآثاره .

وحيث أني ــ ضمن منهجية الكتاب ــ أخذت على نفسي أن أكتب فقط عن الأئمة الّذين جاؤوا بعد الحسين عليه السلام ، فسوف أبدأ

بالإمام زين العابدين ثم عن موسى بن جعفر عليهم السلام ، إختصاراً للحديث ، والأئمة كلهم يمثلون خطاً واحداً موصولاً برسول الله ( ص ) في العبادة ومكارم الأخلاق .

## أولاً : الإمام زين العابدين

لقد كانت للإمام زين العابدين جماهيرية لم تكن لأحد ممن عاصره من الخلفاء وغيرهم مطلقاً ، وجماهيرية الأئمة عليهم السلام تكونت نتيجة لسلوكهم الرّسالي الّذي يمثل سلوك الرّسول ( ص ) ، وهو سلوك لا يشوبه شيء من الرّياء والعجب أو من أجل مكسب دنيوي ، إنهم جميعاً لهم أسوة حسنة برسول الله ( ص ) وبجدهم علي عليه السلام الّذي كان يقول إن نعاله المرقوعة خير من إمرتهم ما لم يحق حقاً أو يبطل باطلاً .

وقد كانت هذه الجماهيرية العفوية الّتي لم يسع لها الأئمة ، إنها نفسها كانت تثيرالخلفاء عليهم ويشتد غضبهم . وقصة طواف الإمام زين العابدين وقصيدة الفرزدق كانت واحدة من المفردات الّتي تزعج خلفاء بني أمية وأنه ليسوؤهم كثيراً أن يجدوا شخصاً يبزّهم في العلم والأخلاق والسّخاء وبالتالي في الجماهيرية .

ولذلك فإنهم كانوا يتخبطون في كيل التهم للأئمة عليهم السلام ، فقد تكون التهمة أنهم يدعون لأنفسهم أو تجبى لهم الأموال أو يجمعون السّلاح وهكذا ...

أما الأئمة عليهم السلام فإنهم من جانبهم استطاعوا ـــ في ظل تلك الظّروف الصّعبة الحالكة ـــ أن يبينوا للناس الإسلام الصّحيح الّذي جاء به محمد ( ص ) وليس الإسلام الّذي ابتدعه معاوية والّذين جاؤوا من بعده .

وتلك مهمة صعبة للغاية فالخلفاء ( أمراء المؤمنين ) ، كانت بيدهم قوة المال والسّلاح والرّجال والعيون والسّجون . والإمام أي إمام منهم عليهم السلام ، كان محاطاً بمجموعة من العيون والجواسيس ، ولا شك أن الأئمة عليهم السلام لو لم يكونوا قد اختطوا لهم طريقتهم الخاصة في إلتزام الأمة لكانت الشّريعة الإسلامية في خبر كان ، وكلما توسعت جماهيرية الأئمة نظر المسلمون إلى الحكام فوجدوهم يسيرون على خط آخر ليس هو خط الرّسول ( ص ) وبالتالي ليس هو خط الإسلام .

وهذا هو الّذي كان يغيض الحكام أولئك كما إنه هو الّذي يسعى إليه الأئمة عليهم السلام في نشر الوعي لدى المسلمين ليميزوا بين الخبيث والطّيب .

❀❀❀

والإمام زين العابدين عليه السلام الّذي نحن بصدده الآن ، إذا قلنا عنه إنه كان غاية في العبادة ، فكل الأئمة كذلك ، وإذا قلنا إنه كان كريماً فكلهم كرماء ، كلهم في الفضائل سواء وكلهم في الزّهد والعبادة والتقوى

والورع والسّخاء قمة ، لا يقل مستوى أحدهم عن الآخر ولا يزيد ، ولكننا الآن سوف نقتطف من سيرة الإمام زين العابدين (ع) بعض الرّوايات الّتي تروى عن أخلاقه وسيرته الكريمة :

ذكر المؤرخون أن أهل المدينة عندما ثاروا في وجه بني أمية عام ٦٣ وأخرجوا منها عامل يزيد ( عثمان بن محمد بن أبي سفيان ) فإن مروان[1] ابن الحكم خشي على عياله فكلم عبد الله بن عمر في أن يغيّب أهله وعياله فلم يفعل ، وكلم علي بن الحسين وقال له : إن لي حرماً وحرمي تكون مع حرمك ، فقال : أفعل ، فأرسلهم (ع) مع ابنه عبد الله إلى الطائف [2] .

وذكر المؤرخون أيضاً أن ( هشام بن إسماعيل ) والي المدينة كان يؤذي علي ابن الحسين (ع) ، فلما استخلف الوليد بن عبد الملك بلغه كثرة المظالم ضد هشام من أهل المدينة ومن علي بن الحسين بالذات فعزله وأمر به أن يوقف للناس[3] ، فقال هشام : ما أخاف إلاّ من علي ابن

[1] - مروان كان شخصاً لئيماً وشديداً على أهل البيت عليهم السلام منذ كان صغيراً وقد طرد رسول الله ( ص ) أباه الحكم وطرد مروان معه ، ورجع مروان إلى المدينة مع أبيه في خلافة عثمان وتسنم أعلى المناصب ، فقد كان يختم الرّسائل بختم الخلافة من حيث لا يدري عثمان .

ونستطيع أن نقول إن مروان ساهم مساهمة كبيرة وفعالة في الفتنة الّتي أحاطت بعثمان ، كما كان أحد الأقطاب المهمين مع طلحة والزّبير في معركة الجمل . والتاريخ يذكر أنه هو الّذي قتل طلحة في المعركة ، ويوم توفي الحسن (ع) كان مروان قد ألب عليه وأخرج أم المؤمنين عائشة على بغلة تصرخ لا تدفنوا في بيتي من لا أحب .

وبالتالي فإن مروان من بني أمية وقتل ( يزيدهم ) الحسين (ع) والد زين العابدين

[2] - إبن الأثير في كتابه الكامل جزء ٣ ص ٤٥٦ .

[3] - يوقف للناس : أي يأخذون حقهم منه ويقتصون منه ما فعل بهم .

الحسين ، فمر به علي بن الحسين ، وقد وقف عند دار مروان ، وكان علي قد تقدم إلى الخاصة ألاّ يعرض له أحد منكم بكلمة .

فلما مرّ ناداه هشام : الله أعلم حيث يجعل رسالته [1] .

❀❀❀

أما عن حلمه وتواضعه (عليه السلام) ( الحلم في كظم الغيظ والتواضع لله ) وليس لكسب دنيوي كما كان يفعل معاوية .

نعم ذكر عنه أن جارية له كانت تسكب الماء عليه وهو يتوضأ للصلاة فسقط الإبريق من الجارية على وجهه فشجّه ، فرفع الإمام رأسه إليها وقالت الجارية إن الله عز وجل يقول ﴿والكاظمين الغيظ﴾ فقال لها: قد كظمت غيظي قالت : ﴿ والعافين الناس ﴾ قال لها : قد عفا الله عنك ، قالت :﴿ والله يحب المحسنين ﴾ قال : أذهبي فأنت حرة .

وشتمه بعض الحاقدين فقصده غلمانه ، وقال : دعوه فإن ما خفي منا أكثر مما قالوا ، ثم قال له : ألك حاجة يا رجل ؟

فخجل الرّجل ، فأعطاه الإمام ثوبه وأمر له بألف درهم . فانصرف الرّجل صارخاً ، يقول : أشهد أنك ابن رسول الله [2] .

---

[1] - إبن الأثير جزء ٤ ص ٢٣٤ والطّبري جزء ٨ ص ٦١ سيرة الرّسول وأهل البيت جزء ٢ ص ١٩٩

[2] - سيرة رسول الله وأهل البيت جزء ٢ ص ١٩٩ .

وكان له مولى يتولى إمارة ضيعة له ، فجاء الإمام ليطلـــع عليهـــا ، فأصاب فيها فساداً كثيراً ، غاضه من ذلك ما رآه وغمه ، فقرع المـــولى بسوط كان في يده ، وندم على ذلك .

فلما انصرف إلى منـــزله أرسل في طلب المولى ، فأتاه فوجده عارياً والسّوط بين يديه ، فظنّ أنه يريد عقوبته ، فاشتد خوفه ، فأخذ علي ابن الحسين السّوط ومد يده إليه وقال : يا هذا قد كان مني إليك ما لم يتقدم مني مثله ، وكانت هفوة وزلة ، فدونك السّوط واقتص مني .

فقال المولى : يا مولاي والله إني ظننت إلاّ أنك تريد عقوبتي وأنـــا مستحق للعقوبة ، فكيف أقتص منك ؟

قال : ويحك اقتص .

قال : معاذ الله ، أنت في حل وسعة .

وكرر الإمام ذلك عليه مراراً ، والمولى كل ذلك يتعاظم قوله ويجلله فلما لم يره يقتص ، قال له : أما إذا أبيت فالضيعة صدقة عليك وأعطـــاه إياها [1] .

إنّ هذه الحادثة ، تذكرنا بما فعله جده رسول الله ( ص ) قبيل وفاته وطلب من الناس أن يقتصوا منه .

❁❁❁

[1] - البحار جزء ٤٦ ص ٩٦ .

وسنورد هنا لوحة مضيئة تعطينا صورة حية عن الإمام (عليه السلام) وورعه وتقواه وخشيته من رب العالمين .

كان علي بن الحسين (عليه السلام) إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمة وكان إذا أذنب العبد والأمة ، يكتب عنده : أذنب فلان ، أذنبت فلانة يوم كذا كذا ، ولم يعاقبه .

حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم أظهر الكتاب ثم قال :

يا فلان أنت فعلت كذا وكذا ولم أؤدبك ، أتذكر ذلك ، فيقول : بلى يا ابن رسول الله ، حتّى يأتي على آخرهم ، ويقررهم جميعاً ، ثم يقوم وسطهم ويقول لهم : إرفعوا أصواتكم وقولوا : يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كلما عملت كما أحصيت علينا كلما عملنا ، لديه كتاب ينطق عليك بالحق ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلاّ أحصاها ، وتجد كلما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كلما عملنا لديك حاضراً ، فأعفُ وأصفح كما ترجو من المليك العفو وكما تحب أن يعفو المليك عنك فاعفُ عنا تجده عفوّاً وبك رحيماً ولك غفوراً ولا يظلم ربك أحداً كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلاّ أحصاها .

فأذكر يا علي بن الحسين ذلّ مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الّذي لا يظلم مثقال حبة من خردل ، ويأتي بها يوم القيامة وكفى بالله

حسيباً وشهيداً ، فأعفُ وأصفح يعفو عنك المليك ويصفح ، فإنه يقول ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويقول : رب أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد عفونا عمن ظلمنا كما أمرت فأعفُ عنا ، فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين ، وأمرتنا أن لا نرد سائلاً عن أبوابنا وقد أتيناك سؤّالاً ومساكين وقد أنخنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك فأمنن بذلك علينا ولا تخيبنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين .

إلهي كرمت فأكرمني إذا كنت من سؤالك وجدت بالمعروف فأخلطني بأهل نوالك يا كريم .

ثم يقبل عليهم فيقول قد عفوت عنكم ، فهل عفوتم عني ومما كان مني إليكم من سوء ملكة ؟ فإني مليك سوء لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل ؟

فيقولون : قد عفونا عنك يا سيدنا ، وما أسأت .

فيقول لهم قولوا اللّهم أعف عن علي بن الحسين ، كما عفا عنا ، فأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرّق .

فيقولون ذلك ، فيقول : اللّهم آمين ربّ العالمين ، إذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم للعفو عني وعتق رقبتي ، فيعتقهم .

فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتعينهم عما في أيـــدي الناس[1] .

❀❀❀

فأية لوحة فنّية للوليد بن عبد الملك ولولده يزيد ، ولهارون الرّشـــيد والمنصور ؟ وهل لهم فضيلة يحمدون عليها ؟

يخسأ كل أولئك ويخسأ كل من انتحل خلافة رســـول الله ( ص ) وإمرة المؤمنين وهو ظالم ، يقترف من الفسق والفجور كأي فاسق فاجر .

❀❀❀

**ولننظر إلى كرمه عليه السلام :**

يقول أحدهم : رأيت علي بن الحسين عليه السلام في ليلة باردة مطـــيرة ، وعلى ظهره دقيق وهو يمشي .

فقال له : يا ابن رسول الله ما هذا ؟

قال : أريد سفراً أعدّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز .

فقال له : فهذا غلامي يحمله عنك ، فأبى .

---

[1] – المصدر السابق جزء ٤٦ ص ١٠٤ نقلاً من الإقبال ص ٤٧٧ .

قال : أنا أحمله عنك فإني أرفعك عن حمله .

فقال علي بن الحسين : لكنني لا أرفع نفسي عما ينجيني في سفري ويحسن ورودي على ما أرد عليه ، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك وتركتني ، فانصرف عنه ، فلما كان بعد أيام قال له : يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السّفر الّذي ذكرته أثراً

قال : بلى ، ليس ما ظننت ، ولكنه الموت وله أستعد إنما الاستعداد للموت تجنب الحرام وبذل الندى في الخير [1] .

وقد روى عنه أحمد بن حنبل أنه كان يقوت مائة أهل بيت بالمدينة في كل بيت جماعة من الناس .

وذكروا أنه عليه السلام عندما توفي ووضع على السّرير ليغسّل نظر إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين [2] .

وكان عليه السلام عندما يسافر للحج ، لا يسافر إلاّ مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرّفقة فيما يحتاجون إليه .

فسافر مرة مع قوم ، فرآه رجل فعرفه ، فقال لهم : أتدرون من هذا؟

فقالوا : لا .

قال : هذا علي بن الحسين .

---

[1] - المصدر السابق جزء ٤٦ نقلاً عن علل الشّراع ص ٨٨ .

[2] - المصدر السابق جزء ٤٦ ص ٦٦ نقلاً عن علل الشرائع ص ٨٨ .

فوثبوا إليه فقبلوا يده ورجله ، وقالوا: يا ابن رسول الله أردت أن تصلينا نار جهنم ، لو بدرت منا إليك يد أو لسان ، أما كنا قد هلكنا إلى آخر الدّهر من الّذي يحملك على هذا ؟

فقال : إني كنت سافرت مرة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله ( ص ) ما لا استحق فإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك ، فصار كتمان أمري أحب إلي [1] .

❁❁❁

**أما عن عبادته عليه السلام :**

فإنه كان إذا قام إلى الصّلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه شيء إلاّ ما حركت الرّيح منه ، وتغيّر لونه ، فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً [2] .

ولقد ذكرنا في بداية الحديث عن مناقب الأئمة ، وقلنا إنهم في عبادتهم وورعهم وفي خصالهم ـ وكل خصالهم حميدة ـ إنهم في ذلك سواء فلنقرأ هذه اللّوحة الذّهبية من عبادة علي بن أبي طالب وحفيده علي ابن الحسين عليهم السلام .

[1] - المصدر السابق جزء ٤٦ ص ١٦٩ عيون اخبار الرّضا ج ٢ ص ١٤٥ .
[2] - المصدر السابق جزء ٤٦ ص ٦٤ نقلاً عن الكافي جزء ٣ ص ٣٠٠

يقول سعيد بن كلثوم : كنت عند الصّادق جعفر بن محمـد عليه السلام فذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأطراه ومدحه بما هو أهله ، ثم قال : والله ما أكل علي بن أبي طالب من الدنيا حراماً قط حتّى مضى لسبيله ، وما عرض له أمران قط هما لله رضا إلاّ أخذ بأشدّهما عليه في دينه وما نزلت برسول الله ( ص ) نازلة قط إلاّ دعاه ثقةً به وما أطاق عمـل رسول الله ( ص ) من هذه الأمة غيره ، وإن كان ليعمل عمل رجل كأن وجهه بين الجنة والنار يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه ، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار ، مما كدّ بيديـه ورشح منه جبينه وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة ، وما كان لباسه إلاّ الكرابيس ، إذا فضل شيء عن يده من كمه دعا بالجلم [1] فقصه وما أشبهه ولا أهل بيته أحد أقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي ابن الحسين عليه السلام .

ولقد دخل أبو جعفر ابنه عليه ، فإذا هو قد بلغ من العبادة مـا لم يبلغه أحد ، فرآه وقد اصفرّ لونه من السّهر ورمضت عيناه مـن البكـاء ودبرت جبهته وأنخرم أنفه من السّجود وقد ورمت ساقاه وقـدماه مـن القيام في الصّلاة ، فقال أبو جعفر عليه السلام فلم املك حين رأيته بتلك الحال البكاء ، فبكيت رحمة له ، فإذا هو يفكر ، فالتفت إليّ بعد هنيئـة مـن دخولي ، فقال : يا بني أعطني بعض تلك الصّحف الّتي فيها عبادة علـي

[1] – الجلم : المقص

ابن أبي طالب (عليه السلام) فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً ، ثم تركها من يده تضجراً وقال : من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب (عليه السلام)[1] .

❁❁❁

[1] - المصدر السابق جزء ٤٦ ص ٧٥ نقلاً عن الإرشاد ص ٢٧٢ .

# الصّحيفة السّجادية

لعل خير من كتب عن الصحيفة السجادية ، هو أستاذنا المرحوم الشّيخ محمد رّضا المظفر في كتابه ( عقائد الإمامية ) ولقد رأيت أن أنقل منه نفس العبارات الّتي ذكرها بهذا المضمون إذ يقول :

بعد واقعة الطّف المحزنة ، وتملك بني أمية ناصية الأمة الإسلامية ، فأوغلوا في الاستبداد وولغوا في الدّماء واستهزأوا في تعاليم الدّين ، بقي الإمام زين العابدين وسيد السّاجدين عليه السلام جليس داره محزوناً ثاكلاً وجليس بيته ، لا يقربه أحد ولا يستطيع أن يفضي إلى الناس بما يجب عليهم وما ينبغي لهم .

فأضطر أن يتخذ من أسلوب الدّعاء ذريعة لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام وطريقة آل البيت ولتلقين الناس روحية الدّين والزّهد ، وما يجب من تهذيب النفوس والأخلاق ، وهذه الطّريقة مبتكرة له في التلقين لا تحوم حولها شبهة المطاردين له ولا تقوم بها عليه الحجة لهم ، فلذلك أكثر من هذه الأدعية البليغة وقد جمعت بعضها ( الصّحيفة السّجادية ) الّتي سميت ( بزبور آل محمد ) . وجاءت في أسلوبها ومراميها في أعلى أساليب الأدب العربي وفي أسمى مرامي الدّين الحنيف وأدق أسرار التوحيد والنبوة ، وأصح طريقة لتعليم الأخلاق المحمدية والآداب الإسلامية ، وكانت في مختلف الموضوعات التربوية الدّينية ، فهي تعليم

للدين والأخلاق في أسلوب الدعاء أو دعاء في أسلوب تعليم للدين والأخلاق وهي بحق بعد القرآن ونهج البلاغة من أعلى أساليب البيان العربي وأرقى مناهل الفلسفة في الإلاهيات والأخلاقيات[1].

والملاحظ أن الإمام زين العابدين عليه السلام ، وهو يعيش مأساة أهله وذرية رسول الله ( ص ) من بني أمية في معركة الطّف وما لحقها من مآس وآلام ، فإنه مع ذلك نراه في أدعيته ، يدعو لأهل الثغور بالنصر ، وذلك عندما تعرضت الثغور الإسلامية إلى اعتداء من الرّوم ، فالمأساة لا تمنعه من الدّعاء لحفظ الكيان الإسلامي وإن كان على رأسه حاكم ظالم من بني أمية .

نكتفي بهذا القدر اليسير من حياة الإمام زين العابدين عليه السلام ،التي تشتمل على إشارات لعبادته وتقواه وخشيته من الله ، وسوف ننتقل الآن إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، كما ثبتنا ذلك في بداية الفصل .

نقتبس هذه العبارة من كتاب ( سيرّة الرّسول وأهل بيته ) الجزء الأول فقد رأيناها على إيجازها تعطي وصفاً دقيقاً عن سلوك الأئمة الإيماني ومنهم الإمام موسى بن جعفر ...

( والسّر الكامن وراء عظمة أهل البيت وكمال ذواتهم الإنسانية وتميزها عن سائر الناس ، هو هذه المعرفة الرّبانية التوجه الخالص إلى الله الأحد المتصف للخير والكمال الإلهي المطلق ، وتمكن هذا الاتجاه من

[1] - عقائد الإمامية ص ٩٦ – ٩٧ .

نفوسهم وإستيعاب تلك المفاهيم التوحيدية وإنعكاس هذه الرّؤية الرّبانية سلوكاً ومواقف وعملاً إنسانياً في حياهم المثالية الخالدة فلا عجب إذن إذا رأينا الزّهد والتعالي على متع الدّنيا والاستهانة بها عند تعارضها مع مبادئ الحق ومسيرة الكمال في حياة الإمام وتملك عليه عواطفه وتوجهاته ومسيره في الحياة ، ولا عجب إذا كان الإمام موسى بن جعفر يلقب بـ ( زين المجتهدين ) و( العبد الصّالح ) . ويوصل ليله بنهاره في العبادة ، ويخوض غياهب السّجون ، ويضحي بلذائذ الحياة ويبذل ماله وحياته في سبيل الوصول إلى الله ونيل رضوانه والعمل على إنقاذ الإنسانية ووضعها على طريق الهدى ومسيرة الإيمان الخيرة )[1] .

وكان عليه السلام لشدة علاقته بالله وشوقه إليه وسعيه إلى رضاه يسعى حاجاً إلى بيت الله الحرام مشياً على قدميه ، فقد روي أنه حج أربع مرات ماشياً على قدميه .

أما عن عبادته ، فقد ذكر أن الرّشيد كان يشرف على الحبس الّذي هو فيه فيراه ساجداً ، فيقول للربيع : ما ذلك الثوب الّذي أراه كل يوم مطروحاً في ذلك الموضع ؟ فيخبره أنه ليس بثوب وإنما هو موسى ابن جعفر له كل يوم سجدة بعد طلوع الشّمس إلى الزّوال[2] .

وكان إذا ذكر الله يبكي من خشيته حتى تخضل لحيته بالدموع وكان أوصل الناس لأهله ورحمه وكان يتفقد فقراء المدينة في اللّيل فيحمل

[1] - سيرة الرسول والأئمة الجزء ٢ ص ٣٣١ .
[2] - البحار جزء ٤٨ ص ٢٢٠ نقلاً عن عيون أخبار الرّضا .

إليهم الزنبيل فيه العين والورق والتمور ، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أي جهة هو[1] .

وكان إذا بلغه عن أحد شيء يسوؤه ، بعث إليه بالصـرة وفيها مائتان إلى ثلاثمائة دينار ، مقابل الإساءة بالإحسان ، ويغمر الناس بخلقه وكرمه وكان يبعث للمحتاجين والغارمين مثل هذه الصّرار ، حتى كانت صرار موسى بن جعفر مثلاً يتحدث به الناس[2].

أما عن عبادته ، فقد ذكر أنه عندما كان في السّجن ، كان يقول في دعائه ( اللّهم إنك تعلم إني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك وقد فعلت فلك الحمد ) .

❁❁❁

وهذه لوحة فنية ، وكل حياتهم عليهم السلام لوحات فنية يبتهج بها العارفون بالله ويتخذونها نبراساً لحياتهم ومنهاجاً لتقويم الذّات فقد ذكر أن رجلاً كان يشتم علي بن أبي طالب إذا رأى موسى بن جعفر ويؤذيه إذا لقيه ، فقال له بعض مواليه وشيعته : دعنا نقتله ، فقال : لا ...

ثم مضى راكباً إلى مزرعة لذلك الرّجل فوطأها بحماره

فصاح : لا تدس زرعنا ، فلم يصغ إليه ، وأقبل حتى نزل عنده ، فجلس معه وجعل يضاحكه ، وقال له : كم غرمت على زرعك هذا ؟

---

[1] - المفيد / الإرشاد / ص ٢٩٦ .
[2] - وفيات الأعيان / ابن خلكان / جزء ٥ ص ٣٠٨ .

قال : مائة درهم .

قال : فكم ترجو أن تربح ؟

لا أدري .

سألت كم ترجو .

مائة أخرى .

قال : فأخرج ثلاثمائة دينار ، فوهبها له ، فقام فقبل رأسه ، فلما دخل المسجد بعد ذلك ، وثب الرّجل فسلم عليه وجعل يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، فوثب أصحابه عليه وقالوا : ما هذا ؟ فشاتمهم ، وكان بعد ذلك كلما دخل موسى خرج يسلم عليه ويقوم له .

ـ فقال موسى لمن قال ذلك القول : إيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت[1] .

❁❁❁

ومعلوم أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، حبسه هارون على فترات تتراوح بين ٨-١٤ سنة وكان حائراً به ، لا يدري ماذا يعمل فهل يكفي السّجن ؟ أم لا بدّ من أمر آخر ، فكان يطلق سراحه أحياناً ثم يدعوه فيحبسه مرة أخرى وهكذا ....

---

[1] - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطّالبيين ص ٤٩٩ .

وهذه قصة تحكي لنا كيف أن هارون أطلق سراحه من السّجن .

ذكر عبد الله ابن مالك الخزاعي ــ وكان على دار الرّشيد وشرطته ــ قال : أتاني رسول الرّشيد في وقت ، ما جاءني فيه قط ، فـانتزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي ، فراعني منه ذلك ، فلما صـرت إلى الدّار ، سبقني الخادم ، فعرّف الرّشيد خبري ، فأذن لي في الدّخول عليه ، فدخلت ، فوجدته قاعداً على فراشه ، فسلمت ، فسكت ساعة ، فطـار عقلي وتضاعف الجزع علي ، ثم قال لي : يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت ؟

قلت : لا والله يا أمير المؤمنين .

قال : إني رأيت السّاعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني ومعه حربة ، فقال لي : إن لم تُخلّ عن موسى بن جعفر السّاعة وإلاّ نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخلّ عنه .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أطلق موسى بن جعفر ؟؟؟ .

قال : نعم ، إمض السّاعة حتى تطلق موسى بن جعفر وأعطه ثلاثين ألف درهم ، وقل له : إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي مـا تحـب وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك ، قال : فمضيت إلى الحبس لأخرجه وقلت له : قد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك وأن ادفع إليك ثلاثين ألف درهم وهو يقول لك : إن أحببت المقام قبلنا فلك مـا تحبـه وإن

أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مطلق إليك وأعطيته ثلاثين ألف درهم وخليت سبيله .

وقلت : لقد رأيت من أمرك عجباً .

قال : فإني أخبرك : بينما أنا نائم إذ أتاني النبي ( ص ) فقال يا موسى حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات ، فإنك لا تبيت هذه اللّيلة في الحبس .

فقلت : بأبي وأمي ما أقول ؟

فقال : قل يا سميع كل صوت ويا سابق الفوت ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكتوب الّذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته ، ويا ذا المعروف الّذي لا ينقطع أبداً ولا يحصى عدداً فرج عني فكان ما ترى [1] .

❁❁❁

الملاحظ على هارون في هذه القصة انه كان حائراً لا يدري أيطلق موسى بن جعفر كما أُمر أم يبقيه في غياهب السّجون ؟

فإذا أطلقه ، فسوف تعود للإمام جماهيريته، ويلتف حوله أصحابه وهو ما يهول هارون ويخشاه .

[1] - مروج الذّهب الجزء ٣ ص ٣٤٦ .

نعم كان في حيرة ، لكنه أخيراً وجد أن الأفضل أن يحتفظ بحياته وخلافته وذلك خير من زوال النعمة كلها . ولقد سبق القول منا في مواضع عدة أن بني العباس وبني أمية وإن كانوا يتفقون في الإجرام والفسق والفجور وملاحقة أئمة أهل البيت عليهم السلام ، إلاّ أن بني العباس يختلفون عن بني أمية ، أهم يحاولون أن يتشبثوا بقرابة رسول الله (ص) ويحاولوا أن يتستروا على أفعالهم المنكرة .

والرّشيد يعرف منزلة موسى بن جعفر عليه السلام معرفة تامة ، وأنه أعلم وأزهد وأورع أهل زمانه ، فنراه عندما أراد أن يلقي القبض عليه ، كان يخشى من حديث الناس ، خصوصاً الّذين في المدينة ، فإن أهل المدينة كانوا أكثر من غيرهم معرفة بمنزلة الإمام عليه السلام .

نعم إن هارون ، وكأنه يريد أن يسبغ الشّرعية على ما يريد أن يقدم عليه من حبس الإمام ، فيتوجه إلى قبر النبي (ص) ويقول له: يا رسول الله إني اعتذر ، إليك من شيء أريد أن أفعله ، أريد أن أحبس موسى ابن جعفر ، فإنه يريد التشتت بين أمتك وسفك دمائها ، ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل إليه فقيده . وأخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطاتان هو في إحداهما ووجه مع كل واحد منهما خيلاً ، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة والأخرى على طريق الكوفة ، ليعّمي على الناس أمره ، وكان موسى في الّتي مضت إلى البصرة[1] .

[1] ـ مقاتل الطالبيين ـ أبو فرج الأصفهاني ص ٣٣٤ .

وهارون كما قلنا كان يخشى من رد الفعل ، وكأنه كان يتصور أنه عندما يقول للنبي (ص) إن موسى بن جعفر يريد أن يشتت بين أمتك وسفك دمائها أنه سوف يأخذ موافقة بذلك من النبي (ص) وأن استئذانه بتلك الطريقة سوف يعطيه مبرراً في حبسه وتشريده وقتله والظّالمون يختلفون بالأساليب ويتفقون بالظلم .

❁❁❁

تلك كانت (باقة) صغيرة ، ولكنها كانت عبقة نقلناها من حياة عدد من الأئمة عليهم السلام ، ولو قارناها بأخلاق المعاصرين لهم أو غير المعاصرين من الخلفاء (أمراء المؤمنين) لوجدنا أن هناك بوناً شاسعاً ، فليست المفاضلة بالأقل والأكثر وليست لأحد من أولئك فضيلة في نظر الإسلام تؤهله لتسنّم منصب قيادة الأمة الإسلامية .

وإذا عرفنا أن أولئك إنما كانوا يريدون ( الخلافة ) للدنيا ، فلنتوقع منهم كل ما يشين إلى هذا المنصب ويسيء حتى لو لم ننظر إلى الفضائل والمؤهلات الّتي تشترط في قيادة الأمة الإسلامية ، فإن المسلمين لم يجدوا فيهم إلاّ البطش والتنكيل والفسق والفجور ، سراً وعلانية ، بحيث أصبح واضحاً لدى الجميع أن هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا خلفاء رسول الله (ص) وإنما الخلفاء وأمراء المؤمنين غيرهم .

ولا أراني بحاجة إلى أن أعيد إلى الأذهان أفعال أولئك الفسقة ، إبتداءً من معاوية وانتهاء إلى آخر القطار ، بل إننا لمسنا كيف أن معاوية كان عدواً للإسلام ، وكان يسعى جاهداً إلى أن يقضي على اسم ( محمد (ص)) ، هذا الّذي يتردد اسمه باليوم خمس مرات إيذاناً بالصلاة .

إذن كيف يكون العدو خليفة لعدوه ؟ بل كيف يكون خليفة رسول الله ( ص ) من يرمي الكعبة الّتي يتوجه إليها المسلمون للعبادة ويقدسونها ، وقد فعل بنو أمية ذلك مرتين ، على عهد يزيد وعهد عبد الملك .

وكيف يكون خليفة لرسول الله من يقَبِّل ذكر المغني ابن عائشة كما فعل ( الوليد بن يزيد بن عبد الملك )؟

وكيف يكون خليفة لرسول الله ( ص ) من يشرب الخمر ويستمع إلى الأغاني كالرشيد ؟

إنهم كلهم في الرّذيلة سواء ، حذو النعل بالنعل ، لا يشذّ منهم أحد وإذا كان أحدهم يخشى من عاقبة الإعلان عن تلك الجرائم فإن ما يفعله بالسرّ سرعان ما يصل إلى الأمة وينتشر بينهم ، فيزدادون بعداً عنهم وترنو عيونهم للذين يمثلون أخلاق وعبادة وورع رسول الله ( ص ) .

صحيح إنّ قسماً من الأمة أصبحوا على دين ملوكهم وانسجموا مع الحياة الدّنيا ولكن قسماً آخر منهم كان واضحاً لديه أن هؤلاء فسقة لا يستأهلون هذا المنصب وأنهم لا يمثلون خلافة رسول الله ( ص ) .

نعم ، ربما كان أولئك المسلمون الرّافضون ، أو فلنقل إنّ بعضهم كان لا يعرف أهل البيت لشدة التعتيم الّذي فرضه الحكام حولهم ، ولكنهم بالتالي كانوا رافضين لحياة الملوك .

وسواء كان أولئك الرّافضون ترنو أبصارهم لأئمة أهل البيت أم لا فإن ذلك كان يغيض الحكام ، وربما كان ذلك يدفعهم إلى أن يمعنوا ويسرفوا في الفسق والفجور والابتعاد عن الرّسول وشريعته الغراء .

نكتفي بهذا القدر الّذي نتصور أننا قد أدّينا حقه عندما قلنا إن عبادة الأئمة عليهم السّلام وورعهم وزهدهم في الحياة كان سبباً قوياً لجماهيريتهم على طول الخط الّذي عاصروا فيه بني أمية وبني العباس .

❁❁❁

## ٦- موقف الأئمة من مخالفيهم

ومن أسباب جماهيرية الأئمة ، أن الأئمة عليهم السلام ، وإن كانوا يعتبرون أئمة لمن يدين بمذهب أهل البيت خاصة ، ولكنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أئمة لكافة المسلمين ولذلك فإنهم كانوا محبوبين من قبل كافة المسلمين ، ذلك لأن المسلمين ــ إضافة إلى الأسباب الأربعة الّتي ذكرناها سابقاً ــ ما وجدوا عليهم كلمة تخدش ذواتهم الكريمة الّتي كان المسلمون يجدون أنها لا بدّ أن يتصف بها قادة الأمة الإسلامية،إقتداء بالرسول (ص)

وأولئك المسلمون على كافة اتجاهاتهم المذهبية لم يسجلوا على الأئمة عليهم السلام أنهم يذكرون الخلفاء بكلمة سوء ، سواء الّذين جاؤوا بعد النبي ( ص ) مباشرة أو الّذين عاصروهم من بني أمية وبني العباس .

والأئمة عليهم السلام بالرغم من أنهم كانوا يرون حقهم مغصوباً منذ وفاة الرّسول ( ص ) لم يذكروا أحداً من الخلفاء بسوء ، اللّهم إلاّ في خطبة واحدة هي الخطبة الشّقشقية الّتي كان فيها الإمام علي يبدي فيها آلامه وما جرى عليه من مصاعب منذ توفي النبي ( ص ) وحتى هذه الخطبة ، فإنه عليه السلام لم يذكر أولئك إلاّ إشارةً عدا ابن أبي قحافة وهو أبو بكر ــ وهي ــ كما قال عنها الإمام ــ شقشقة هدرت ثم قرت ، وما عدا ذلك ، فلم يذكر التاريخ أن أحداً من الأئمة عليهم السلام ذكرهم

بسوء وهذا لا يدل على أهم لا يرون أنفسهم مظلومين من قبل أولئك ومن قبل الخلفاء الّذين جاؤوا من بعدهم .

ولقد كانت لكلمة الصّادق عليه السلام ( ولدني أبو بكر مرتين ) [1] أثرها البالغ في نفوس القوم .

ثم إن الأئمة عليهم السلام الّذين عاصروا بني أمية ومن بعدهم بني العباس ، كانوا قد وجدوا منهم مضايقات شديدة جداً ، أتينا على بعضها في كتابنا هذا ، وهذه المضايقات كانت تطال أيضاً ذرياهم والمرتبطين بهم بل جميع أتباعهم من الشّيعة ، كل تلك المحن حدثت والأئمة لم يذكر التاريخ أهم ذكروا أحداً من أولئك الخلفاء المعاصرين لهم والّذين تجري المحن على أيديهم ، لم يذكر التاريخ أهم ذكروهم بسوء أبداً . بل إن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ـــ كما يقول عنه أحد السّجانين ـــ لم يكن يذكر هارون الرّشيد بسوء إطلاقاً .

ولا شك أن أولئك الحكام كانوا يضعون عليهم العيون والجواسيس بل ربما يتسلقون عليهم بيوهم ، وما وجدوا أثراً مسموعاً أو مكتوباً يمس أولئك الحكام من قريب أو بعيد .

ربما يُقال إن ذلك كان من باب التقية ، فنقول إن التقية[2] في ذلك هي لحفظ أرواح المسلمين ولحفظ كيان الإسلام بصورة عامة ، وهي هنا ضرورية جداً .

[1] – أم الصّادق عليه السلام هي بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرّحمن بن أبي بكر .

[2] – سوف نفرد للتقية حديثاً مفصلاً إن شاء الله .

ولعل أفضل من كتب في هذا الباب ، هو أستاذنا المرحوم الشّيخ محمد رضا المظفر في كتابه ( عقائد الإمامية ) وجدت أن أنقله هنا لأنه يفصل الموضوع بصورة دقيقة ، يقول رحمه الله :

( عرف آل البيت عليهم السلام بحرصهم على بقاء مظاهر الإسلام والدّعوة إلى عزته ووحدة كلمة أهله وحفظ التآخي بينهم ورفع السخيمة من القلوب والأحقاد من النفوس .

ولا يُنسى موقف أمير المؤمنين عليه السلام مع الخلفاء الّذين سبقوه مع توجده عليهم واعتقاده بغصبهم لحقه ، فجاراهم وسالمهم ، بل حبس رأيه في أنه المنصوص عليه بالخلافة ، حتى إنه لم يجهر في حشد عام بالنص إلاّ بعد أن آل الأمر إليه فاستشهد بمن بقي من الصّحابة عن نص ( الغدير ) في يوم ( الرّحبة ) المعروف .

وكان لا يتأخر عن الإشارة عليهم فيما يعود على المسلمين أو للإسلام بالنفع والمصلحة ، وكم كان يقول عن ذلك العهد : ( فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً ) .

كما لم يصدر منه ما يؤثر على شوكة حكمهم أو يُضعف من سلطانهم أو يقلل من هيبتهم فانكمش على نفسه وجلس حلس البيت ، بالرغم مما كان يشهده منهم .

كل ذلك رعاية لمصلحة الإسلام العامة ، ورعاية أن لا يرى في الإسلام ثلماً أو هدماً ، حتى عرف ذلك منه ، وكان الخليفة عمر ابن

الخطاب يقول ويكرر ( لا كنت لمعضلة ليس لها أبو الحسن ) أو ( لولا علي لهلك عمر ) ولا يُنسى موقف الحسن بن علي عليه السلام من الصّلح مع معاوية بعد أن رأى أن الإصرار على الحرب سيزيل من ثقل الله الأكبر ومن دولة العدل بل اسم الإسلام إلى آخر الدّهر ، فتمحى الشّريعة الإلهية ويقضى على البقية الباقية من آل البيت ، ففضل المحافظة على ظواهر الإسلام وإسم الدّين ، وإن سالم معاوية العدو الألد للدين وأهله والخصم الحقود له ولشيعته ، مع ما يتوقع من الظّلم والذّل لأتباعه ، وكانت سيوف بني هاشم وسيوف شيعته مشحوذة تأبى أن تغمد دون أن تأخذ بحقها من الدّفاع والكفاح ، ولكن مصلحة الإسلام العليا كانت عنده فوق جميع هذه الاعتبارات ، وأما الحسين عليه السلام فلئن نهض فإنه رأى من بني أمية إن دامت الحال لهم و لم يقف في وجههم من يكشف سوء نياتهم سيمحون ذكر الإسلام ويطيحون بمجده ، فأراد أن يثبت للتاريخ جورهم وعدوانهم ويفضح ما كانوا يبيتونه لشريعة الرّسول ، وكان ما أراد ، ولولا نهضته المباركة لذهب الإسلام في خبر كان يتلهّى بذكره التاريخ كأنه دين باطل ، وحرص الشّيعة على تجديد ذكراه بشتى أساليبهم إنما هو لإتمام رسالة نهضته في مكافحة الظّلم والجور ولإحياء أمره إمتثالاً لأوامر الأئمة من بعده .

وليتجلّى لنا حرص آل البيت عليهم السلام على بقاء عز الإسلام وإن كان ذو السّلطة من ألد أعدائهم في موقف زين العابدين عليه السلام من

ملوك بني أمية وهو الموتور منهم والمنتهكة في عهدهم حرمته وحرمه ، والمحزون على ما صنعوا مع أبيه وأهل بيته في واقعة كربلاء ، فإنه ـــ مع ذلك ـــ كان يدعو في سره لجيوش المسلمين بالنصر وللإسلام بالعز وللمسلمين بالدعة والسّلامة ، وقد علمّ شيعته كيف يدعون للجيوش الإسلامية والمسلمين كدعائه المعروف بـ ( دعاء أهل الثغور ) الّذي يقول فيه : ( اللّهم صل على محمد وآل محمد وكثر عددهم واشحذ أسلحتهم وأحرس حوزتهم وامنع حومتهم وألف جمعهم ودبر أمرهم وواتر بين ميرهم وتوحد بكفاية مؤنهم وأعضدهم بالنصر وأعنهم والطف لهم في المكر ) إلى أن يقول بعد أن يدعو على الكافرين : ( اللّهم وقوّ بذلك محال أهل الإسلام وحض بهم ديارهم وغرّ به أموالهم وفرغهم عن محاربتهم لعبادتك وعن منابذتهم للخلوة بك حتى لا يعبد في بقاع الأرض غيرك ، ولا تعفر لأحد منهم جبهة دونك ) وهكذا يخص في دعائه البليغ ـــ وهو من أطول أدعيته ـــ في توجيه الجيوش المسلمة إلى ما ينبغي لها من مكارم الأخلاق وأخذ العدة للأعداء وهو يجمع إلى التعاليم الحربية للجهاد الإسلامي بيان الغاية منه وفائدته ، كما ينبه المسلمين إلى أخذ الحذر من أعدائهم وما يجب أن يتخذوه في معاملتهم ومكافحتهم وما يجب عليهم من الإنقطاع إلى الله تعالى والانتهاء عن محارمه والإخلاص لوجهه الكريم في جهادهم .

وكذلك باقي الأئمة عليهم السلام في مواقفهم مع ملوك عصرهم وإن لاقوا منهم أنواع الضّغط والتنكيل بكل قساوة وشدّة ، فإنهم لما علموا أن دولة الحق لا تعود إليهم انصرفوا إلى تعليم الناس معالم دينهم وتوجيه أتباعهم التوجيه الديني العالي [1] .

## انكشاف فرية ( الرّضا من آل البيت )

ولعل من الأسباب الّتي رفعت رصيد الأئمة عليهم السّلام في أعين الأئمة أيام بني العباس ، هو أن العباسيين إنما قوّضوا دولة بني أمية وأشادوا حكهم ، لأنهم جاؤوا بفرية ( الرّضا من آل البيت ) ، وكل الناس كانوا يعتقدون أن المقصود بآل البيت هم ذرية علي بن أبي طالب عليه السلام .
والعباسيون كانوا أذكياء في دعوتهم تلك ، ولولا هذه الطّريقة لما استطاعوا أن يستلموا الحكم .

ولم يكن يعرف الحقيقة والواقع في دعوتهم إلاّ المخلصون لهم جداً من النقباء والقادة العسكريين .

وكان الناس الّذين نقموا على بني أمية لعوامل عديدة ، الّتي منها قتلهم للحسين عليه السلام وأهل بيته الطّاهرين بتلك الفاجعة الأليمة ، إن هؤلاء كانوا يتمنون زوال حكم بني أمية ، وعندما بلغتهم الثورة الّتي

---

[1] - عقائد الإمامية / للشيخ محمد رضا المظفر ص ١١٦ و١١٧

تنادي بالرضا من آل البيت ، استبشروا وتوقعوا رجوع الحق إلى أهله ، وهم ذرية علي بن أبي طالب ولكنهم عندما تبينّوا زيف الأدّعاء ، انحرفوا عنهم وتوضح لديهم أن هؤلاء كأولئك ، إنما يحكمون الناس بالزيف والباطل .

وتوجهوا إلى الأئمة من جديد ، أو فلنقل إنهم ازدادوا توجهاً ، وتألق الأئمة عليهم السلام من جديد . وكأن المعركة ـ وإن كانت معركة نظرية ـ كانت بين الحق والباطل ، ولكل من الحق والباطل أنصار ومؤيدون ، ولكن البنيان الّذي أسس على الباطل ، كان الناس أولئك الّذين يبتغون الحق ، إذا كانوا يأملون بذلك البنيان خيراً ، وانكشف الزّيف ، فلا بدّ أن يعلوا الحق ويكثر أنصاره .

فإذا أضفنا الشّعار الّذي اتخذه بنو العباس زوراً وبهتاناً والّذي سرعان ما انكشف ، إذا أضفنا إلى ذلك سوء سلوك الحكام الجدد من بني العباس وسوء أخلاقهم وسياساتهم ، فماذا عسى أن يحدث في الأمة ؟

ولا شك أن تردي الوضع السّياسي والأخلاقي للحاكمين في تلك الفترة انعكس على كافة طبقات الأمة ، فلم يسلم منه أحد سواء العامة والجمهور أو قادة الرأي وأقطاب المجتمع والعلماء ، لذا كان الرّأي العام قد اتجه بشكل قوي وواضح باتجاه أهل البيت عليهم السَلام حيث أن قادة الرأي أهل البيت عليهم السَلام وأئمتهم أمثال الصّادق والكاظم والرّضا كانوا هم المفزع للأمة وملجأ الاستغاثة ومحور التجمع والمعارضة

فقد كانوا يمثلون موقع القيادة ومقام الإمامة في البيت النبوي الكـــريم في تلك الفترة ، وكانت القلوب تفيض بحبهم والولاء لهم وتثق بما ترى منهم من ورع وعلم وتقوى وصدق في القول والعمل[1] .

[1] - الإمام الرّضا عليه السلام / مؤسسة دار البلاغ عدد ١٠ طبع ١٤٠٥ .

# التضييق المالي على الأئمة

لاشك أن المال عنصر مهم للثورة على النظام القائم ، وهو مهم أيضاً للدولة إذا قامت وأرادت الاستمرار .

وهذا موضوع واضح لا يحتاج إلى بيان ، ومن المعروف أن مال خديجة الكبرى كان عنصراً قوياً جداً في نجاح الدّعوة الإسلامية في مكة ، خصوصاً عندما دخل رسول الله ( ص ) وبنو هاشم شعب أبي طالب نتيجة للحصار الّذي فرضته عليهم قريش لمدة ثلاث سنوات .

ونستطيع أن نقول : لولا مال خديجة لتعرض بنو هاشم لمجاعة شديدة وقد كان الرّسول ( ص ) ينفق على المستضعفين الّذين آمنوا به وهو في مكة ، وكان يشتري الطّعام بأسعار عالية جداً وبطريقة تشبه التهريب عندما كانوا في شعب أبي طالب .

ونحن متأكدون أن القوم عندما منعوا الزهراء عليها السلام من (فدك) كانوا يعرفون كم للمال من أثر في تجمع الأموال ، ولعلهم كانوا يتصورون أن الإمام لو تهيأت له الأموال والرجال لثار في وجوههم ، ولذلك فإنهم منذ اليوم الأول صادروا الأموال غير المنقولة لهذا البيت الكريم ليعيشوا هم في دعة واستقرار .

والّذي فعله هارون الرّشيد مع الإمام موسى بن جعفر يندرج تحت هذه المقولة كما صرح هو بذلك ، ولنستمع إلى هذه القصة :

قال الرّاوي : كنت على رأس المأمون ، فقال : أتدرون من علمني التشيع ؟ فقال القوم جميعاً : لا والله ما نعلم ، قال : علمنّيه الرّشيد . قيل له : وكيف ذلك ؟ والرّشيد كان يقتل أهل هذا البيت ؟ قال : كان يقتلهم على الملك ، لأن الملك عقيم ، ولقد حججت معه سنة ، فلما صار إلى المدينة تقدم إلى حجابه وقال : لا يدخلنّ علي رجل من أهل المدينة ومكة من أبناء المهاجرين والأنصار وبني هاشم وسائر بطون قريش إلاّ نسب نفسه .

فكان الرّجل إذا دخل عليه قال أنا فلان بن فلان حتّى ينتهي إلى جده من هاشمي أو قريشي أو مهاجري او أنصاري ، فيصله بخمسة آلاف دينار وما دونها إلى مائتي دينار ، على قدر شرفه وهجرة آبائه ، فأنا ذات يوم واقف ، إذ دخل الفضل بن الرّبيع ، فقال : يا أمير المؤمنين على الباب رجل زعم أنه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه والأمين والمؤتمن وسائر القواد ، فقال : احفظوا على أنفسكم ، ثم قال لآذنه إئذن له ولا ينزل إلا على بساطي .

فأنا كذلك إذ دخل شيخ مسخّد قد أنهكته العبادة ، كأنّه شن بال قد كلم السّجود وجهه وأنفه ، فلما رأى الرّشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه ، فصاح الرّشيد : لا والله إلا على بساطي ، فما زال يسير على حماره حتى سار إلى البساط ، والحجّاب والقواد محدقون به ، فنزل

فقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط وقبّل وجهه وعينيه وأخذ بيده حتى صيّره في صدر المجلس وأجلسه معه فيه ، وجعل يحدثه ويقبل بوجهه عليه ويسأله عن أحواله .

ثم قال : يا أبا الحسن ما عليك من العيال ؟

فقال : يزيدون على الخمسمائة .

قال : أولاد كلهم ؟

قال : لا ، أكثرهم موالي وحشم ، فأما الولد فلي نيف وثلاثون ، الذّكر منهم كذا والنسوان منهم كذا .

قال : فلم لا تزوج النسوان من بني عمومتهن وأكفائهن ؟

قال : اليد تقصر عن ذلك

قال : فما حال الضّيعة ؟

قال : تعطي في وقت وتمنع في آخر

قال : فهل عليك دين ؟

قال : نعم .

قال : كم ؟

قال : نحو من عشرة آلاف دينار.

فقال الرّشيد : يا ابن عم أنا أعطيك من المال ما تزوج به الذّكران والنسوان وتعمرّ الضّياع .

فقال له : وصلتك رحم يا ابن عم ، وشكر الله لك هذه النية الجميلة ، والرّحم ماسة والقرابة واشجة والنسب واحد ، والعباس عم النبي ( ص ) وصنو أبيه وعم علي بن أبي طالب عليه السلام وصنو أبيه ، وما أبعدك من أن تفعل ذلك وقد بسط يدك وأكرم عنصرك وأعلى محتدك .

فقال : أفعل ذلك يا أبا الحسن وكرامة .

فقال يا أمير المؤمنين إنّ الله عز وجل قد فرض على ولاة عهده أن ينعشوا فقراء الأمة ويقضوا عن الغارمين ويؤدوا عن المثقل ويكسوا العاري ويحسنوا إلى العاني ، وأنت أولى من يفعل ذلك .

فقال : أفعل يا أبا الحسن .

ثم قام ، فقام الرّشيد لقيامه وقبل عينيه ووجهه ، ثم أقبل عليّ وعلى الأمين والمؤتمن ، فقال : يا عبد الله ويا محمد ويا إبراهيم بين يدي عمكم وسيدكم ، خذوا بركابه وسوّوا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله ، فأقبل أبو الحسن موسى بن جعفر سراً بيني وبينه فبشّرني بالخلافة وقال لي : إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي ، ثم انصرفنا ، وكنت أجرأ ولد أبي عليه .

فلما خلا المجلس قلت : يا أمير المؤمنين من هذا الرّجل الّذي قد عظمته وأجللته وقمت في مجلسك إليه فاستقبلته وأقعدته في صدر المجلس وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الرّكاب له ؟

قال : هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده

فقلت : يا أمير المؤمنين أو ليست هذه الصّفات كلها لك وفيك ؟

فقال : أنا إمام الجماعة في الظّاهر بالغلبة والقهر ، وموسى ابن جعفر أمام حق ، والله يا بني إنه لأحق بمقام رسول الله ( ص ) مني ومن الخلق أجمعين ، والله لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الّذي فيه عيناك ، فإن الملك عقيم .

فلما أراد الرّحيل من المدينة إلى مكة ، أمر بصرة سوداء ، فيها مائتا دينار ، ثم أقبل على الفضل بن ربيع فقال له : إذهب بهذه إلى موسى ابن جعفر وقل له : يقول لك أمير المؤمنين : نحن في ضيقة وسيأتيك برّنا بعد هذا الوقت .

فقمت في صدره ، فقلت : يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار إلى ما دونها وتعطي موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجللته مائتي دينار؟ أخسّ عطية أعطيتها أحداً من الناس؟

فقال : أسكت لا أم لك ، فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له ، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم[1] .

ذكرنا هذه القصة بطولها ، وهي لا شك سوف يطلع القارئ فيها على معانٍ كثيرة ، إنه إذا أعطاه ما ضمنه له فلا يأمنه أن يضرب وجهه

[1] – البحار جزء ٤٨ ص ١٢٩ نقلاً عن عيون أخبار الرّضا .

بمائة ألف سيف ، وفقره أسلم ... فالمال إذن إذا كان عند معارض للسلطان فلا يؤتمن جانبه فقد يستغله في إنقلاب على الحكم ، خصوصاً إذا كان المعارض تعتبره الأمة أولى من غيره بالمقام .

ونقطة أخرى من خلال جباية الأموال وإرسالها إلى الأئمة عليهم السلام كانت تثير الخلفاء إضافة لما تقدم .

هي أن السّلاطين إنما يأخذون أموال الناس من الخراج وغيره كان على أساس أنهم الخلفاء الشّرعيون ، فإذا كان هناك شخص آخر تجبى له الأموال ، فإن معناه وجود منافس لهم ، وهو ما لا يطيقونه ، ولذلك نجد أن السّلاطين أولئك ، عندما يسمعون بأن الأموال تصل للأئمة عليهم السلام ، فلا يقرّ لهم قرار ، ويسرعون باستحضارهم على أي حال هم فيه ، ويهددونهم بالحبس والقتل .

جاء في تذكرة الخواص لابن الجوزي ، أن المنصور وفد على المدينة سنة ١٤٤ في طريقه لأداء فريضة الحج ، فقال للفضل بن الرّبيع ، ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتيني به متعباً ، قتلني الله إن لم أقتله قال الفضل ، فتغافلت عن ذلك طمعاً في أن ينسى المنصور وتهدأ نفسه ، فأعاد عليّ طلبه ثانياً وثالثاً ، فلم أر بداً من أن استدعيه فأرسلت إليه .

فلما حضر ، قلت له : يا أبا عبد الله لقد أرسلت إليك لأمر عظيم وما أظنك بناج منه .

فقال الإمام عليه السلام : لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، ثم دخل على المنصور وسلم عليه ، فلم يرد السّلام .

وقال له : لقد اتخذك أهل العراق إماماً يجبون لك الأموال من الزّكاة وغيرها ، وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل ، قتلني الله إن لم أقتلك .

فقال الإمام عليه السلام يا أمير المؤمنين ، إن سليمان النبي أعطي فشكر وأن أيوب أبتلي فصبر وأن يوسف بن يعقوب ظلم فغفر فاقتد بأيهم شئت[1].

أما هارون فإنه بعد ما أعياه أمر موسى بن جعفر عليه السلام ، بدأ يبحث عن رجل من أهل البيت قريب للإمام ، ليعترف له بأن الإمام تجبى له الأموال ليكون له مبرر قانوني في إتهامه ومحاسبته .

فقال يوماً لبعض ثقاته : أتعرفون لي رجلاً من آل أبي طالب ليس بواسع الحال[2] يعرفني ما أحتاج إليه من أخبار موسى بن جعفر ؟ فدل على ( علي بن إسماعيل بن جعفر الصّادق ) فحمل إليه يحيى بن خالد مالاً وكان الإمام موسى يأنس إليه ويصله وربّما أفضى إليه بأسراره فلما طلب ليشخص به أحسّ الإمام موسى بذلك ، فدعاه : إلى أين يا ابن أخي ؟ قال إلى بغداد ، وعليّ دين وأنا مملق .

قال : فأنا أقضي دينك ، فلم يلتفت إلى ذلك ، فعمل على الخروج فاستدعاه الإمام موسى فقال له : أنت خارج ؟

فقال له : نعم لا بدّ لي من ذلك .

---

[1] – سيرة الأئمة الأثني عشر / هاشم معروف الحسني ص ٢٦٤ .
[2] – كان هارون يريد شخصاً فقيراً ليغريه بالمال على موسى بن جعفر .

فقال له الإمام : أنظر يا أبن أخي واتق الله لا تؤتم أولادي ، وأمر له بثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم .

فخرج علي بن إسماعيل حتى دخل على الرّشيد ، فسأله عن عمه ، فسعى به إليه وقال له : إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب وأن له بيوت أموال وإنه أشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فسمّاها اليسيرة ، وقال له صاحبها وقد أحضره المال ، لا آخذ هذا النقد ولا آخذ إلاّ نقداً كذا وكذا .

فأمر بذلك المال فردّ وأعطاه ثلاثين ألف دينار من النقد الّذي سأل بعينه . فسمع بذلك منه الرّشيد وأمر له بمائتي ألف درهم [1] ...

والواقع أن الأئمة عليهم السّلام كانت تصلهم الأموال بكثرة ، ولكن ليس فيها من الخراج شيء وإنما هي الخمس وأمثاله ، وربما هدايا تبعث للأئمة عليهم السّلام وهم يتقبلونها وهي كثيرة جداً وليست لها علاقة بالخراج ، وربما تأتيه تلك الهدايا ليست بالنقود وإنما هي ثياب وحلي وغيرها .

وهو هذا الّذي كان يقوله موسى بن جعفر إلى هارون : ( وأما الغنائم والخمس من بعد موت رسول الله ( ص ) فقد منعونا ذلك ونحن محتاجون إلى ما في يد بني آدم ، الّذين لنا ولاؤهم بولاء الدّين ليس بولاء

[1] - مقاتل الطّالبين / لأبي فرج الاصفهاني ص ٣٣٤ .

الملك ، فإن نفذ إلينا أحد هدية ولا يقول إنها صدقة نقبلها لقول الـــنبي (ص) لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي لي كراع لقبلت[1] .

[1] - البحار جزء ٤٨ ص ١٤٧ .

# لماذا رفض الإمام الرّضا عليه السلام ولاية العهد ؟

لقد استوفينا الحديث فيما سبق عن الأسباب الّتي دعت الإمام الصّادق عليه السلام إلى أن يرفض تسلم الحكم الّذي عرضه عليه أبو سلمة الخلاّل قائد الجيش العباسي.

وربما يثار هنا سؤال ، وهو أن الإمام الرّضا عليه السلام وقد عرضت عليه الخلافة من المأمون العباسي ، فلماذا رفضها ؟ ثم عرض عليه ولاية العهد ورفضها أيضاً ؟

فإذا كان أحد الأسباب التي جعلت الصّادق عليه السلام يرفض الدّولة هو الخشية من الحرب فلماذا إذن رفضها ؟ الحرب الّتي ستقع بينه وبين العباسيين ، فإن الوضع هنا يختلف ، فإن المأمون وهو الخليفة العباسي نراه يعرض الخلافة والولاية على الرّضا عليه السلام

والسّؤال يبدو وجيهاً ، والإجابة عليه لا تكتمل ما لم نبحث عن الأسباب الّتي دعت المأمون بالذات إلى هذا العرض .

ولذلك فإننا سوف نبدأ أولاً بدواعي المأمون بالعرض ثم نبحث عن دواعي الإمام الرّضا عليه السلام بالرفض ؟

إن الحرب الّتي إستعر أوارها بين الأخوين المأمون والأمين والتخالع الّذي حدث بينهما أبرز للمأمون أن التذمر منه شمل أوساط بغداد ، وشعر بنقمة من أكثر العباسيين الّذين ناصروا الأمين عليه ، وكان العلويون يخرجون على الحكام بين الحين والآخر ، وشيعة الكوفة يرحبون بكل ثائر . كما كان الشّيعة في كل مكان ينكرون على العباسيين سوء

صنيعهم مع العلويين وأئمتهم بالذات ، ويباركون جميع الانتفاضات المعاديه لهم ، وبخاصة شيعة خراسان الّذين كان لهم الفضل الأكبر في إرساء حكم المأمون وانتصاره على أخيه وفي السّنة الّتي استولى فيها المأمون على السّلطة كانت الأخطار تهدد دولته من جميع الجهات .

فقد خرج السّدي بن منصور الشّيباني المعروف بأبي السّرايا في الكوفة وجهاتها ، يقود الدّعوة لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن ابن الحسن بن علي وبايعه عامة الناس .

ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن ، وبالبصرة علي ابن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين ، وزيد بن موسى بن جعفر الملقب بزيد النار وغلبا عليها وعلى جهاتها واشتد أمرهما ، كما ظهر في اليمن إبراهيم بن موسى ، وفي المدينة الحسن بن الحسن بن علي ابن الحسين المعروف بالأفطس ودعا إلى ابن طباطبا ، فلما مات ابن طبا طبا دعا إلى نفسه وسار منها إلى مكة في الموسم وعلى الحاج ابن داود الهاشمي فخرج من مكة هارباً من الأفطس فصلى الحسن بالناس وحج بهم ذلك العام ...

واشتعلت الثورات في أنحاء كثيرة من الدّولة ، ومع كل ثائر عشرات الألوف يناصرونه على أولئك الجبابرة الّذين أقاموا عروشهم على جماجم الأبرياء الصّالحين وسخرّوا موارد الدّولة وخيرات البلاد لشؤونهم الخاصة ولهوهم ولعبهم .

لقد أدرك المأمون في تلك الفترة التي إفتتح بها خلافته حراجة الموقف وأخطاره ، فلم يجد وسيلة أجدى وأنفع من تظاهره للرأي العام الشّيعي والعلوي برغبته في التنازل عن الخلافة إلى الإمام الرّضا عليه السلام وهو يعلم أن الإمام سيرفض ذلك رفضاً قاطعاً ـــ وكان الأمر كذلك ـــ وأخيراً أكرهه على ولاية عهده والإقامة معه في بلد واحد وتظاهر دجلاً ونفاقاً بالولاء له ولآبائه ، وأمر ولاته بالمقاطعات بالدعوة للرضا عليه السلام على المنابر وفي جميع المناسبات وضرب النقود بإسمه ، وكل ما يهمه من هذا التضليل أن يتلافى مشكلة الصّدام مع العلويين الّذين كانوا يهددون الدّولة العباسية بانتفاضاتهم وتمردهم هنا وهناك بين الحين والآخر وأن يطمئن على موقف الشّيعة في خلافته في تلك الفترة من تاريخ حكمه التي هو فيها أحوج ما يكون إليهم .

والإمام الرّضا عليه السلام ، كان يعلم علماً دقيقاً بنوايا المأمون في تظاهره بالتنازل عن الخلافة وكذلك في توليته ولايه العهد .

فلنستمع إلى أبي الصّلت الهروي الّذي كان ملازماً للإمام عليه السلام في مرو ، يقول إن المأمون قال للرضا علي بن موسى عليهما السّلام يا ابن رسول الله ، قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك [1] وأراك أحق بالخلافة مني .

---

[1] – كان المأمون يعلم كما يعلم غيره من الخلفاء والمسلمون أجمعون أن هذه الصّفات ( الورع والعلم والزّهد ... ) هي الصفات الّتي يجب أن تتوفر في أمير المؤمنين لذلك نجد المأمون نفسه وغيره من خلفاء الجور كانوا لا يتحملون مطلقاً أن يكون في ←

ـ فقال الرّضا عليه السلام : بالعبودية لله عزّ وجلّ ، أفتخر بالزهد في الدّنيا أرجو النجاة من شر الدّنيا ، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم وبالتواضع في الدّنيا أرجو الرّفعة عند الله عزّ وجلّ .

ـ فقال له المأمون : فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأرجعها لك وأبايعك .

ـ فقال له الرّضا عليه السلام : إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك ، فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك ، وإن كانت الخلافة ليست لك ، فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك .

ـ فقال المأمون : يا ابن رسول الله ، لا بد لك من قبول هذا الأمر

فما زال يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله .

فقال : لست أفعل ذلك أبداً .

ـ فقال له : فإن لم تقبل الخلافة و لم تحب مبايعتي لك ، فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافة بعدي .

فقال الرّضا عليه السلام : والله لقد حدثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عن رسول الله ( ص ) أني أخرج من الدّنيا قبلك مقتولاً بالسم مظلوماً

---

←المسلمين رجل يبزهم في صفات القيادة فكانوا يقضون عليه بالسم ، إما حسداً وإما لكيلا يبقى في المجتمع الإسلامي شخص علمه أكثر من علمهم ، وهذا يشبه إلى حد كبير ما كان يفعله معاوية من قتل من بقي من أصحاب رسول الله ( ص ) ممن شهد بدراً أو حروبه الأخرى ، لكي تبقى طبقة الطّلقاء فقط ، وهم الذين أطلقهم رسول الله ( ص ) يوم فتح مكة وكان معاوية وأبوه منهم .

تبكي عليّ ملائكة السّماء وملائكة الأرض وأدفــن في أرض إلى جنــب هارون الرّشيد[1] .

فبكى المأمون ، ثم قال له : يا ابن رسول الله ، ومن الّذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حي[2] ؟

ــ فقال الرّضا عليه السلام : أمّا أني لو أشاء أن أقول من الّــذي يقــتلني لقلت .

فقال المأمون : يا ابن رسول الله إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسكِ ودفع هذا الأمر عنك ليقول الناس إنك زاهد في الدّنيا .

ــ فقال الرّضا عليه السلام : والله ما كذبت منذ خلقــني ربي عزّ وجلّ ومــا زهدت في الدّنيا للدنيا وإني لأعلم ما تريد .

ــ فقال المأمون : وما أريد ؟

ــ قال : الأمان على الصّدق .

ــ قال : لك الأمان .

ــ قال : تريد بذلك أن يقول الناس : إنّ علي بن موسى ، لم يزهد في الدّنيا ، بل زهدت الدّنيا فيه ، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة ؟

---

[1] – وحيث أن الإمام عليه السلام يعلم بأنه سوف يموت قبل المأمون ، فلا معنى لقبول ولاية العهد .

[2] – لعل المأمون هنا أراد أن يختبر الإمام الرّضا عليه السلام هل يعلم من يقتله ، فعندما قال له لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت ، حوّل الكلام ناحية أخرى .

فغضب المأمون ، ثم قال : إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه ، وقد أمنت سطوتي ، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك ، فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك .

ـ فقال الرّضا عليه السلام : قد نهاني الله عزّ وجلّ أن ألقي بيدي إلى التهلكة فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك ، وأنا أقبل ذلك على أني لا أولّي أحداً ولا أعزل أحداً ولا انتقض رسماً ولا سنة ، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً .

فرضي منه بذلك . وجعله ولي عهده على كراهة منه عليه السلام لذلك[1]

ويصرح الإمام عليه السلام نفسه في موقع آخر بأنه كان مكرهاً في قبوله لولاية العهد .

يقول الرّيان : دخلت على علي بن موسى الرّضا عليه السلام .

ـ فقلت له : يا ابن رسول الله إن الناس يقولون إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزّهد في الدّنيا ؟

ـ فقال عليه السلام : قد علم الله كراهتي لذلك ، فلما خيّرت بين قبول ذلك وبين القتل ، اخترت القبول على القتل ، ويحهم أما علموا أن يوسف عليه السلام كان نبياً ورسولاً ، فلما دفعته الضّرورة إلى تولّي خزائن العزيز ، قال له : ﴿ إجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ .

---

[1] – البحار جزء ٤٩ ص ١٢٨ وما بعدها نقلاً عن علل الشّرائع وعيون أخبار الرّضا وأمالي الصّدوق .

ودفعتني الضّرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الإشــراف على الهلاك ، على أني ما دخلت في هذا الأمر إلاّ دخول خارج منه .

فإلى الله المشتكى وهو المستعان[1].

نعم إلى الله المشتكى ، وهو المستعان ، فلم يجد الإمام عليه السلام بداً من قبول ولاية العهد .

وهو منذ اليوم الأول ، منذ كان بالمدينة ، وقد ورده طلب المأمون باستحضاره إلى مرو ، كان يعلم القصة كلها ، بما يمتلك من قوة حدس وفطنة متناهية ، قرأ خطة المأمون كلها ، فرحل إلى مرو وحده و لم يأخذ معه أحداً من عياله ، فخير للعيال أن يبقوا في المدينة قريبين من جــدهم وأهليهم .

قبل ولاية العهد واشترط على المأمون على أن لا يتدخل في عــزل ونصب وتغيير وإنما للمشورة من بعيد كما سبق ذلك ، ولكن المــأمون كان لا يألو جهداً في الحطّ من منــزلته فكان يسلك شتّى السبل في هذا المضمار ، يجمع العلماء والفقهاء ، عسى أن يوجّهوا إليه بعض المســائل الشّداد ليفحموه ، ولكن النتيجة كانت معكوسة دائماً ، وكان النــاس يقولون إنّ الرّضا أولى بالخلافة من المأمون لعلمه وفضله .

فكان هذا وأمثاله يثير فيه الحقد والحسد ، وكان كلما مرّت الأيام انكشف للناس فضل الإمام على المأمون وغيره ، فيزداد حقداً وحسداً ،

[1] - المصدر السابق .

إلى أن دسّ إليه السّم ، بعد أن استتبت له الأمور وأمـــن مـــن ثـــورات العلويين وتوجه إلى بغداد بعد قتل أخيه الأمين .

❊❊❊

**ولنقرأ هذه القصة :**

إن الرّضا علي بن موسى (عليه السلام) لما جعله المأمون ولي عهده ، احتبس المطر ، فجعل بعض حاشية المأمون والمتعصبين على الرّضا (عليه السلام) يقولون : انظروا وإنما جاءنا علي بن موسى وصار ولي عهدنا فحبس الله تعالى المطر واتصل ذلك بالمأمون فاشتدّ عليه ، فقال للرّضا (عليه السلام) قد احتبس المطر فلو دعوت الله (عز وجل) أن يمطر الناس .

ـــ قال الرّضا (عليه السلام) : نعم .

فخرج الإمام إلى الصّحراء واستسقى الله وأنزل المطر ، وأعظم الله تبارك وتعالى البركة في البلاد بدعاء الرّضا (عليه السلام) .

وقد كان للمأمون من يريد أن يكون هو ولي عهده من دون الرّضا (عليه السلام) .

فقال للمأمون بعض أولئك : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن تخرج تاريخ الخلفاء في إخراجك هذا الشّرف العميم والفخر العظيم من بيـــت ولد العباس إلى بيت ولد علي ، ولقد أعنت على نفسك وأهلك ، جئت

بهذا السّاحر ولد السّحرة وقد كان خاملاً فأظهرته ومتضعاً فرفعته ومنسياً فذكرّت به ومستخفاً فنوهت به ، قد ملأ الدّنيا مخرقة وتشوقاً بهذا المطر الوارد عند دعائه ، ما أخوفني أن يخرج هذا الرّجل هذا الأمر عن ولـــد العباس إلى ولد علي ، بل ما أخوفني أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك والتوثب على مملكتك ، هل جنى أحد على نفسه وملكه مثل جنايتك ؟

ـــ فقال المأمون :

١- قد كان هذا الرّجل مستتراً عنا يدعو إلى نفســـه ، فأردنـــا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه لنا .

٢- وليعرف بالملك والخلافة لنا .

٣- وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس مما ادّعى في قليل ولا كثير .

٤- وأن هذا الأمر لنا من دونه .

٥- وقد خشينا إن تركناه على تلك الحال أن ينفتق علينا منه مالا نسده ويأتي علينا منه مالا نطيقه .

والآن ، فإذ قد فعلنا به ما فعلنا وأخطأنا في أمره بما أخطأنا وأشرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما أشرفنا ، فليس يجوز التهاون في أمره ، ولكنا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوره عند الرّعية بصـــورة مـــن لا يستحق لهذا الأمر ثم ندّبر فيه بما يحسم عنا موادّ بلائه [1] .

❁❁❁

[1] - المصدر السابق جزء ٤٩ ص ١٨٠ نقلاً عن عيون أخبار الرّضا .

والمأمون وإن كان قد وافق على الشّروط الّتي سجلّها عليه الإمام ﷺ في وثيقة العهد من عدم تدخله في نصب وتعيين وعزل ... الخ فإن المأمون كان يحاول دوماً أن يزجّ الإمام في مشاريعه وحروبه ، فيطلب من الإمام أن يتدخل ، فيذكرّه الإمام بالشرط:

يقول معمر بن خلاّد : قال لي أبو الحسن الرّضا ﷺ : قال لي المأمون يا أبا الحسن لو كتبت إلى بعض من يطيعك في هذه النواحي التي قد فسدت علينا ، قال قلت له : يا أمير المؤمنين إن وفيت لي وفيت لك ، إنما دخلت في هذا الأمر الذي دخلت فيه لم يزد في النعمة عندي شيئاً ، ولقد كنت بالمدينة وكتابي ينفذ في المشرق والمغرب ، ولقد كنت أركب حماري وأمرّ في سكك المدينة وما بها أعزّ مني ، وما كان بها أحد يسألني حاجة يمكنني قضاؤها له إلاّ قضيتها له ، فقال لي : أفي بذلك [1] .

ولا شك أن تسجيل هذا الشّرط من الإمام على المأمون ، فوّت على المأمون كثيراً من الفرص والأهداف الّتي كان يصبو إليها ، فلقد كان المأمون يريد أن يزج بالإمام في قضاياه وشؤونه وهي كما قلنا سابقاً قضايا وشؤون بعيدة جداً عن تعاليم وأحكام الإسلام وتواجه الإمام ﷺ كثيراً من العُقَد والمشاكل بسببها .

❁❁❁

[1] - البحار جزء ٤٩ ص ١٥٥ نقلاً عن الكافي جزء ٨ ص ١٥١ .

ولكن المأمون لم ييأس من الإمام ، فكان يحاول دائماً أن يشركه في أمره ، إلاّ أن الإمام كان قوياً في حجته ويذكره بالشرط .

ويتصور المأمون أنه يستطيع أن يغري الإمام بالمشاركة ، فيذكّره بالملك وسعته وشموله ، فلعل ذلك يثير فيه شهوة الدّنيا ، ولكن الإمام كان من طبيعة أخرى لا تشبه طبيعة المأمون .

فالمأمون طبع على الدّنيا والرّضا عليه السلام طبع على الآخرة ، وهذان قطبان متناظران لا يلتقيان ، اللّهم إلاّ إذا كانت الدّنيا للآخرة .

يروي ياسر خادم الإمام الرّضا عليه السلام يقول :

كان الإمام عليه السلام إذا خلا جمع حشمه كلهم عنده الصّغير والكبير فيحدثهم ويأنس بهم ويؤنسهم وكان عليه السلام إذا جلس على المائدة لا يدع صغيراً وكبيراً حتى السّائس والحجّام إلاّ أقعده على مائدته ، فبينا نحن عنده يوماً إذ سمعنا وقع القفل الّذي كان على باب المأمون إلى دار أبي الحسن عليه السلام فقال لنا الرّضا أبو الحسن عليه السلام قوموا تفرقوا ، فقمنا عنه ، فجاء المأمون ومعه كتاب طويل ، فأراد الرّضا عليه السلام أن يقوم فأقسم عليه المأمون بحق رسول الله (ص) أن لا يقوم إليه .

ثم جاء حتى أنكبّ على أبي الحسن عليه السلام وقبّل وجهه وقعد بين يديه على وسادة ، فقرأ ذلك الكتاب عليه فإذا هو فتح لبعض قرى كابل فيه : إنا فتحنا قرية كذا وكذا ، فلما فرغ قال له الرّضا عليه السلام وسرّك فتح قرية من قرى الشّرك ؟

ـــ فقال له المأمون : أوليس في ذلك سرور ؟

ـــ فقال : يا أمير المؤمنين إتق الله في أمة محمد (ص) وما ولاّك من هذا الأمر وخصّك به فإنك قد ضيَّعت أمور المسلمين وفوضت ذلك إلى غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله ﷻ ... ويأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه ويعجز عن نفقته ، فلا يجد من يشكو إليه حاله ولا يصل إليك [1] .

ولا شك أن كلاماً كهذا لم يسمعه المأمون من غير الرّضا عليه السلام فلا يطيق المأمون ولا غيره من الخلفاء أن يقول لهم أحد اتق الله يا أمير المؤمنين والإمام عليه السلام لا يسعه إلاّ أن يقول له ولأمثاله إتق الله إذا كان يحكم بغير ما أنزل الله ، وكان جباراً يبطش بالناس دونما شرع ودونما رحمة . وإن كان الإمام الرّضا عليه السلام هنا يشبه كلام الصّادق عليه السلام حينما سأله المنصور لماذا خلق الله الذّباب ؟ وكأنه يعترض على خلق الله .

فأجابه الإمام الصّادق ليذل به الجبابرة .

❁❁❁

[1] - المصدر السابق جزء ٤٩ ص ١٦٤ وجزء ٢ص ١٥٩ عن عيون أخبار الرّضا .

وحيث وصلنا إلى هنا ، فإنه من المناسب أن نذكر نص الوثيقة الّتي كتبها المأمون في جعل الإمام الرّضا عليه السلام ولياً لعهده ثم نذكر بعدها ما كتبه الإمام نفسه تعليقاً على ذلك :

نص الوثيقة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرّشيد ، أمير المؤمنين لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده ...

أما بعد

فإن الله عزّ وجلّ اصطفى الإسلام ديناً واصطفى من عباده رسلاً دالّين عليه وهادين إليه ، يبشر أولهم بآخرهم ويصدق تاليهم ماضيهم ، حتى انتهت نبوة الله إلى محمد ( ص ) على فترة من الرّسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي واقتراب من السّاعة ، فختم الله به النبيين ، وجعله شاهداً لهم ومهيمناً عليهم وأنزل عليه كتابه العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، بما أحلّ وحرّم ، ووعد وأوعد ، وحذر وأنذر ، وأمر به ونهى عنه ، لتكون له الحجة البالغة على خلقه ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيَّ عن بينة ، إن الله لسميع عليم .

فبلغ عن الله رسالته ، ودعا إلى سبيله بما أمره به ، من الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ثم بالجهاد والغلظة حتى قبضه الله إليه ، واختار له ما عنده ( ص ) .

فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد ( ص ) الوحي والرّسالة ، جعل قوام الدّين ونظام أمر المسلمين بالخلافة ، وإتمامها وعزها ، والقيام بحق الله فيها بالطاعة الّتي يقام بها فرائض الله تعالى وحدوده وشرائع الإسلام وسننه ، ويجاهد بها عدوه .

فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله ، وأمن السّبيل وحقن الدّماء وصلاح ذات البين وجمع الألفة ، وفي خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلالهم واختلاف ملتهم ، وقهر دينهم واستعلاء عدوهم وتفرق الكلمة وخسران الدّنيا والآخرة .

فحق على من استخلفه الله من أرضه وأتمنه على خلقه أن يجهد الله نفسه ، ويؤثر ما فيه رضا الله وطاعته ويعتد لما الله موافقه عليه ومسائله عنه ، ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما أحله الله وقلدّه فإن الله ﷻ يقول لنبيه داود ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى ، فيضلك عن سبيل الله ، إنّ الّذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ وقال الله ﷻ ﴿فوربك

لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعــملون ﴾ وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: ( لو ضاعت سخلة بشاطئ الفرات لتخوفت أن يسألني الله عنها ) .

وأيم الله ، إن المسؤول عن خاصة نفسه ، الموقوف على عمله فيمــا بينه وبين الله ، ليعرض على أمر كبير وعلى خطــر عظــيم ، فكيــف بالمسؤول عن رعاية الأمة ، وبالله الثقة وإليه المفزع والرّغبة في التوفيــق والعصمة والتسديد والهداية على ما فيه ثبوت الحجة ، والفــوز مــن الله بالرضوان والرّحمة . وأنظر الأمة لنفسه ، وأنصــحهم لله في دينــه مــن خلائقه في أرضه ، من عمل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه ( ص ) في مدة أيامه وبعدها ، وأجهد رأيه فيمن يوليه عهده ويختاره لإمامة المســلمين ورعايتهم بعده ، وينصبه علماً لهم ، ومفزعاً في جميع ألفتهم ، ولمّ ذات بينهم واختلافهم ورفع نزغ الشّيطان وكيده عنهم ، فإن الله ﷻ جعــل العهد بعد الخلافة من تمام الإسلام وكماله وعزه وصلاح أهله ، وألهــم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت بــه النعمــة ، وشملت فيه العافية ، ونقض الله بذلك مكر أهل الشّــقاق والعــداوة ، والسّعي والفرقة والتربّص للفتنة.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة ، فاختبر بشاعة مذاقها وثقل محملها وشده مؤونتها ، وما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمله منها ، فأنصب بدنه وأسهر عينيه وأطال فكره فيما فيه عز الدّين وقمع المشركين وصلاح الأمة ونشر العدل وإقامة الكتــاب

والسّنّة ، ومنعه ذلك من الخفض والدّعة ومهنّأ العيش علماً بما الله سائله عنه ، محبة أن يلقى الله مناصحاً له في دينه ، وعباده ، ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده ، أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه وأرجاهم للقيام في أمر الله وحقه ، مناجياً بالإستخارة في ذلك ومسألته إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في آناء ليله ونهاره ، معملاً في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس وعلي بن أبي طالب فكره ونظره مقتصراً ممن علم حاله مذهبه فيهم على علمه ، وبالغاً في المسألة عمن خفي عليه أمره جهده وطاقته ... حتى استقصى أمورهم معرفة وابتلى أخبارهم مشاهدة واستبرأ أحوالهم معاينة ، وكشف ما عندهم مساءلة ، فكان خيرته بعد استخارته الله وإجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في البيتين جميعاً !

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب لما رأى من فضله البارع وعلمه النافع وورعه الظاهر وزهده الخالص وتخلّيه عن الدّنيا وتسلمه من الناس ...

وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة والألسن عليه متفقة والكلمة فيه جامعة ، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً وحدثاً ومكتهلاً ، فعقد له بالعقد والخلافة من بعده واثقاً بخيرة الله في ذلك ، إذ علم الله أنه فعله إيثاراً له وللدين ونظراً للإسلام والمسلمين وطلباً للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الّذي يقوم الناس فيه لرب العالمين .

ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه فبايعوا مسارعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيرهم ، ممن هو أشبك منه رحماً وأقرب قرابة . وسماه ( الرّضا ) إذ كان رضا عند أمير المؤمنين فبايعوا معشر أهل البيت أمير المؤمنين ، ومن بالمدينة المحروسة من قوّاده وجنده وعامة المسلمين لأمير المؤمنين وللرضا من بعده علي بن موسى على اسمه وبركته وحسن قضائه لدينه وعباده بيعة مبسوطة إليها أيديكم ، منشرحة لها صدوركم ، عالمين بما أراد أمير المؤمنين بها وآثر طاعة الله والنظر لنفسه ولكم فيه ، شاكرين الله على ما ألهم أمير المؤمنين بها من قضاء في رعايتكم وحرصه على رشدكم وصلاحكم راجين عائدة ذلك في جمع ألفتكم وحقن دمائكم و لمّ شعثكم وشد ثغوركم وقوة دينكم ورغم عدوكم واستقامة أموركم .

وسارعوا إلى طاعة الله وطاعة أمير المؤمنين ،فإنه الأمن إن سارعتم إليه وحمدتم الله عليه ، عرفتم الحظ فيه إن شاء الله .

وكتبه بيده في يوم الإثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين .

ثم إنه تقدم إلى الإمام الرّضا عليه السلام وقال له : اكتب خطك بقبول هذا العهد واشهد الله والحاضرين عليك بما تعده في حق الله ورعاية المسلمين .

فكتب الإمام تحته :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الفعّال لما يشاء ، ولا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور ، وصلاته على نبيه محمد خاتم النبيين وآله الطّيبين الطّاهرين .

أقول ـ وأنا علي بن موسى الرّضا بن جعفر ، إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد ، عرف من حقنا ما جهله غيره ، فوصل أرحاماً قطعت وأمن أنفساً فزعت ، بل أحياها وقد تلفت وأغناها إذ افتقرت مبتغياً رضا رب العالمين ، ولا يريد جزاءً من غيره ، وسيجزي الله الشّاكرين ولا يضيع أجر المحسنين .

وإنه جعل إليّ عهده ، والإمرة الكبرى ـ إن بقيت ـ بعده ، فمن حلّ عقدةً أمر الله بشدّها وقصم عروة أحب الله ايثاقها ، فقد أباح الله حريمه واحل محرمه ، إذ كان بذلك زارياً على الإمام ، منتهكاً حرمة الإسلام ، بذلك جرى السّلف ، فصبر منه على الفلتات ، ولم يعرض على الغرفات خوفاً من شتات الدّين واضطراب حبل المسلمين لقرب أمر الجاهلية ورصد فرصة تنتهز وبايقة تبتدر .

وقد جعلت الله على نفسي إن استرعاني أمر المسلمين وقلدني خلافته العمل فيهم عامة وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة وبطاعته وطاعة

رسوله ( ص ) وأن لا أسفك دماً حراماً ولا أبيح فرجاً ولا مالاً إلاّ ما سفكته حدود الله وأباحته فرائضه وأن أتخيّر الكفاة جهدي وطاقتي ، وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكداً ، يسألني الله عنه ، فإنه ﷻ يقول ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا ﴾ .

وإن أحدثت أو غيرت أو أبدلت كنت للغير مستحقاً وللنكال متعرضاً ، وأعوذ بالله من سخطه وإليه أرغب في التوفيق لطاعته والحؤول بيني وبين معصيته ، في عافية لي وللمسلمين .

والجامعة والخبر يدلان على ضد ذلك ، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ، إن الحكم إلاّ لله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين ، لكني امتثلت أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه ، والله يعصمني وإياه ، وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً .

وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه والفضل بن سهل وسهل بن الفضل ويحيى بن أكثم وعبد الله بن طاهر وثمامة بن أشرس وبشر بن المعتمر وحماد بن النعمان في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين[1]

❁❁❁

[1] - الفصول المهمة لأبن الصبّاغ ابتداء من ص ٢٩٣

البحث السّابق كان عن الأسباب الّتي دعت المأمون إلى أن يعــرض الخلافة ومن ثم ولاية العهد على الإمام الرّضا عليه السلام .

ولقد وجدنا المأمون لم يكن في عرضه ذلك جادّاً ، فالملك عقــيم والخلافة غاية ما كان يصبو إليها المأمون نفسه ، ومن أجلها حارب أخاه الأمين وقتله ، وإنما كان مناوراً في مرحلة حالكة من حياته .

أما هنا فإننا سوف نبحث عن الأسباب الّتي من أجلها رفض الإمام عليه السلام قبول هذا العرض فنقول :

لو أن الإمام قبل عرض الخلافة ، فماذا ترى سوف يكون موقــف المأمون ؟

بديهي أن المأمون كان قد أعدّ العدة لأي احتمال من هذا النوع ... وقد كان يعلم أنه يستحيل على الإمام ، خصوصاً في تلك الظّــروف أن يقبل عرض الخلافة من دون إعداد مسبق لها وتعبئة شاملة لجميع القــوى وفي مختلف المجالات ، ولسوف يكون قبوله لها بدون ذلك عملاً انتحارياً لا مبرر له ولا منطق يساعده إذ من البديهي أن الإمام الّذي كان يعلــم كم كان للقائد الحقيقي الواعي من أثر في حياة الأمــة وفي مســتقبلها وكيف يمكن أن تتحد في ظله قدرات الأمــة ــ أفــراداً وجماعــات ــ وإمكاناتها المادية والفكرية وغيرها في طريق صلاحها وإصلاحها .. ويعلم أيضاً كيف يكون الحال لو كان القائد فاسداً حتّى بالنسبة لما يبدو مــن تصرفاته في ظاهره صحيحاً وسليماً .

إن الإمام الّذي كان يعلم ذلك وسواه وبصفته القائد الحقيقي للأمة لو حكم ، فلا بدّ له أن يقيم دولة الحق والعدل ويحمل الناس على المحجة ويحكم بما أنزل الله كما حكم جده محمد ( ص ) وأبوه علي عليه السلام من قبل ، وحكمه هذا سوف يكون مرفوضاً جملة وتفصيلاً ، لأن الناس وإن كانوا عاطفياً مع أهل البيت عليهم السلام إلاّ أنهم حيث لم يتربّوا تربية إسلامية صحيحة وصالحة ، إذا أراد العلويون حملهم على المحجة ، ولسوف لا ينقادون لهم بسهولة ، ولا يعطونهم بيسر ، ولسوف يكون الحكم بما انزل الله غريباً على أمة اعتادت على حياة خلفاء بني العباس ومن قبلهم بني أمية المليئة بالانحرافات والموبقات .

أولئك الخلفاء الّذين كانوا في طليعة المستهترين والمتحللين من كل قيود الدّين والإنسانية ، والّذين كانوا يتساهلون في كل شيء ما دام لايؤثر بوجودهم في الحكم على الإطلاق حتّى في الدّين وأحكامه والأخلاق والمثل العليا ، وما ذلك إلاّ لأنهم لم يكن همهم إلاّ الحكم والتسلط .

وإذا كان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، عندما أراد أن يحكم بما أنزل الله تعالى قد لاقى ما لاقى مما لا يجهله أحد رغم ما سمعته الأمة من فم النبي ( ص ) مباشرة في حقه وقرب عهدها به ، فكيف بعد أن مرت عشرات السّنين وأصبح الانحراف عادة جارية ، وسنة متبعة ، واتخذ نحواً من الأصالة في حياة الأمة وروحها .

وإذا كان أبو مسلم الخراساني قائد العباسيين قد قتل ستمائة ألف نفس صبراً عدا مئات الألوف الأخرى الّتي ذهبت طعمة للسيوف في المعارك .

وإذا كانت ثورة أبي السّرايا ــ ضد المأمون ــ قد كلفت المأمون نفسه مائتي ألف جندي من جنوده .

وإذا كان العصيان ما انفك يظهر في كل جانب ومكان ، رغم أن الحكم كان أولاً وآخراً ينسجم مع أهواء الناس ومصالحهم الشّخصية فهل يمكن مع هذا أن لا يتعرض الإمام الرّضا عليه السلام لعصيان أصحاب الأهواء ــ وما أكثرهم ــ والكيد من قبل الأعداء الذين سوف يزداد عددهم وتتضاعف قوهم عندما يحاول الإمام عليه السلام أن يفرض عليهم حكماً ما اعتادوه وسلوكاً ما ألفوه .

إن من الواضح أنّ الناس وإنْ كانت قلوبهم معه إلاّ أنّ سيوفهم سوف تنقلب لتصير عليه كما انقلبت على آبائه وأجداده من قبل ، وذلك عندما لا ينسجم حكمه عليه السلام مع رغائبهم وأهوائهم وانحرافاتهم حيث أنّ الإمام عليه السلام إذا أراد أن يحكم ، فلسوف يواجه تلك العناصر القوية ذات النفوذ وأولئك المستأثرين بكل الأموال والإقطاع من أصحاب الأطماع والمصالح الشّخصية وجهاً لوجه ، إذ أننا لا يمكن أن ننتظر من حكومة الإمام الّتي هي حكومة الحق والعدل أن تقرّهم على ما هم عليه .

إنّ حكومة الإمام عليه السلام إذا أرادت أن تقوم بعمل أساسي في سبيل استئصال كل جذور الانحراف والفساد ، فإن عليها أولاً وقبل كل شيء أن تقوم بقطع أيدي أولئك الغاصبين لأموال الأمة والمتحكمين بقدراتها وإبعاد كل أولئك الّذين كانوا يستغلون مناصبهم الّتي وصلوا إليها عن طريق الظّلم .

يضاف إلى ذلك ، أنّ الإمام عليه السلام إذا أراد أن ينطلق في كل نصب وعزل من مصلحة الأمة لا من مصلحة الحاكم والقبيلة ، فطبيعي أن يؤدي ذلك إلى إثارة القبائل ضده ويؤلبهم عليه ، فزعماء القبائل سواء كانوا عرباً أو فرساً كانوا يلعبون دوراً هاماً في إنجاح أية ثورة وقيام أية دعوة واستمرار ونجاح أي حكم .

ونتيجة لذلك ، فإنه من الطّبيعي أن يستفحل الصّراع بينه وبين العناصر القوية ، ذات النفوذ من أصحاب الأهواء والمصالح الشّخصية وأولئك الّذين يعتمل في نفوسهم طموح كبير نحو زبارج الدّنيا وبهارجها .. وذلك عندما يعطي القيمة الحقيقية لهؤلاء جميعاً ويجعلهم في المستوى الّذي يجب أن يكونوا فيه ويحدّد لهم واقعهم الّذي لن يرضوا أبداً لتحديده وتقييمه ، وعلى الأقل لن تساعده تلك العناصر على تصحيح الوضع وإقرار النظام .

وللعلم فإن القيادة القبلية كانت قد فسدت آنذاك واعتاد رؤساء القبائل على نكث العهود والمواثيق الّتي يعطونها ، فكانوا يؤيدون هذه

الدّعوة وهذا القائم بها إلى أن يجدوا من يستفيدون منه ، ويغدق عليهم أكثر من الأموال ، وكان للقيادات القبلية دور كبير في إنجاح أية دعوة وانتصار أية ثورة .

ولن ننسى هنا ما فعله معاوية بن أبي سفيان من بذله للأموال في معاركه مع الإمام أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام ، حتّى إنه استطاع أن يؤثر على أقرب المقربين للحسن وهو عبيد الله بن العباس الّذي كان أميراً للجيش في حين أنه كان موتوراً من معاوية نفسه الّذي بعث ( بسر ابن أرطأة ) إلى اليمن الّتي كان فيها عبيد الله والياً من قبل الإمام علي عليه السلام وذبح ولديه حتّى جُنّت أمهما .

فإذا سلك الإمام الرّضا عليه السلام مع الناس نفس السّلوك الّذي سلكه أجداده من قبل ـــ ولن يستطيع أن يسلك غيره ـــ فإنه سوف ينهار حكمه وسلطانه أمام أول عاصفة تواجهه ولن يستطيع أن يبقى محتفظاً بوجوده في الحكم .

وللعلم فإن نفوس الناس ساءت أكثر بكثير مما كانوا عليه أيام أجداده علي والحسن عليهما السّلام .

ونتيجة لذلك فإن الإمام عليه السلام وإن كان يمتلك القدرة على الإصلاح ولكن الأمة لم تكن لتتحمل مثل هذا الإصلاح ، خصوصاً وأنّ الحكام بوحي مصالحهم الخاصة ، كانوا قد أدخلوا في أذهان الناس صوراً خاطئة عن الحكم والحكام الّذين يفترض فيهم أن يقودوا الأمة في مسيرها إلى

مصيرها وأن يكونوا قدوة صالحة لهم ، خصوصاً وهم يدعون أنهم أمراء المؤمنين وخلفاء رسول الله ( ص ) .

وسوف لا يسكت العباسيون والمأمون بصورة خاصة وسوف يعملون بكل ما لديهم من قوة وحول من أجل تقويض حكم الإمام وزعزعة سلطانه .

ومن المعلوم أن المأمون كان في تلك الفترة هو الّذي يمتلك القدرة والسّلطان وكل أسباب القوة والمنعة متوفرة لديه ، ولا شك أنه سوف يسهل عليه ــ إذا لم يكن حكم الإمام عليه السلام على وفق ما يشتهي وحسبما يريد ــ أن يحرك عليه أقطار الدّنيا ولن تصعب على المأمون تصفية الإمام بالطريقة الّتي يشاء .

ولا شك أنّ المأمون عندما يتنازل عن الخلافة للإمام عليه السلام فإن ذلك لا يعني مطلقاً أنه سوف لا يحتفظ لنفسه بأي من الإمتيازات الّتي تضمن له نصيباً قوياً في الدّولة .

لكل ذلك فإن الإمام الرّضا عليه السلام وجد نفسه بين خيارين لا ثالث لهما ، فإما أن يحاول تحمل المسؤولية الحقيقية بكل أبعادها وتبعاتها باعتباره القائد الحقيقي للأمة مما سوف يكون من نتائجه أن يعرّض نفسه للهلاك حيث لا يستطيع الناس والمأمون معهم أن يتحملوا ذلك والصّبر عليه .

وإما أن لا يتحمل مسئولية الحكم ولا يأخذ على عاتقه قيادة الأمة وإنما تكون مهمته وما يأخذه على عاتقه هو فقط تنفيذ إرادات المأمون وأشياعه من المنحرفين ويكون هو الواجهة الّتي يختفي وراءها الحكام الحقيقيون ، المأمون وبطانته .

وواضح أن نتيجة ذلك سوف تكون أعظم خطراً على الإمام وعلى العلويين وعلى الأمة بأسرها وأشد فداحة من نتيجة الخيار السّابق .

وهنا وقد قبل الإمام الرّضا عليه السلام ـــ ولاية العهد ـــ وقلنا إنه كان يعلم بهدف المأمون من هذه اللّعبة ، فما هو موقف الإمام بعد القبول ؟

إنّ الإمام عليه السلام لم يدع فرصة أو مناسبة تمرّ دون أن يستثمرها للإسلام الواقعي وليس للإسلام الحاكم آنذاك ، ودون أن يبدي فيها رضاه عما حدث .

ونستطيع أن نقول إنّ الإمام والمأمون ، كلاهما كانا يتسابقان للوصول إلى هدفيهما :

المأمون ، وقد سبق منا البحث في هدفه الّذي كان يصبو إليه بعد أن انفتقت عليه البلدان في كل مكان ، وأنه يريد أن يقول للناس إنّ الرّضا لم يزهد في الدّنيا ، بل الدّنيا هي التي زهدت فيه .

أما الإمام ، فقد كان يعلم بلعبة المأمون كلها وإنه متّى ما حقق هدفه ، قضى عليه .

**كان يعلم ذلك عن طريقين :**

أ ــ من الأخبار الّتي تلقّاها من آبائه اللاحق من السّابق من الأئمة عليهم السّلام .

ب ــ وكذلك من الفطنة والفراسة والدّراية الواسعة الّتي كان يتمتع بها الإمام عليه السلام والّتي كان يعرف نتيجة الموضوع من بداية تلقّيه وسماعه له.

وبناء على معرفة الإمام عليه السلام بلعبة المأمون ، فإنه كان يسعى إلى أن يبيّن لخاصته إنّ هذا الأمر ( ولاية العهد ) لا يتمّ ، كما كان يبيّن للعامة أنّ شريعة رسول الله ( ص ) إنما يمثلها الإمام وليس المأمون .

وقد مرّ بنا في مطاوي أحاديثنا بعض الحوادث الّتي تدل على ما نقول ، كان منها صلاة العيد ، الّتي كان المأمون يريد أن يُشغل الإمام بالأبهة وبالاستقبال الفخم وبالطبول والرّايات الخفاقة ، وكأن الإمام شخص يهفو قلبه لهذه المظاهر ، فلم يقبل بصلاة العيد إلاّ بعد إصرار وتوسّل المأمون ، وهنا كان لا بدّ له وهو الإمام المفترض الطّاعة ، وهو الوحيد في زمانه الّذي يجب أن يبلّغ أمر الله سبحانه وتعالى ويظهر شريعة جده رسول الله ( ص ) فخرج بالطريقة الّتي كان يخرج بها رسول الله (ص) ، وأحدث انقلاباً في عواطف الناس ، مما دعا المأمون إلى أن يتدارك الأمر ويُرجع الإمام عليه السلام قبل أن يفلت منه الزّمام .

وحيث اضطر الإمام عليه السلام إلى أن يتولى ولاية العهد ، فكان من الطّبيعي أن يعدّ عليه السلام عدته ويضع خطة لمواجهة خطط المأمون ، ونستطيع أن نشير إلى ذلك إشارات مبسترة :

١-إنّه عليه السلام لم يقبل العرض إلاّ مكرهاً ليثير شكوك الناس حول طبيعة الحدث ، فإن عرض المأمون للخلافة ومن ثم ولاية العهد على الإمام إذا نظرنا إلى ذلك نظرة بسيطة حسب مفهوم الناس آنذاك ، فإنه عرض عظيم جداً تتلهف له النفوس ويسيل له اللّعاب .

وأية أمنية للإنسان الطّموح أرفع من هذا المنصب الّذي باستطاعته أن يملك العالم الإسلامي بأسره ويدعى له على المنابر في كل مكان ؟

ثم إنّ العلويين كانوا منذ العصر الأموي يثورون لتسلم السّلطة ، فكيف والسّلطة الآن تقدم على طبق من ذهب إلى سيد بني هاشم وهو يرفضها !

إنّ النظرة السّطحية للناس آنذاك كانت هكذا ... فإذا ما رفض الإمام هذا العرض بقوة ، وإذا ما قبل العرض بعدئذ بالإكراه وهو حزين ، فإن هذه الحالة سوف تثير الشّكوك والتساؤلات لدى أولئك الناس .

ماذا حدث ؟ وماذا حدا بالإمام إلى أن يرفض ؟ والعلويون مغلوبون على أمرهم ؟

إنّ الناس ، كل الناس ، كانوا يرون الرّضا عليه السلام هو الأعلم والأورع والأفضل أما الشّيعة فقد كانوا يعتقدون ذلك اعتقاداً جازماً ، ويزيدون عليه العصمة للأئمة جميعاً .

وأما عامة الناس ، فإن كلام المأمون بحق الإمام ، عندما أراد أن يتنازل عن الخلافة وولاية العهد ، إنهم ازدادوا يقيناً بأن الإمام عليه السلام هو الأعلم وهو الأفضل .

ولكن ما عسى الإمام إذن يرفض ذلك ؟ ولا يقبل إلاّ بالإكراه ؟ إنّ هذا يثير الشّكوك لدى الجميع ، لا بدّ أن يكون وراء هذا العرض شيء آخر ، وإن كانوا هم لا يعرفونه ، فالإمام يعرفه .

وسوف يتوسع هذا الشّك ليصبح لغطاً ، ثم يصبح حديث الناس (إنّ الرّضا لا يوافق على العرض إلاّمكرهاً) .

٢- المأمون طلب من الرّضا عليه السلام ، أن يصطحب معه أهله ومن يحب ، ولكن الإمام لم يصطحب أحداً في سفره الطّويل الّذي سوف يتقلد فيه الحكم ، لعلمه عليه السلام بأنه سوف لن يعود من سفره .

مع أنّ فكرة تسلم الحكم ( الخلافة أو ولاية العهد ) تقتضي الاستقرار والبقاء ، والمأمون كان يرمي من طلب اصطحاب الأهل من المدينة إلى مرو أن يشعر الناس بأن الموضوع أمر جدي ، وأن حالة من الاستقرار والركون إلى الشّرع الشّريف سوف تكون .

ولكن الإمام عليه السلام فوّت على المأمون كل آماله ومخططاته ، وهو يعلم منذ البداية ــ كما قلنا ــ أن المخطط ( تكتيك ) كما يسمونه ، أي أنه مرحلة موقّتة لثبات حكم المأمون بعد ما عصفت به الأهوال .

٣- موقف الإمام عليه السلام في نيشابور في الإجتماع الّذي ضمّ الآلاف حيث يبلغهم كلمة التوحيد ( كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي ) ثم ذكر لهم أنّ كلمة التوحيد ترتبط به ( بشروطها وأنا من شروطها ) وبذلك يكون قد ضيّع على المأمون أعظم هدف كان يرمي إليه من استقدام الإمام عليه السلام إلى مرو ألا وهو الحصول على اعتراف بشرعية خلافته وخلافة بني أبيه العباسيين .

ماذا تعني هذه الكلمة ( بشروطها وأنا من شروطها ) ؟

ليس المتصوّر منها ( الخلافة وولاية العهد ) الّتي أزمع المأمون أن يولّيها للإمام عليه السلام ، فالإمام بعد لم يتسلم المنصب ، إنها الولاية ، أي عليكم أن تلتزموا وتتبعونا نحن أهل البيت وأنا منهم ، فالقيادة والإمامة إذن له ولآبائه الّذين ذكرهم متسلسلين في سنده الشّريف ، سمعت من أبي ... إلى أن يصل إلى رسول الله ( ص ) ثم لماذا كلمة التوحيد وليس غيرها من أحكام الإسلام ؟ لماذا اختار هذا الحديث دون غيره من الأحاديث ، والناس حشد كبير ، ربّما تجاوز عشرات الآلاف .

إن التوحيد أساس الحياة والعقيدة ، وهو الّذي كان يطلبه رسول الله ( ص ) من قريش ( قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ) الإعتماد على الله وحده ورفض كل الطّواغيت والجبابرة الآخرين .

٤- رفضه عليه السلام الشّديد عرض المأمون ( الخلافة وولاية العهـــد ) وإصراره على هذا الرّفض الّذي استمر أشهراً وهو في مرو نفسها ، حتّى لقد هدده المأمون أكثر من مرة بالقتل .

وبذلك يكون قد مهد الطّريق ليواجه المأمون بالحقيقة ، حيث قال له صراحة :

إنه يريد أن يقول الناس ، إنّ علي بن موسى لم يزهد بالدنيا وإنمـــا الدّنيا هي الّتي زهدت فيه وليكون بذلك قد أفهم المـــأمون أن حيلتـــه لم تكن لتنطلي ، ولذا فإنّ عليه أن يكفّ في المستقبل عن كـــل مؤامراتـــه ومخططاته ... وليكون المأمون بعد هذا غير مطمئن لأي عمل يقدم عليه وضعيف الثقة بكل الحيل والمؤامرات الّتي يحوكها ، هذا بالإضافة إلى أن الناس سوف يشكّون في طبيعة هذا الأمر وسلامة نوايا المأمون فيه .

٥-ولم يكتف الإمام عليه السلام بذلك كله ، بل كان لا يدع فرصة تمر إلاّ ويؤكد فيها على أن المأمون قد أكرهه على هذا الأمر وأجبره عليـــه وهدده بالقتل إن لم يقبل ، يضاف إلى ذلك أنه كان يخبر الناس في مختلف المناسبات أن المأمون سوف ينكث العهد وكان يصرّح بأنه لا يقتلـــه إلاّ المأمون ولا يسمّه إلاّ هو ، حتى لقد واجه نفس المأمون بذلك .

٦- وكان الإمام ينوّه دائماً على أن المأمون لم يجعل له إلا ما هـــو حق له .

أما ما يتعلق بصحة خلافة المأمون ، فنلاحظ أنه عليه السلام ، حتّى في كيفية البيعة يثبت أن المأمون ( أمير المؤمنين وخليفة رسول الله ) يجهل حتّى كيفية ذلك العقد الّذي خوّله ـ بنظره ـ أن يكون في ذلك المجلس الخطير ، حيث أنه عليه السلام رفع يده فتلقى بظهرها وجه نفسه وبطنها وجوههم ، فقال له المأمون : أبسط يدك للبيعة فقال له : إنّ رسول الله هكذا كان يبايع ، فبايعه الناس .

٧- إن الإمام عليه السلام ، كتب في وثيقة ولاية العهد ( إن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور ) فقد كان يريد أن يوجه أنظار الناس إلى أن الأمر ينطوي على خيانة مبيّتة .

٨- والشّروط الّتي جعلها الإمام عليه السلام على المأمون في قبوله لولاية العهد وهي ( أن لا يوّلي أحداً ولا يعزل أحداً ولا ينقض رسماً ولا يغير شيئاً مما هو قائم ، ويكون لي الأمر مشيراً من بعيد ) وهذه العبارة تشير إلى أن الإمام لا يعترف بالنظام القائم ولا يمثل وجهة نظره .

واستكمالاً للحديث عن الخلافة وولاية العهد ، وعرضها من قبل المأمون ومن ثم رفضها من قبل الإمام عليه السلام ، ثم قبوله لها أخيراً ، ندرس هل أن الإمام بالذات أو الإسلام استفاد من هذه الصّفقة ؟

وصحيح أن الإمام عليه السلام كان مكرهاً و لم يقبل إلاّ بعد أن هدده المأمون بالقتل ، ولكنه وقد قبل هل كانت ( تلك الفترة ) تضيف إلى شخصه الكريم مكرمة أخرى ؟ أو حققت للإسلام نصراً .

وهذا ما نحاول أن نبحثه الآن إن شاء الله .

١-اعترف المأمون بأن الخلافة لا تصلح إلاّ للأورع والأعلم والأفضل والأزهد ... ولا أحق بالأمر من علي بن موسى عليه السلام [1] ومعنى قول المأمون هذا ، أن خلافته هو بالذات وخلافة آبائه من قبل ، إنما كانوا غاصبين لهذا الحق ، لأنهم ليسوا بالأعلم والأفضل ... الخ وفيهم أئمة أهل البيت عليهم السّلام ، وهذا هو الّذي كان يخشاه العباسيون ونقموا على المأمون إذ جعل علي بن موسى الرّضا ولياً للعهد ، فكانوا يخشون أن تنتقل الخلافة إلى البيت العلوي لأن فيهم الأعلم والأفضل .

وتجددت مخاوفهم عندما زوج المأمون ابنته أم الفضل إلى ابن الرّضا الجواد عليه السلام .

روى الشّيخ المفيد : ... لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر ، محمد بن علي عليه السلام بلغ ذلك العباسيين ، فغلظ عليهم واستكبروه وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى إليه مع الرّضا عليه السلام فخاضوا في ذلك ، واجتمع أهل بيته الأدنون ، فقالوا ننشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الّذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرّضا ، فإنا نخاف أن تخرج به عنا أمراً قد ملّكناه الله ، وتنزع منّا عزاً قد ألبسناه ، فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً ، وما كان عليه الخلفاء

[1] - مروج الذّهب للمسعودي / جزء ٣ ص ٤٤١

الرّاشدون[1] قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم ، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرّضا ما علمت ، حتّى كفانا الله المهم من ذلك ، فالله الله إن تردنا إلى غم قد انحسر عنا ، واصرف رأيك عن ابن الرّضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره .

فقال لهم المأمون : أما بينكم وبين آل أبي طالب ، فأنتم السبب فيه ولو نصفتم القوم لكانوا أولى بكم [2] .

ونحن لا نستبعد أن المأمون بدهائه كان يهدف من وراء تزويج الجواد عليه السلام نفس الهدف في إسناد ولاية العهد للإمام الرّضا عليه السلام وتزويجه ابنته أم حبيبة .

فالشيعة والعلويون في تلك الفترة كانوا يشكلون قوة عظيمة في المجتمع ، والمأمون لم يخش الثورة عليه إلاّ من قبل هؤلاء ، فما هو الضّير إذن أن يزوّج الجواد عليه السلام ابنته ويتقرب بذلك للجواد بالذّات الّذي هو زعيم أهل البيت العلوي فيأمن جانبهم وجانب الشّيعة من ورائهم .

لذلك نجد المأمون يستقدم الجواد عليه السلام من المدينة سنة (٢١١ هـ) ويقوم بتزويجه من ابنته أم الفضل في محاولة منه لإستيعاب موقف الإمام الجواد عليه السلام وضمه إلى حاشيته واحتواء حركته الجماهيرية في المجالين الفكري والسّياسي ولكن الإمام عليه السلام كان على العكس من ذلك ، فقد

---

[1] – أي الخلفاء الرّاشدون من بني العباس .
[2] – سيرة رسول الله وأهل بيته / الثاني ص ٥٣٧ .

كان يمارس نشاطه بدقة واتقان ويتحرك في كل مجال تتوفر لـــه فرصـــة الحركة فيه ، ثم يرفض البقاء في بغداد ليكون بعيداً عن حصار السّـــلطة ومراقبتها ويعود إلى المدينة مسقط رأسه ودار إقامة آبائه ، ليسقط الخطة ، ويحقق الأهداف المرتبطة به كإمام للأمة ورائد من رواد الشريعة .

ثم لما تولّى المعتصم الخلافة بعد أخيه المأمون نراه يستدعي الجـــواد عليه السلام إلى بغداد لتكون حركته مرصودة من قبل المعتصم بالذات .

٢- لقد وجد الشّيعة بصورة عامة وأبناء علي عليه السلام بصورة خاصة متنفّساً ، بعد الانتهاكات الفضيعة الّتي مرّت عليهم ــ عدا حكم بني أمية ــ ابتداء من حكم بني العباس وبالذات من حكم المنصور ومروراً بالمهدي وأخيراً حكم هارون الرّشيد والد المأمون ، فلقد جرى عليهم من القتـــل والتعذيب وهدم الدّور ومصادرة الأموال والملاحقات مـــا لا يوصـــف ، ويكفي أن هارون حبس الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عدداً من السّنين قد تصل إلى أربعة عشر عاماً وكان أشدها عليه حبس السّندي بن شـــاهك وكان الإمام في سجنه لا يعرف ليله من نهاره إلاّ ما يخبره بـــه السّـــجان بحلول وقت الصّلاة .

وإذا أردنا أن نتحدث عن المظالم الّتي تعرض لها بنـــو علـــي عليه السلام خاصة لاحتجنا إلى مساحة واسعة لكي نسوّدها بانتـــهاكات العباســـيين لأبناء عمهم آل أبي طالب .

ونشير هنا فقط إلى ما كتبه الطّبري إذ يقول أبو يعقوب بن سلمان:

حدثتني جمرة العطارة ، عطارة أبي جعفر قالت : لما عزم المنصـــور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس إمرأة المهدي ، وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر ، فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن وتقدم إليها وأحلفها ووكد الأيمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها أحداً إلاّ المهدي ولا هي إلاّ أن يصحّ عندها موته ، فـــإذا صحّ ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث حتّى يفتحا الخزانة .

فلما قدم المهدي من الرّي إلى مدينة السّلام دفعت إليـــه المفـــاتيح وأخبرته عن المنصور إنه تقدم إليها فيه ألاّ يفتحه ولا يطلع عليه أحداً حتّى يصح عندها موته .

فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة ، فتح الباب ومعه ريطة فإذا أزج[1] كبير فيه جماعة من قتلاء الطّالبين وفي آذانهم عدة رقـــاع فيها أنسابهم وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة ، فلمـــا رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها[2].

هذه هي القصة ....

لماذا كان المنصور يخفيها ؟ ثم لماذا الآن بعد ما يموت ويتأكدون من موته تهدى لولده المهدي ؟ ومن هم أصحاب تلـــك الـــرؤوس والآذان ؟ وأخيراً وليس آخراً لماذا هذه الوصية ؟

[1] – الأزج : البيت يبنى طولاً / المنجد .
[2] – تاريخ الطبري / الجزء ١٠ ص ٤٤١– ٤٤٢ .

أسئلة تستحق الأجوبة ...

أما لماذا كان المنصور يخفيها ؟

فالعلة واضحة ، لأنه كان يخشى أن تكون وقوداً لثورة أخرى من قبل العلويين ضده ، وسوف تكون هذه الصّورة البشعة الّتي كان يخفيها لو اطلّع عليها الناس لسهلت استمالتهم من قبل العلويين ليأخذوا بثأرهم وهم أبناء رسول الله ( ص ) وذرية فاطمة الزّهراء عليها السلام .

والطّواغيت ، كل الطّواغيت في التاريخ ، نراهم مرة يستندون إلى القانون ( الشّرع أو غيره ) ويحكمون على الضّحية حتّى إذا كان الشّهود مزّورين وحتّى إذا كان القانون مصنوعاً من قبلهم ، ونراهم مرة أخرى يخفون جرائمهم لأنهم لا يمتلكون أي مبرر من قانون أو شريعة في إيقاع الجريمة ، فيخفونها تماماً كما يفعل السّراق واللّصوص الّذين يخفون ما يفعلون لأنهم يخشون من الناس إذ يطلعون على ما يسرقون .

والمنصور هنا وهو المجرم الكبير يخفي جرائمه تلك ، فلا يُطلع عليها في حياته إلاّ زوجة ابنه المهدي ويحلّفها أوكد الأيمان أن لا تخبر أحداً إلاّ ولده المهدي ، وذلك بعد أن تتأكد من موته .

ولكن لماذا الهدية للمهدي ؟ يبدو لي أن هدفه كان أمرين :

أ-ليكون له الإمتنان على ولده حيث استطاع أن يوطّد له دعائم الملك ليبقى دائماً ذاكراً لوالده الفضل والإحسان .

ب - ولكي يجري المهدي على نفس الطّريقة اللّئيمة الّتي جرى عليها أبوه ، إذا أراد أن يكون خليفة يصفو له العيش الرّغيد .

من المعلوم أن التاريخ يذكر لنا أسماء الّذين ضربت اعناقهم صبراً من قبل المنصور ، أو أنهم قتلوا في المعارك والثورات الّتي قامت ضده .

فمن هم إذن ؟

الّذي اتصوره أن أولئك كانوا بالأساس من المشتركين في الثورات ولما فشلت تلك الثورات ، كان قد قتل منهم من قتل وتوارى آخرون في كل مكان وانتشروا في البلدان . فكانت العيون تخبر السّلطات عنهم ليحصلوا على الجوائز من السّلطان أو ليتقربوا إليه ، أو لأن العيون أعداء لأهل البيت ، يجدون في ذلك شفاء لصدورهم .

وربما كان أولئك المظلومون قد تزوجوا وهم متوارون ، فكان لهم ذرية أطفال ، فكانت تلك السّلطات تهدم الدّور وتقتل أصحابها .

ولماذا هذه الوحشية يا دوانيقي ؟

وأجد أن الجواب على هذا السؤال سوف يكون واضحاً جداً عندنا نحن الّذي عشنا في العراق منذ عام ١٩٦٨ ولحد الآن ، ونحن الآن في عام ١٩٩٦ ، وذلك عندما نجد أن صدام حسين رئيس جمهورية العراق لا يشفي غليله إلاّ البطش والتنكيل وسيل الدّماء البريئة ومصادرة الأموال وهدم الدّور وهتك الأعراض وفعل الموبقات .

والملفت للنظر أن المجرمين سواسية في الإجرام في كل مكان وفي كل زمان ، حذو النعل بالنعل لأنهم يريدون أن تصفو لهم الحياة كما يرتـــأون ويشتهون .

المُلك عقيم ومن يعارض أو تشمّ منه رائحة المعارضة ، يؤخذ الّذي فيه عيناه .

وإلى هنا استطعنا أن نبيّن أنّ تولّي الإمام الرّضا عليه السلام لولاية العهـــد خفف ـــ لفترة ـــ تلك المظالم الّتي كان يتعرض لها الشّيعة بصورة عامـــة وأهل البيت بصورة خاصة .

وينتهي الكلام عن الإمام الرّضا عليه السلام ، وموضوع عرض الخلافـــة وولاية العهد عليه ، وما تبع ذلك من أحداث ونرجو أننا قـــد اســـتوفينا الحديث عنها إن شاء الله تعالى .

❁❁❁

# عيون السّلاطين على الأئمة

مسألة طبيعية أن يكون للسلطان الغاشم جواسيس وعيون على معارضيهم ، وطبيعي أيضاً أن يكون للمعارض عيون على السّلطان نفسه ليعرف نواياه وتحركاته ضده ، أي ضد ( المعارض ) لكي يتخذ الحيطة والحذر .

هذان موضوعان جديران بالبحث ، وسوف نبدأ :

## عيون السّلطان

تنوعت متابعات السّلاطين ونقصد بهم (أمراء المؤمنين خلفاء الجور) لرصد تحركات الأئمة عليهم السّلام . فالسلاطين كانوا يخشون من الأئمة لأنهم يعرفون كم هو رصيدهم في المجتمع الإسلامي ، وكانوا يعتقدون أن كل الثورات الّتي حدثت ضدهم ، إنما هي بإشارة من الأئمة عليهم السّلام بصورة مباشرة ( وغير مباشرة ) ، المهم إنها تنسجم مع ذوق الأئمة ورؤيتهم للحكم والسّلطان .

وهم أي السّلاطين يعلمون أنهم يغتصبون حقهم في الخلافة كما توضح لنا ذلك في المبحث السّابق ، والسّارق دائماً يخشى من صاحب الحق الّذي يتحيّن الفرصة المناسبة وينقضّ على المجرم في إرجاع الحق ، وخصوصاً بنو العباس الّذين سرقوا الحق بإسم صاحب الحق ، ولم يكونوا

هم أصحاب الحق ، فقد ظفروا بالحكم بإسم ( الرّضا من آل البيت ) وهو شعار يعرف كل مسلم أنه لصيق بذرية رسول الله من علي وفاطمة عليهم السّلام جميعاً .

ولذلك فإن الثورات التي حدثت ضد بني العباس سواء كانت من العلويين مباشرة أو من مواليهم ومحبيهم ، كانت بإسم ( الرّضا من آل البيت ) في محاولة لإرجاع الحق إلى أهله .

المهم أنّ السّلاطين كانوا يخشون الأئمة على طول الخط ، ولذلك فقد كانوا يبثون من حولهم العيون والجواسيس والرّقباء ويتابعون تحركاتهم ويضيقون عليهم عسى أن يمسكوا عليهم وثيقة بالإدانة ولكن هيهات ، فالأئمة عليهم السّلام وإنْ كانوا هم أصحاب الحق ، إلاّ أنهم ما كانوا يسجلون على أنفسهم حركة يطلع عليها السّلاطين .

نعم ربما كانوا يقومون ببعض الأعمال الّتي لا ترضي سياسة الجائرين ولكنها كانت تتم بصورة سرية ، وسوف نتطرق إلى ذلك إنْ شاء الله .

ولقد اتخذت أساليب السّلاطين ضد الأئمة عليهم السّلام أنماطاً مختلفة نذكر منها ما يلي :

١- كانوا يداهمون بيوت الأئمة عليهم السلام بصورة مفاجئة إذ يضعون السُلّم ويدخلون البيت ليجلبوا الإمام على الحالة الّتي هو عليها بعد تفتيش الدّار ، عسى أن يكون فيها مال أو سلاح أو رسائل . ومعلومات أخرى .

أما لماذا يتسلقون الجدار ، فلكيلا يَدَ عوا مجالاً للإمام بتغيير الوضع الّذي عليه أو إخفاء المعلومات ، فلنستمع إلى هذه القصة الّتي حدثت مع الإمام الهادي (عليه السلام) .

مرض المتوكل من خرّاج به وأشرف منه على الهلاك ، فلم يجسر أحد أن يمسّه ، فنذرت أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي ابن محمد مالاً جليلاً من مالها .

وقال له الفتح بن خاقان : لو بعثت إلى هذا الرّجل فسألته فإنه لا يخلو أن يكون عنده صفة يفرّج بها عنك ، فبعث إليه ووصف له علّته ، فردّ إليه الرّسول بأن يؤخذ كسب الشّاة فيداف بماء ورد فيوضع عليه ، فلما رجع الرّسول فأخبرهم أقبلوا يهزأون من قوله . فقال له الفتح : هو والله أعلم بما قال ، وأحضر الكسب وعمل كما قال ووضع عليه ، فغلبه النوم وسكن ثم انفتح وخرج منه ما كان فيه ، وبُشّرت أمه بعافيته ، فحملت إليه عشرة آلاف دينار تحت خاتمها ، ثم استقلّ من علّته ، فسعى إليه البطحائي العلوي بأن أموالاً تحمل إليه وسلاحاً،فقال لسعيد الحاجب: اهجم عليه بالليل وخذ ماتجده عنده من الأموال والسّلاح واحمله إليّ .

قال إبراهيم بن محمد : فقال لي سعيد الحاجب : صرت إلى داره بالليل ومعي سُلّم ، فصعدت السّطح ، فلما نزلت على بعض الدّرج في الظّلمة ، لم أدر كيف أصل إلى الدّار ، فناداني يا سعيد مكانك حتّى يأتوك بشمعة ، فلم ألبث أن أتوني بشمعة ، فنزلت ، فوجدته عليه جبة

صوف وقلنسوة ، وسجادة على حصير بين يديه ، فلم أشك أنه كان يصلي ، فقال لي : دونك البيوت فدخلتها وفتشّتها ، فلم أجد فيها شيئاً ووجدت البدرة في بيته مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً ، وقال لي : دونك المصلى ، فرفعته فوجدت سيفاً في جفن غير ملبّس ، فأخذت ذلك وصرت إليه ، فلما نظر إلى خاتم أمه على البدرة ، بعث إليها ، فخرجت إليه فأخبرني بعض خدم الخاصة أنها قالت : كنت قد نذرت في علتك لما أيست منك إن عوفيت حملت إليه من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها إليه وهذا خاتمي على الكيس وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار ، فضم إلى البدرة بدرة أخرى وأمرني بحمل ذلك إليه ، فحملته ورددت السّيف والكيسين ، ثم يحاول سعيد أن يعتذر وإنه كان مأموراً بذلك ، فيقول الإمام (( وسيعلم الّذين ظلموا أي منقلب ينقلبون))[1] .

وقضية أخرى مماثلة ، جرت للإمام الصّادق عليه السلام مع المنصور الدّوانيقي تنسج نفس النسيج :

يقول محمد بن الرّبيع حاجب المنصور :

قعد المنصور يوماً في قصره القبة الخضراء وكانت قبل قتل محمد وإبراهيم تدعى الحمراء ، وكان له يوم يقعد فيه يسمى ذلك اليوم يوم الذّبح ، وكان أشخص جعفر بن محمد عليه السلام من المدينة ، فلم يزل في الحمراء نهاره كله ، حتّى جاء اللّيل ، ومضى أكثره ، قال ثم دعا أبي الرّبيع ، فقال له :

---

[1] - الإرشاد ص ٣١٠ للمفيد والفصول المهمة لأبن الصبّاغ ص ٢٩٨ .

يا ربيع إنك تعرف موضعك مني ، وإني يكون لي الخبر ولا تظهر عليه أمهات الأولاد ، وتكون أنت المعالج له .

قال الرّبيع : يا أمير المؤمنين ذلك من فضل الله عليّ وفضل أمير المؤمنين وما فوقي في النصح غاية .

قال : كذلك أنت ، سر السّاعة إلى جعفر بن محمد فأتني على الحال الّذي تجده عليه ، لا يغيّر شيئاً مما هو عليه .

قال الرّبيع يحدث نفسه : إنا لله وإنا إليه راجعون ، هذا والله هو العطب ، إن أتيت به على ما أراه من غضبه قتله ، وذهبت الآخرة ، وإن لم آت به وادّهنت في أمره قتلني وقتل نسلي وأخذ أموالي ، فخيّرت بين الدّنيا والآخرة ، فمالت نفسي إلى الدّنيا .

قال محمد بن الرّبيع ، فدعاني أبي وكنت أفظّ ولده وأغلظهم قلباً ، فقال لي : إمض إلى جعفر بن محمد بن علي ، فتسلق على حائطه ولا تستفتح عليه باباً فيغيّر بعض ما هو عليه ، ولكن انزل عليه نزولاً ، فأت به على الحال الّتي هو فيها .

قال محمد بن الرّبيع : فأتيته وقد ذهب اللّيل إلاّ أقلّه ، فأمرت بنصب السّلالم وتسلقت عليه الحائط، فنزلت عليه داره ، فوجدته قائماً يصلي وعليه قميص ومنديل قد أئتزر به ، فلما سلم من صلاته قلت له : أجب أمير المؤمنين .

فقال الإمام عليه السلام دعني أدعو وألبس ثيابي

فقلت له : ليس إلى ذلك سبيل .

قال الإمام عليه السلام : وأدخل المغتسل وأتطهر .

قال محمد : وليس إلى ذلك سبيل ، فلا تشغل نفسك ، فإني لا أدعك تغيّر شيئاً ، فأخرجته حافياً حاسراً في قميصه ومنديله وكان عليه السلام قد جاوز السّتين ... إلى آخر القصة[1].

٢- كانوا يستقدمون الأئمة عليهم السّلام إلى مراكز الخلافة في (دمشق والحيرة والهاشمية والكوفة وبغداد ومرو وسامراء) ليرصدوا تحركاتهم وليتعرفوا على الّذين يتصلون بهم ، أو لأنهم سمعوا عنهم وشاية ، فكانوا يستقدمونهم للانتقام منهم ، وربما لمجرد الاستقدام وإظهار القوة والفخر والكبرياء ، كما فعل هشام بن عبد الملك عندما استقدم الباقر وابنه الصّادق عليهما السّلام إلى الشّام ، ولم يذكر التاريخ إنه وجّه إليهما تهمة .

والعباسيون الّذين استلموا الدّولة بإسم ( الرّضا من آل محمد ) نراهم منذ اليوم الأول لتوليّهم السّلطة بدأوا التضييق على الصّادق عليه السلام .

فقد استدعوه من المدينة إلى الحيرة ليكون تحت المراقبة ، ومنعوا الناس من الوصول إليه :

يقول هارون بن خارجة ، كان رجل من أصحابنا طلّق إمرأته ثلاثاً فسأل أصحابنا ، فقالوا : ليس بشيء .

---

[1] - البحار جزء ٤٧ ص ١٩٥ .

فقالت إمرأته : لا أرضى حتّى تسأل أبا عبد الله ، وكان بالحيرة إذ ذاك أيام أبي العباس .

يقول الرّجل : فذهبت إلى الحيرة و لم أقدر على كلامه إذ منع الخليفة الناس من الدّخول على أبي عبد الله عليه السلام ، وأنا أنظر كيف ألتمس لقاءه فإذا سوادي عليه جبة صوف يبيع خياراً ، فقلت له : بكم خيارك هذا كله ؟

قال : بدرهم .

فأعطيته درهماً وقلت له : أعطني جبتك هذه ، فأخذتها ولبستها وناديت ( من يشتري خياراً ) ودنوت منه ، فإذا غلام من ناحية ، ينادي يا صاحب الخيار ، فقال عليه السلام لي لما دنوت منه :

ما أجود ما احتلت ، أي شيء حاجتك ؟

قلت : إني ابتليت فطلقت أهلي في دفعة ثلاثاً ، فسألت أصحابنا .

فقالوا : ليس بشيء .

وإنّ المرأة قالت : لا أرضى حتّى تسأل أبا عبد الله عليه السلام .

فقال : إرجع إلى أهلك ، فليس عليك شيء[1] .

وليست مرة واحدة يستقدم الصّادق عليه السلام من قبل بني العباس وإنما عدة مرات إلى الحيرة والهاشمية والكوفة .

كما استقدم هارون الرّشيد الإمام موسى بن جعفر وحبسه في البصرة وواسط وبغداد إلى أن توفي في حبس السّندي بن شاهك .

[1] - البحار جزء ٤٧ ص ١٧١ نقلاً عن الخرائج والجرائح ص ٢٣٤ .

والرّضا استقدمه المأمون إلى مرو.

والجواد استقدمه المأمون أيضاً إلى بغداد .

والهادي والعسكري استقدما إلى سامراء.

عليهم جميعاً صلوات الله ورضوانه.

وملوك الدّنيا كلهم على شاكلة واحدة ، إنّ المُلكَ عندهم عقيم يحوطونه بكل غالٍ ونفيس ، ويقتلون عليه الأبناء والآباء والإخوان والعشيرة ، ما داموا لا يحكمون بالإسلام .

وتشتد عداوتهم وضغينتهم ويتزايد حسدهم ولؤمهم إذا كان المعارض قوياً تلتف حوله الجماهير .

( والمعارض ) في عرف الطّواغيت هو الشّخص الّذي ليس معهم ، وإن كان لا يحمل السّلاح ، فإنه ما لم يكن معهم ، فهو ضدهم .

فالمنصور يقول للصادق: لماذا لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس ؟

فأجابه الإمام : ليس لنا ما نخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ! ولا أنت في نعمة فنهنئك ولا تراها نقمة فنعزيك بها فما نصنع عندك ؟

فكتب إليه المنصور : تصحبنا لتنصحنا .

فأجابه الإمام : من أراد الدّنيا لا ينصحك ، ومن أراد الآخرة لا يصحبك .

فقال المنصور : والله لقد ميّز عندي منازل الناس ، من يريد الدّنيا ممن يريد الآخرة ، وإنه ممن يريد الآخرة لا الدّنيا[1] .

❁❁❁

والسّلاطين لم يستطيعوا أن يثبتوا على الأئمة عليهم السّلام ، أنهم حملوا السّلاح ضدّهم أو أيّدوا ثورات الخارجين عليهم أو جبي لهم الخراج وهذه هي الأمور الّتي كانت تغيض السّلاطين ويوجهون التهم فيها للأئمة ولكنهم ما استطاعوا أنْ يثبتوها عليهم على شدة مراقبتهم ورصد تحركاتهم ووضع الجواسيس والعيون .

وكان السّلاطين ربما أودعوا الأئمة عليهم السّلام السّجون ، وأغلبهم دخل السّجن لفترات قليلة متقطعة ، عدا الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فقد عاش فترة طويلة في سجون هارون .

والأئمة وهم في السّجون فإن السّلاطين كانوا ربما يضعون عليهم العيون ليسمعوهم عن كثب ماذا يقولون عن الظّالمين ، عسى أن يستفيدوا من كلمة تخرج عن عفو أو قصد أو ملل .

يقول التاريخ إن هارون الرّشيد حج ، فبدأ بقبر النبي ( ص ) فقال: يا رسول الله إني أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله ، أريد أن أحبس موسى بن جعفر عليه السلام فإنه يريد التشتت بين أمتك وسفك دمائها .

---

[1] - كشف الغمة جزء ٢ ص ٤٢١ .

ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل إليه فقيّده ، وأُخرج من داره بغلان عليهما قبّتان مغطّاتان ، هو في إحداهما ، ووجّه مع كل واحدة منهما خيلاً ، فأخذ بواحدة على طريق البصرة والأخرى على طريق الكوفة ، ليعمّي على الناس أمره ، وكان الإمام عليه السلام في الّتي مضت إلى البصرة . وأمر الرّسول أن يسلّمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور ، وكان على البصرة حينئذٍ ، فمضى به فحبسه عنده سنة .

ثم كتب إلى الرّشيد ، أن خذه مني وسلّمه إلى من شئت ، وإلاّ خليت سبيله ، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجة ، فما أقدر على ذلك ، حتّى إني لأتسمّع عليه إذا دعا لعله يدعو عليّ أو عليك فما أسمعه يدعو إلاّ لنفسه ، يسأل الرّحمة والمغفرة ، فوجّه الرّشيد من تسلّمه منه[1].

أرأيتم ماذا يفعل الطغاة ؟

ففي البداية ، يريد أن يتظاهر هارون بالشرع ، فيستأذن رسول الله ( ص ) بحبس موسى بن جعفر عليه السلام وكأنه بذلك يريد أن يؤثر على العامة ، لئلا يوجهوا إليه اللّوم ، فهو لم يحبسه إعتباطاً ، وإنما استفتى رسول الله ( ص ) ولكنه لا ينتظر منه الجواب ، فالجواب جاهز لديه وإنما صنع دجلاً وعبثاً وسخرية ، وحيث يخشى الناس ، وليجعلهم لا يدرون أين ذُهب بالإمام ، فقد جهّز جهازين ، أحدهما للبصرة والآخر للكوفة .

[1] - البحار جزء ٤٨ ص ٢٣٣ .

وأخيراً ـ والإمام محبوس ـ فقد جعل عليه عيناً ، هو ابن عمه عيسى بن جعفر بن المنصور .

وكم كان هارون يتمنّى أن يمسك على الإمام كلمة ، تدل على ضلوعه في الثورات الّتي خرجت على السّلطة أو يسمع منه كلمة ضيق وتألم من حالة السّجن ، عسى أن يخضع الإمام لرغبة هارون فيطلقه من السّجن بعد أن يأخذ منه اعترافاً بما يريد .

ولكن حاشا أن يحصل ذلك من موسى بن جعفر عليه السلام ، والّذي يذكره التاريخ أنّ الإمام عليه السلام استعمل حرباً نفسية ضد هارون ، فقد بعث له من السّجن رسالة يقول فيها : ( إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء حتّى ينقضي عنك يوم من الرّخاء ، حتّى نفنى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء وهناك يخسر المبطلون[1] ).

ولا يكتفي الطّغاة بذلك ، فكانوا ربما يعتقلون أصحاب الأئمة ويضعون معهم الجواسيس أيضاً .

فقد أعتقل في سامراء جماعة من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام وهم أبو هاشم الجعفري وداود بن القاسم والحسن بن محمد العقيقي ومحمد بن إبراهيم العمري وغيرهم ووضعوا تحت إشراف صالح ابن وصيف ، فأخبرهم الإمام عليه السلام أن يحذروا واحداً في الحبس يدّعي أنه علوي وهو ليس منهم ، وفي ثيابه قصة قد كتبها إلى السّلطان يخبره فيها

[1] - البداية والنهاية جزء ١٠ ص ١٨٣ وتاريخ بغداد .

بما يتحدثون عنه ، فقام بعضهم ففتش ثيابه فوجد القصة كما أخــبرهم الإمام (عليه السلام)[1].

## ٣- أساليب أخرى

والسّلاطين دائماً يسلكون سبلاً خبيثة ، ويتفننون في تلك الأساليب للإيقاع بأعدائهم المعارضين لهم ، سعياً منهم في إيجاد المبرر في إعتقــالهم وحبسهم وتعذيبهم وربّما قتلهم ، وهم وإن كانوا يحكمون بإسم الإسلام ويضفون على أنفسهم أرفع الصّفات ، ولكنهم لا يخشون الله .

يصلّون ويصومون ولكنهم يشربون الخمور ويعــاقرون المنكــرات ويتخذون الملاهي والمغنين .

ويحجون ولكنهم في الحج يخربون البيوت ويحرقون الحرث والنسل ويزورون الرّسول ( ص ) ولكنهم يستأذنونه ــ في طريقة بائســة ــ في حبس موسى بن جعفر (عليه السلام) وهكذا ...

ولقد سبق منا الحديث أن بني العباس وبني أمية من طينــة واحــدة (هي طينة الملك من أجل الدّنيا) لا يختلفون في الخروج عن الدّين وهتك المحرمات ، إلاّ أنّ أولئك يتظاهرون بالإثم وهؤلاء يحاولون أن يتســتروا على ما يفعلون .

والأساليب الّتي سلكها الظّالمون مع الأئمة عليهم السّلام تزخر بهــا كتب التاريخ ، ولكننا سوف نقتصر على إسلوبين إثنين فقــط ، بــين المنصور الدّوانيقي والإمام جعفر الصّادق (عليه السلام) ، علماً بــأنّ أســاليب

[1] – الأئمة الإثني عشر / عادل الأديب / ص ٢٤ .

المنصور مع الإمام كانت كثيرة جداً ، وكذلك الطّغاة الآخرون في أساليبهم مع الأئمة المعاصرين لهم :

أ- روى مهاجر بن عمار الخزاعي ، قال : بعثني أبو الدّوانيق إلى المدينة وبعث معي بمال كثير وأمرني أن أتضرع لأهل البيت وأتحفظ مقالتهم ، قال فلزمت الزّاوية الّتي مما يلي القبر ، فلم أكن أتنحى منها في وقت الصّلاة ، لا في ليل ولا في نهار .

قال : وأقبلت أطرح إلى السّؤّال الّذين حول القبر الدّراهم ومن هو فوقهم الشّيء بعد الشّيء ، حتّى ناولت شاباً من بني الحسن ومشيخة حتّى ألفوني وألفتهم في السّر .

قال : وكنت كلما دنوت من أبي عبد الله الصّادق (عليه السلام) ، يلاطفني ويكرمني ، حتّى إذا كان يوماً من الأيام دنوت من أبي عبد الله وهو يصلي ، فلما قضى صلاته التفت إليّ وقال : تعال يا مهاجر — ولم أكن أتسمّى ولا أتكنّى بكنيتي — فقال : قل لصاحبك : يقول لك جعفر كان أهل بيتك إلى غير هذا منك أحوج منهم إلى هذا ، تجيء إلى قوم شباب محتاجين فتدسّ إليهم ، فلعل أحدهم يتكلم بكلمة تستحلّ بها سفك دمه، فلو بررهم ووصلتهم وأغنيتهم كانوا أحوج ما تريد منهم .

قال : فلما أتيت أبا الدّوانيق قلت له : جئتك من عند ساحر كذاب كاهن ، من أمره كذا وكذا .

قال : صدق والله ، كانوا إلى غير هذا أحوج ، وإياك إن يسمع هذا الكلام منك إنسان[1].

أرأيتم أسلوباً خبيثاً كهذا ؟

فلقد أصبحت حال آل أبي طالب تسوء من الناحية المالية ، كلما مرت الأيام ، ابتداء من وفاة الرّسول ( ص ) بعدما منعوهم فدكاً وإرثهم بدعوى أنّ معاشر الأنبياء لا يورثون ، واشتدت حالتهم أيام بني أمية الّتي استمرت ألف شهر ، ثم جاء من بعدهم بنو العباس الّذين ساروا على النهج السّابق وأضافوا إليه من عندهم أموراً أخرى فكان آل أبي طالب بصورة عامة في حاجة شديدة للمال ، وأراد المنصور أن يستغل هذه النقطة ، فبعث إليهم من لا يعرفونه ويكرمهم ، عسى أن يسمع من أحدهم كلمة يستحق بها التعذيب أو القتل .

ب- أما الأسلوب الثاني ــ من ضمن الأساليب الّتي اتبعها المنصور مع نفس الإمام الصّادق عليه السلام ، فهو موضوع الكتب والرّسائل المزورة الّتي يزعم المنصور أنّ الإمام كان يبعثها إلى الأقطار لأخذ البيعة منهم لنفسه ، وتلك جريمة كبرى في نظر الدّوانيقي ، فإن صاحبها يستحق عليها القتل .

فلنستمع إلى تلك القصة :

---

[1] - الخرائج والجرائح ص ٢٣٤ .

تبدأ القصة هكذا : يحج المنصور ويذهب إلى المدينة ، ويأمر حاجبه الرّبيع باستقدام الصّادق عليه السلام على الحالة الّتي يجدها فيه من دون تغيير ويدخل الإمام على المنصور ، فلما نظر إليه قال : وأنت يا جعفر ما تدع حسدك وبغيك وإفسادك على أهل هذا البيت من بني العباس وما يزيدك الله بذلك إلاّ شدة حسد ونكد ما تبلغ به ما تقدرّه .

فقال له الإمام عليه السلام : والله ما فعلت شيئاً من هذا ولقد كنت في ولاية بني أمية وأنت تعلم أنهم أعدى الخلق لنا ولكم ، وأنهم لا حقّ لهم في هذا الأمر ، فوالله ما بغيت عليهم ، ولا بلغهم عني سوء ، مع جفاهم الّذي كان بي ، وكيف أصنع الآن هذا ؟ وأنت ابن عمي وأمسّ الخلق بي رحماً وأكثرهم عطاءً وبراً ، فكيف أفعل هذا ؟

فأطرق المنصور ساعة ، وكان على لبد[1] وعن يساره مرفقه جرمقانية وتحت لبده سيف ذو فقار كان لا يفارقه إذا قعد في القبة ، قال: أبطلت وأثمت ، ثم رفع ثني الوسادة فأخرج منها اضبارة كتب ، فرمى بها إليه ، وقال هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتي وأن يبايعوك دوني .

فقال : والله مافعلت ولا استحلّ ذلك ولا هو من مذهبي .

قال المنصور : يا جعفر أما تستحي مع هذه الشّيبة ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل وتشق عصا المسلمين ، تريد أن تريق الدّماء وتطرح الفتنة بين الرّعية والأولياء .

---

[1] – اللّبد : الصوف المتلبّد .

فقال الإمام : لا والله ، ما فعلت ولا هذه كتبي ولا خطي ولا خاتمي ، فانتضى من السّيف ذراعاً .

يقول الرّبيع الحاجب وقد كان حاضراً هذه المحاورة ، فقلت إنا لله مضى الرّجل وقلت في نفسي إن أمرني فيه بأمر أن أعصيه ، فأضرب به المنصور وإن أتى ذلك عليّ وعلى ولدي .

واستمر المنصور يعاتب الإمام والإمام ينكر ، ثم انتضى السّيف إلاّ شيئاً يسيراً منه ، فقلت إنا لله مضى والله الرّجل ، ثم أغمد السّيف وأطرق ساعة ثم رفع رأسه ، وقال : أظنك صادقاً[1] .

فالإضبارة إذن تحتوي رسائل كلها مزورة على الإمام الصّادق عليه السلام ولو كانت صحيحة لما قال المنصور أظنك صادقاً ولما تأخر لحظة عن قتل الإمام عليه السلام ولكنه ثبت لديه أن الكتب مزورة عليه ، فعفى عنه .

ولكن يا ترى من يزوّر الكتب تلك ؟

ربما كان المنصور نفسه كما يفعل المجرمون الآن وخصوصاً في العراق ونحن نعيش في عام ١٩٩٦ ، ليجد مبرراً لقتل الإمام ، فالإمام أصبح قذى في عين المنصور ، وهو لا يتحمل مطلقاً أن يرى شخصاً أكثر منه علماً وفضلاً وسمعة طيبة بين الناس ، ولكن المنصور أدركته يقظة الضّمير عندما كان الإمام يؤكد له أنّ الرّسائل المزورة،من الواشين ـــ وما

[1] - البحار جزء ٤٧ ص ١٩٦و١٩٧ .

أكثرهم ــ للإيقاع بالإمام عليه السلام ، إما حقداً للإمام وحسداً وإما تزلفاً للمنصور .

## ٤- السّلاطين يبحثون عن رحم قريب للإمام للإيقاع به

مرّت بنّا قصة علي بن إسماعيل بن جعفر الصّادق مع هارون الرّشيد وشاية بعمه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .

وعلى هذا المنوال قصة المتوكل العباسي وموسى أخي الإمام علي الهادي عليه السلام .

يقول أبو الطّيب المثنى يعقوب بن ياسر ، كان المتوكل يقول : ويحكم قد أعياني أمر ابن الرّضا ، أبى أن يشرب معي أو ينادمني أو أجد منه فرصة في هذا ....

فقالوا له : فإن لم تجد منه ، فهذا أخوه موسى عزّاف يأكل ويشرب ويتعشّق .

قال : إبعثوا إليه فيجيئوا به حتّى نموّه به على الناس ونقول ابن الرّضا.

فكتب إليه وأشخص مكرماً ، وتلقاه جميع بني هاشم والقواد والناس على أنه إذا وافى أقطعه قطيعة وبنى له فيها وحوّل الخمارين والقيان إليه ووصله وبرّه وجعل له منزلاً سرياً حتّى يزوره هو فيه .

فلما وافى موسى تلقاه أبو الحسن في قنطرة وصيف ، وهو موضع يتلقى فيه القادمون ، فسلم عليه ووفاه حقه ، ثم قال له : إنّ هذا الرّجل قد أحضرك ليهتكك ويضع منك ، فلا تقر له إنك شربت نبيذاً قط .

فقال له موسى : فإذا كان دعاني لهذا فما حيلتي ؟

قال : فلا تضع من قدرك ولا تفعل ، فإنما أراد هتكك ، فأبى عليه فكرر عليه ، فلما رأى أنه لا يجيب ، قال : أما إن هذا مجلس لا تجمع أنت وهو عليه أبداً .

فأقام ثلاث سنين ، يبكر كل يوم فيقال له : قد تشاغل اليوم فرُحْ ، فيروح ، فيقال : قد سكر فبكر فيبكر ، فيقال : شرب دواء ، فما زال على هذا ثلاث سنين حتى قتل المتوكل و لم يجتمع معه [1] .

[1] - منهج التحرك عند الإمام الهادي ص ٥٣/ع نجف .

# عيون للأئمة على السّلاطين

كل الثورات الّتي حدثت في وجه السّلطات الحاكمة من بني أمية أو بني العباس ، خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى ، كانت تقاد إما من العلويين مباشرة أو ممن ينتسب إليهم بولاء وعواطف . والسّلطات الحاكمة كانت تعتقد أن الثورات تلك لم يُهيء لها أن تتم دون مساهمة الأئمة أو في أقل تقدير بمباركة منهم عليهم السّلام ، لأن هناك عقدة أثم كبيرة يشترك فيها جميع أولئك الحكام ، خصوصاً في الفترة الّتي قدرناها في القرون الثلاث الأولى ، تلك العقدة هي أنهم يغتصبون الخلافة من أهل البيت الّذين هم أصحاب الحق فيها وهم الأعلم والأفضل والأزهد والأورع ، وهي الصّفات الّتي ينبغي أن يتصف بها من يتصدى لإمرة المؤمنين .

وتشتد تلك الحالة تعقيداً ، حين يعلمون أن الأمة الإسلامية تدرك هذه الحقيقة أيضاً .

ولذلك فإن الحكام أولئك كانوا يحاولون أن يعتبروا أنفسهم والأئمة في الفضل سواء لانتسابهم جميعاً إلى رسول الله ( ص ) وكان يحزّ في نفوسهم كثيراً أن يخاطب الأئمة بأنهم ( أبناء رسول الله ) فيحاولون أن يوهموا الناس بأنهم من أهل البيت .

ولكن الأئمة عليم السّلام كانوا سرعان ما يفنّدون تلك الفرية ، ونعيد إلى الأذهان ما ذكرناه سابقاً أن هارون الرّشيد حاول أن يثبت هذا المفهوم يوم خاطب الرّسول ( ص ) أمام جمع من الناس وبحضور الإمام

موسى بن جعفر عليه السلام ( السّلام عليك يا ابن العم ) ، فقال الإمام (السّلام عليك يا جداه) .

ثم حاول المأمون أن يُثير نفس الشّبهة في أنه والإمام الرّضا في القرب إلى رسول الله ( ص ) سواء ، ولكنه قبل أن يثيرها أمام الناس ، تناقش مع الرّضا عليه السلام بصورة خاصة ، فإذا ما نجح فيها ، أثارها أمام الجمهـــور . ولكن الإمام تصدّى له بقوة ...

فقد روى السّيد المرتضى في كتاب ( العيون والمحاسن ) عن الشّيخ المفيد رضي الله عنهما قال : روي أنه لما سار المأمون إلى خراسان وكان معه الرّضا علي بن موسى عليه السلام فبينما هما يسيران إذ قال له المأمون : يـــا أبا الحسن إني فكرت في شيء ، فنتج لي الفكر الصّواب فيه . فكرت في أمرنا وأمركم ونسبنا ونسبكم ، فوجدت الفضيلة فيه واحـــدة ورأيـــت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبية .

فقال له أبو الحسن الرّضا عليه السلام إن لهذا الكلام جوابـــاً إن شـــئت ذكرته لك وإن شئت أمسكت .

فقال له المأمون : إني لم أقله إلاّ لأعلم ما عندك فيه .

فقال له الرّضا عليه السلام : أنشدك الله يا أمير المؤمنين لو أن الله تعـــالى بعث نبيه محمداً ( ص ) ، فخرج علينا من وراء أكمة من هـــذه الآكـــام يخطب إليك ابنتك كنت مزوّجه إياها ؟

فقال : يا سبحان الله ، وهل أحد يرغب عن رســـول الله ( ص ) رحماً .

فقال له الرّضا عليه السلام : افتراه كان يحل له أن يخطب إلي ؟

فسكت المأمون هنيئة ، ثم قال : أنتم والله أمس برسول الله ( ص ) رحماً .

ولذلك فإن ( الخلفاء ) أولئك كانوا يتربصون الدّوائر بالأئمة في وضع العيون عليهم ورصد حركاتهم ، وكانوا ربما يستدعونهم إلى حاضرة الدّولة الإسلامية ـــ كما قلنا سابقاً ـــ ويتعرضون للحبس والمضايقات ومن ثم التصفية .

وهنا يتحرك الواشون ـــ كطبيعة بشرية ـــ وتطلق التهم الكاذبة في ( جمع الأسلحة والأموال وإرسال الكتب ) لغرض مبايعة الأئمة أنفسهم .

ولكن ( الملوك والخلفاء ) لم يستطيعوا أن يثبتوا أية تهمة حول الأئمة عليهم السّلام .

ونحن لا نشك أن الأئمة كانوا يثقفون أصحابهم المقربين ثقافة خاصة بخصوص نظرتهم إلى السّلاطين ، فيقولون لهم إن العمل معهم حرام .

فقد جاء في الكافي : أن عبد العزيز بن نافع قال : طلبنا الإذن على أبي عبد الله عليه السلام ، فأرسل إلينا : أدخلوا اثنين اثنين .

فدخلت أنا ورجل معي ، فقلت للرجل : أحب أن تسأل المسألة ، فقال نعم .

فقال له: جعلت فداك ، إنّ أبي كان ممن سباه بنو أمية وقد علمت أن بني أمية لم يكن لهم أن يحرّموا ولا يحللوا ، و لم يكن لهم مما في أيديهم قليل ولا كثير ، وإنما ذلك لكم ، فإذا ذكرت الّذي كنت فيه ، دخلني من ذلك ما يكاد يفسد على عقلي ما أنا فيه .

فقال له : أنت في حلٍ مما كان من ذلك وكل من كان في مثل حالك من ورائي فهو في حل من ذلك[1] .

وفي الكافي أيضاً عن داود بن زربي ، أخبرني مولى لعلي بن الحسين عليه السلام ، قال كنت بالكوفة ، فقدم أبو عبد الله عليه السلام الحيرة ، فلقيته ، فقلت : جعلت فداك ، لو كلمت دواد بن علي[2] أو بعض هؤلاء فأدخل في بعض هذه الولايات .

فقال : ما كنت لأفعل .

قال : فانصرفت إلى منزلي ، فتفكرت ، فقلت ما أحسبه منعني إلاّ مخافة أن أظلم أو أجور ، والله لآتينّه ولأعطينه الطّلاق والعتاق والأيمان المغلظة أن لا أظلم أحداً ولا أجور ولأعدلن .

قال : فأتيته ، فقلت : جعلت فداك ، إني فكرت في إبائك عليّ ، فظننت أنك إنما كرهت ذلك مخافة أن أجور أو أظلم ، وأنّ كل إمرأة لي طالق وكل مملوك لي حر وعليّ إن ظلمت أحداً أو جرت عليه وإن لم أعدل .

قال : كيف قلت ؟

فأعدت عليه الأيمان

---

[1] - البحار جزء ٤٧ ص ٣٦٦ .

[2] - داود بن علي كان والياً على المدينة من قبل المنصور وهو عم المنصور وأبي العباس السفّاح .

فرفع رأسه إلى السّماء ، فقال : تناول السّماء أيسر عليك من ذلك[1]

فالمبدأ لدى الإمام عليه السلام في العمل للسلطان الجائر إنما يجوز إذا كان لقضاء حوائج الناس ورد الظّلم عنهم ، وهو الّذي أجاز لعلي بن يقطين أن يعمل وزيراً لهارون الرّشيد ، كما سيأتي ـ إن شاء الله ـ ولكن ليس كل الناس قادرين على ذلك ، فإن الكثير منهم تستهويهم الدّنيا وتؤثر فيهم سطوة السّلطان فينحرفون قليلاً قليلاً حتى يصبحوا من أدوات السّلطان في الجور والظّلم ، ولذلك نجد الإمام هنا مع هذا السّائل يقول له ( إنّ تناول السّماء أيسر عليك من ذلك ) ولا شك أن الأئمة عليهم السّلام يعرفون الأشخاص حق المعرفة ومقدار إيمانهم وصلابتهم .

والأصل في ذلك كله أن الحكومة ظالمة جائرة والعمل مع الظّالمين جور أيضاً ، ولا شك أن الدّولة ، أية دولة إنما تتقوّم بعمالها ، ولو أضرب هؤلاء العمال عن خدمة الدّولة لاضطربت .

فلنستمع إلى هذه القصة :

يقول علي بن حمزة ، كان لي صديق من كتّاب بني أمية ، فقال لي : إستأذن لي على أبي عبد الله عليه السلام ، فأستأذنت له فأذن له .

فلما أن دخل سلّم وجلس ، ثم قال : جعلت فداك إني كنت في ديوان هؤلاء القوم ، فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً وأغمضت في مطالبه[2].

---

[1] – الكافي جزء ٥ ص ١٠٦ .

[2] – أغمضت في مطالبه : تساهلت في تحصيله ولم اجتنب فيه الحرام والشّبهات .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : لولا أن بني أمية وجدوا من يكتب لهم ، ويجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم ، لما سلبونا حقنا ، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئاً إلاّ ما وقع في أيديهم .

فقال الفتى : جعلت فداك ، فهل لي مخرج منه ؟

فقال للفتى : إن قلت لك تفعل ؟

قال : أفعل

فقال : فاخرج من جميع ما كسبت في ديوانهم ، فمن عرفت منهم رددت عليه ماله ، ومن لم تعرف تصدّقت به ، وأنا أضمن لك على الله الجنة .

فأطرق الفتى طويلاً ، ثم قال له : قد فعلت جعلت فداك .

قال ابن أبي حمزة : فرجع الفتى معنا إلى الكوفة فما ترك شيئاً على وجه الأرض إلاّ خرج منه ، حتى ثيابه الّتي على بدنه ، فقسمت له قسمة واشترينا له ثياباً وبعثنا إليه بنفقة[1] .

وحيث أن المبدأ في العمل للسلطان هو أن لا يشاركهم في الظّلم وأن يقضي حاجات المؤمنين ويردّ عنهم الغائلة ، فإن الإمام موسى ابن جعفر عليه السلام الّذي منع صفوان الجمال ــ كما مر سابقاً ــ من إكراء جماله إلى هارون الرّشيد حتى إذا كان يذهب عليها إلى الحج ، فإنا نجد الإمام نفسه لا يأذن لعلي بن يقطين وزير هارون بالخروج من عملهم .

[1] - الكافي جزء ٥ ص ١٠٦

يقول علي بن يقطين :

قلت لأبي الحسن عليه السلام : ما تقول في أعمال هؤلاء ؟

قال : إن كنت لا بد فاعلاً ، فاتَقّ أموال الشيعة فكان علي ابن يقطين يجبيها من الشّيعة علانية ويردها عليهم في السر .

وفي رسالة أخرى يكتب علي بن يقطين إلى الإمام موسى عليه السلام : إن قلبي يضيق مما أنا عليه من عمل السّلطان ، فإن أذن لي جعلني الله فداك هربت منه .

فرجع الجواب : لا آذن لك بالخروج من عملهم واتق الله[1] .

ذكرنا قبل قليل إن الواشين ، كانوا يوغرون صدور السّلاطين على الأئمة عليهم السّلام ، بأهم تجبى لهم الأموال ، ليشتروا بها السّلاح ، وترسل الكتب في مبايعتهم للخلافة .

وذكرنا أيضاً أن السّلاطين حاولوا جهدهم أن يتحققوا من تلك التهم ، فلم يستطيعوا أن يثبتوها ، ثم تطرقنا إلى أنّ الشّيعة بصورة خاصة بل حتى الخلفاء أولئك كانوا يعرفون رأي الأئمة في الحكم ، إذ يعتبروهم خلفاء جور .

أما بخصوص الأموال ، فإننا لا نشك ، بل نعتقد أن الأئمة عليهم السّلام ، كانت تأتيهم الأموال من كل مكان من أقطار الدّنيا عن طريق

---

[1] - البحار جزء ٤٨ ص ١٥٨ .

وكلائهم المنتشرين ، وكانوا عليهم السّلام يوزعونها على المستحقين لها من أصحاب الحاجة ، وكانت صرار[1] الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مثلاً في الجود والكرم .

وإذا كانت الأموال ترد للأئمة بهذه الكثرة ، فإننا نعتقد أن الأئمة عليهم السّلام كانت تردهم الكتب والرّسائل والهدايا بكثرة من شيعتهم ومحبيهم .

وأما السّلاح فلا نعتقد أنهم كانوا يشترون الأسلحة ، بدليل أنهم أنفسهم لم يثوروا بعد الحسين عليه السلام ، ولم يذكر التاريخ أنهم قدموا السّلاح للثورات الّتي كانت تحدث ضد الغاصبين .

نعم يذكر التاريخ أن زيد بن علي بن الحسين لما قتل ، حزن له الإمام جعفر الصّادق عليه السلام حزناً عظيماً ، حتّى بان عليه ، وفرّق من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه ألف دينار[2] .

وبعد هذه المقدمة الضّافية نقول :

إنّ الأئمة عليهم السّلام كانوا :

١- تردهم الأموال

٢- وتردهم الكتب والهدايا .

٣- وتعرضوا لحالات تفتيش مفاجئة ، ولكن السّلطات لم تكتشف أثراً لذلك ، وكان الأئمة عليهم السّلام مطمئنين جداً عندما يداهمون في بيوتهم، بل كان الإمام الهادي عليه السلام يقول لمبعوث المتوكل (سعيد) ـــ وقد

---

[1] - صرار : جمع صرّة ، وهي قطعة القماش التي توضع فيها النقود .

[2] - إرشاد المفيد ص ٢٨٦ .

داهم داره ليلاً بعد أن وضع السّلالم وتسلق الجدران – يا سعيد انتظر ليؤتى لك بالشمعة ، ولم يجد سعيد شيئاً غير المصاحف وكتب الأدعية ، وصرة مرسلة من أم المتوكل ، كانت قد نذرت مالاً للإمام عليه السلام إذا تشافى المتوكل من مرض ألمّ به .

إذن : أين كان يضع الأئمة تلك الأموال وتلك الرّسائل ! وهو ما سنحاول أن نلقي عليه الضّوء في بحثنا هذا إن شاء الله وهي نقطة جديرة بالبحث .

يضاف إليها نقطة ثانية ، وهي ( العيون ) الّذين كان يستعملهم الأئمة ضد السّلاطين ، وأرى أنّ الموضوع يشتمل على ثلاث نقاط مهمة:

١- عيون معينون من قبل الإمام مباشرة .

٢- عيون متبرّعون .

٣- إخفاء الأموال والكتب وما إليها .

## أولاً : العيون

لم يكن للأئمة عيون بالمعنى الدّقيق على أعدائهم بحيث يبعثون شخصاً بمواهب معينة ليكون عيناً على عدوهم ، يكتب لهم أولاً بأول عما يجري .

هذه الطّريقة كان يتبعها الحكام ، أما هم فلم يكونوا كذلك ، حتّى علي بن يقطين ، وزير هارون الرّشيد ، فإنه كان ثقة الإمام موسى ابن جعفر ، ودائم الإتصال به ويأتمر بأوامره بدقة .

فإن هذا لا نعتبره عيناً بالمعنى المعروف ، وإنما هو وغـيره كـثيرون كانوا يوصلون للأئمة الأخبار المهمة الّتي تتعلق بالدولة والخليفة .

ولعل بعض المؤرخين يعتبرون علي بن يقطين كان ( عيناً) معيناً من قبل الإمام موسى بن جعفر على هارون ، ولكن الأمر ليس كذلك .

فعلي بن يقطين لم يكن عيناً أرسله الإمام موسى بن جعفـر عليه السلام ليتولّى مهمة إرسال المعلومات الّتي تتوفر في ديوان هارون ، علماً بأن أمراً كهذا لا يمكن أن يتحقق من الناحية الفنية ، بحيث يرسل الإمام شخصـاً ويقول له إذهب وكن وزيراً لهارون ( والوزير في تلك الأيام كان وزيـراً واحداً يقوم بمهام الخليفة في أقطار الدّنيا الشّاسعة ، خصوصاً دولة هارون)

كل ما في الأمر أنّ علي بن يقطين كان صاحب كفاءة عالية جـداً تؤهله لهذا المنصب الرّفيع ، ومع ذلك ، فقد كان يضيق أحيانـاً بهـذه الوظيفة ، فيطلب من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أن يأذن له بالاستقالة من هذا العمل فيقول له الإمام ( لا آذن لك ) ، وكان يجد في وظيفتـه ازدواجية لا يتحملها ، فهو شخص يوالي أهل البيت وعواطفـه معهـم ويرى حقّهم مغصوب ، في حين يعمل لأولئـك الغاصـبين ، وتلـك ازدواجية يصعب على الكثيرين أن يؤدّوا دورها بدقة ، بحيث يرضـي الله ويرضي السّلطان في آن واحد .

وكان ربما يوشى به لدى هارون ، بأن هواه ليس معه وإنمـا مـع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، فكان يختبره ويردّ وشاية الواشين .

فقد روي أن علي بن يقطين كتب إلى الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام): ( اختلف في المسح على الرّجلين ، فإن رأيت أن تكتب ما يكون عملي عليه فعلت ) .

فكتب الإمام الّذي آمرك به أن تتمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً وتغسل وجهك ثلاثاً وتخلل شعر لحيتك ثلاثاً وتغسل يديك ثلاثاً وتمسح ظاهر أذنيك وباطنهما وتغسل رجلك ثلاثاً[1] ولا تخالف ذلك إلى غيره ، فامتثل أمره وعمل به .

وقال الرشيد : أحبّ أن أستبرئ أمر علي بن يقطين ، فإنهم يقولون أنه رافضي ( والرّافضة يخففّون في الوضوء ) فناطه بشئ من الشّغل في الدّار حتى دخل وقت الصّلاة ، ووقف الرّشيد وراء حائط الحجرة ، بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه هو ، وقد بعث إليه بالماء للوضوء ، فتوضأ كما أمره موسى (عليه السلام) ، فقام الرّشيد وقال : كذب من زعم أنك رافضي

فورد على علي بن يقطين كتاب موسى بن جعفر : ( توضأ من الآن كما أمر الله ، إغسل وجهك مرة فريضة ومرة إسباغاً واغسل يديك من المرفقين كذلك وامسح مقدم رأسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك ، فقد زال ما يخاف عليك[2] .

ونفس السّياق ، تروى قصة أخرى عن علي بن يقطين هي :

حمل الرّشيد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثياباً أكرمه بها وكان في جملتها درّاعة خز سوداء من لباس الملوك ، مثقلة بالذهب فأنفذ علي

[1] - على طريقة أهل السّنة .
[2] - إعلام الورى ص ٢٩٣ .

ابن يقطين حمل تلك الثياب إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وأنفذ في جملتها تلك الدّراعة ، وأضاف إليها مالاً كان أعدّه له على رسم له في ما يحمله إليه من خمس ماله ، فلما وصل ذلك إلى أبي الحسن قبل المال والثياب وردّ الدّراعة على يد الرّسول إلى علي بن يقطين وكتب إليه أن احتفظ بها ولا تخرجها عن يدك ، فسيكون لك بها شأن ، تحتاج إليها معه فارتاب علي بن يقطين بردّها عليه ولم يدر ما سبب ذلك ؟ فاحتفظ بالدّراعة فلما كان بعد أيام تغيّر علي بن يقطين على غلام كان يختص به فصرفه عن خدمته ، وكان الغلام يعرف ميل علي بن يقطين إلى أبي الحسن عليه السلام ويقف على ما يحمله إليه الرّشيد ، فقال : إنه يقول بإمامة موسى بن جعفر ويحمل إليه في كل وقت من مال وثياب وألطاف وغير ذلك ، فسعى به إلى خمس ماله في كل سنة وقد حمل إليه الدّراعة الّتي أكرمه بها أمير المؤمنين في وقت كذا وكذا .

فاستشاط الرّشيد لذلك وغضب غضباً ، وقال لأكشفنّ عن هذه الحال ، فإن كان الأمر كما يقول أزهقت نفسه .

وأنفذ في الوقت بإحضار علي بن يقطين ، فلما مثل بين يديه ، قال له : ما فعلت بالدراعة الّتي كسوتك بها ؟

قال : هي يا أمير المؤمنين عندي في سفط مختوم فيه طيب ، وقد احتفظت بها وقلّما أصبحت إلاّ وفتحت السّفط ، فنظرت إليها تبركاً بها وقبّلتها ورددتها إلى موضعها وكلما أمسيت صنعت مثل ذلك .

فقال : احضرها السّاعة .

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، واستدعى بعض خدمه وقال له : إمض إلى البيت الفلاني من الدار ، فخذ مفتاحه من خـازنتي فافتحه وافتح الصّندوق الفلاني وجئني بالسفط الّذي فيه بختمه ، فلم يلبث الغـلام أن جاءه بالسفط مختوماً فوضع بين يدي الرّشيد فأمر بكسر ختمه وفتحه فلما فتح نظر إلى الدّراعة فيه بحالها مطوية مدفونة مع الطّيب ، فسكن الرّشيد من غضبه ثم قال لعلي بن يقطين أرددها إلى مكانها وانصرف راشداً فلم أصّدق عليك بعدها ساعياً . وأمر أن يتبع بجائزة سنيّة وتقدم بضرب السّاعي ألف سوط، فضرب نحواً من خمسمائة سوط فمات في ذلك[1] .

هذا هو علي بن يقطين، يحب الإمام ويتعاطف معه ويرسل له خمس ماله وهدايا ثمينة أخرى في رسم منه دائماً.

وعلى شاكلة علي بن يقطين كانوا كثيرين ، بعضهم كان يعمل للسلطان في ديوانه وبعضهم في بعض الولايات ، وهم كلهم يتبرعون بإيصال المعلومات حباً وكرامة للإمام وتقرباً لله سبحانه وتعالى .

وليس فيما يفعله أولئك ما يعتبر تجسساً كوظيفة مكلفين بها من قبل الأئمة عليهم السّلام .

[1] - الإرشاد ص ٣١٣ .

نعم ربما كان لرسول الله ( ص ) وللإمامين علي والحسن عليهما السّلام عيون بالمعنى الدّقيق لأن أولئك حكموا . والدولة تحتاج إلى هذا النوع من العاملين .

ثم لا ننسى إننا ذكرنا في مقدمة الكتاب أن بحثنا سيكون عن الأئمة الّذين تلوا الحسين عليه السلام ، إبتداءً من زين العابدين وانتهاء بآخر إمام وذلك لدفع الشّبهة الّتي تقول إن الأئمة الّذين جاؤوا من بعد الحسين عليه السلام تركوا العمل السياسي لغيرهم من سلاطين الجور وانصرفوا للعبادة والعمل الإجتماعي ، وعلى رغم ما تصفحت حياة الأئمة عليهم السلام ، فلم أجد أنهم كانوا يتخذون العيون والجواسيس على أعدائهم ، بل الذي توصلت إليه أنهم عليهم السلام كان لهم محبون يفدونهم بأرواحهم ويتقربون إلى الله بالتقرب إليهم ، أولئك هم الّذين يوصلون الأخبار لهم ، كان منهم الوزير والقائد العسكري وربما كان بعضهم من داخل عائلة الخليفة نفسه ، كما كان فيهم عامة الناس .

وكان الأئمة يميزون الأخبار الصّحيحة من غيرها وكانوا دقيقين في المتابعة ، وكانت تلك المعلومات تجعل الأئمة حذرين جداً وعلى استعداد لمواجهة المفاجآت .

وبناء على ذلك ، فإن ( العيون ) أولئك نستطيع أن نقول إنهم كلهم كانوا يتبرعون بإيصال المعلومات .

فالتقسيم الّذي وضعناه في بداية هذه النقطة ( عيون معينون وعيون متبرعون ) إنما هم قسم واحد ، متبرعون فقط لا غير ،

والأخبار عن هذا القسم كثيرة تحفل بها كتب التاريخ ، سوف نقتطف بعضاً منها ...

قال علي بن عبد العزيز عن أبيه ، قال ، أبو عبد الله الصّادق عليه السلام : لما ولي عبد الملك بن مروان واستقامت له الأشياء ، كتب إلى الحجاج كتاباً وخطّه بيده : بسم الله الرّحمن الرّحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد فجنّبني دماء بني عبد المطلب ، فإني رأيت آل أبي سفيان لما ولغوا فيها لم يلبثوا بعدها إلاّ قليلاً والسّلام .

وكتب الكتاب سراً لم يعلم به أحد ، وبعث به مع البريد إلى الحجاج . وورد خبر ذلك من ساعته على علي بن الحسين عليه السلام : وأخبر أن عبد الملك قد زيد في ملكه برهة من دهره لكفه عن بني هاشم وأمر أن يكتب ذلك إلى عبد الملك[1].

لا حظوا ( وورد خبر ذلك من ساعته إلى علي بن الحسين ) في حين أن عبد الملك كتب الكتاب سراً . فمن الّذي أوصل الخبر من ساعته ؟ الخليفة يكتب الرّسالة بخطه ، وهي سرية ، ومعنى ذلك إنه لم يطلع عليها أحداً ...

لا نشك أن أحد المقربين جداً هو الّذي أوصل الخبر من ساعته وليس هذا إلاّ محب متعاطف مع زين العابدين وهذه قصة ثانية ...

[1] - بصائر الدّرجات ج ٨ باب ١١ .

وجاء فيما رواه الرواة أن المنصور ، قال لمحمد بن الأشعث : يا محمد ابغ لي رجلاً له عقل يؤدي عني ، فقال له محمد : إني أصبته لك ، هذا ابن المهاجر خالي .

قال المنصور : فأتي به ، فلما أتاه ، قال له أبو جعفر المنصور : يا ابن المهاجر خذ هذا المال وأت المدينة ، واقصد عبد الله بن الحسن وجعفر بن محمد . وعيّن جماعة من العلويين وغيرهما ، وأمره أن يدفع إليهم المال ، ويقول لهم بأنه من شيعتهم في خراسان ، فإذا قبضوا المال ، فقل إني رسول وأحب أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم .

فأخذ المال ، وذهب إلى المدينة ، ثم رجع إلى أبي جعفر المنصور فقال له : ما وراءك ؟

قال : أتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم خلا جعفر ابن محمد ، فإني أتيته وهو يصلي في مسجد النبي ( ص ) ، فجلست خلفه وقلت ينصرف فاذكر له ما ذكرت لأصحابه ، فتعجل وانصرف ، فتبعته والتَفتَ إليّ وقال : يا هذا اتق الله ولا تغرِ أهل بيت محمد فإنهم قريبو العهد من دولة بني مروان وكلهم محتاج قلت له : وما ذاك أصلحك الله ؟

فأدنى رأسه مني ، وأخبرني بكل ما جرى بيني وبينك ، فقال المنصور : يا ابن المهاجر اعلم إنه ليس من أهل بيت النبوة إلاّ وفيهم محدث وإن جعفر بن محمد محدثنا اليوم [1] .

[1] - سيرة الأئمة الأثني عشر / هاشم معروف الحسني ج ٢ ص ٢٣٩ .

المؤامرة التجسسية الّتي جاء من أجلها ابن المهاجر، جرى التخطيط لها من قبل ثلاثة فقط ( محمد بن الأشعث وخاله ابن المهاجر والمنصور الدّوانيقي ) فكيف أخبره الإمام الصّادق بكل ما جرى بين ابن المهاجر والمنصور ؟

نحن لا نستبعد ، بل نؤكد أن ذلك كان من أشخاص مقربين للمنصور ، وهم من المتعاطفين والمحبين للإمام .

## وقصة ثالثة :

عن خيران الخادم ، قال : قدمت على أبي الحسن الهادي عليه السلام بالمدينة ، فقال لي : ما خبر الواثق عندك ؟

قلت : جعلت فداك ، خلّفته في عافية، أنا من أقرب الناس عهداً به.

فقال الإمام : إنّ أهل المدينة يقولون إنه مات ، فلما قال لي الناس ، علمت أنه هو .

ثم قال لي : ما فعل جعفر ( المتوكل ) ؟

قلت : تركته أسوأ الناس حالاً في السّجن ؟

فقال : أما إنه صاحب الأمر ، ما فعل ابن الزّيات ؟

قلت : جعلت فداك ، الناس معه والأمر أمره ؟

فقال : أما أنه شؤم عليه ، ثم سكت وقال : لا بدّ أن تجري مقادير الله تعالى وأحكامه يا خيران ، مات الواثق وقد قعد المتوكل جعفر وقد قتل ابن الزّيات .

فقلت : متى جعلت فداك ؟ قال : بعد خروجك بستة أيام[1].

أليست هذه القصة تفسر بوجود العيون والأرصاد الدّقيقة على الوضع السّياسي ، تبلغ الإمام ما يجب تبليغه من الأخبار أولاً بأول ؟ وهي تؤكد على وجود عناصر موالية للإمام تتبوّأ مناصب حساسة ، لذلك فمن المنطقي جداً أن تصل الأخبار للإمام بأسرع وقت بعد وقوعها .

يقول يحيى بن هرثمة الموكل بتسفير الإمام الهادي من المدينة إلى سامراء بأمر من المتوكل ، فلما قدمت به بغداد ، بدأت باسحاق ابن إبراهيم الطاهري ، وكان والياً على بغداد ، فقال لي : يا يحيى ، إن هذا الرّجل قد ولده رسول الله ( ص ) والمتوكل من تعلم ! فإن حرّضته عليه قتله ، وكان رسول الله خصمك يوم القيامة .

وعندما قدم هذا الرّجل إلى سامراء ، يقول : ثم صرت به إلى سرّ من رأى ، فبدأت بوصيف التركي فأخبرته بوصوله ، فقال : والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك .

قال يحيى : فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق [2] .

ومن الفقرات الأخيرة يتضح لنا شدة علاقة كبار الدّولة وقوادها بالإمام عليه السلام وحبهم له .

---

[1] - منهاج التحرك عند الإمام الهادي ص ٣٣ .
[2] - تذكرة الخواص ص ٣٦٠ .

فما يدرينا ، فلعل هؤلاء وأمثال هؤلاء ، هم الّذين يوصلون الأخبار حال وقوعها إلى الإمام .

❀❀❀

والقصص الّتي تؤيد ما ندعيه كثيرة جداً، نكتفي بما أوردناه، ويجب أن يكون واضحاً أنه لا ينفرد بذلك إمام دون إمام ، فكلهم كان لهم محبون يتعاطفون معهم ويرون في ذلك تقرباً إلى الله تعالى ، سواء كانوا مع بني أمية أو بني العباس .

❀❀❀

## ثانياً : إخفاء الأموال والكتب

لا شك في وصول الأموال للأئمة عليهم السّلام ، وهي أموال كثيرة كانت تصلهم من شيعتهم ووكلائهم المنتشرين في أقطار الدّنيا وليست الأموال فقط كانت تصلهم وإنما الجواري أيضاً والهدايا الأخرى .

وهم لم ينكروا وصول الأموال إليهم ، عندما كان يستقدمهم خلفاء الجور ، وإنما كانوا يقولون إنها ليست من أموال الخراج . فقد سأل المنصور الدّوانيقي الإمام جعفر الصّادق ( أنت الّذي يجبى إليك الخراج ؟[1] فقال الإمام : بل الخراج يجبى إليك .

ولا أعتقد أن الأئمة عليهم السّلام كانوا يحتاجون إلى إخفاء الأموال فكان ما يردعهم يوزع على المحتاجين والمستحقين ، خصوصاً أولئك الّذين مسّهم ظلم الحكام أيام بني أمية أو بني العباس ، ممن صودرت أموالهم أو حوصرت معايشهم إذ كانوا قد تواروا من سطوة السّلطان .

ولا مرجّح لإبقاء الأموال ، والتفّكير في إخفائها ، والملك الظّالم من ورائهم يأخذ كل مال غصباً ، ويعتبره دليلاً على العمل من أجل إسقاط النظام .

ثم لماذا يخفون الأموال وهي ترد بكثرة دائماً ؟ ، فما يخرج منه شيء إلاّ ويأتي أكثر منه،وهم ليسوا من الّذين كانوا يكنزون الذّهب والفضة

---

[1] - البحار / جزء / ٤٧ ص ١٨٧

إنهم كجدهم علي بن أبي طالب عليه السلام الّذي كان يكنس بيت المال ويصلي فيه ويقول ( يا صفراء ويا بيضاء غري غيري ) .

ولعل كل الأئمة عليهم السّلام ، كان لهم ضيعات زراعية خارج المدينة في ينبع أو غيرها ، كانوا يشترونها من هذه الأموال الّتي تردهم تحسباً للطوارئ في مصادرة الأموال من قبل السّلطان ، فإذا وقع ذلك ، فعندهم الضّيعة الّتي تدر عليهم معايشهم ومعايش من يحتاجون ويستحقون المساعدات .

فقد روي عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام أن قال أحد أصحابه : جعلت فداك بلغني أنك كنت تفغل في غلة عين زياد شيئاً ، وأنا أحب أن أسمعه منك .

قال الإمام عليه السلام : نعم كنت آمر إذا أدركت الثمرة أن يثلم في حيطانها الثلم ليدخل الناس ويأكلوا ، وكنت آمر في كل يوم أن يوضع عشر بنيّات[1] يقعد على كل بنيّة عشرة ، كلما أكل عشرة جاء عشرة أخرى يلقى لكل نفس منهم مدّ من رطب ، وكنت آمر بجيران الضّيعة كلهم ، الشّيخ والعجوز والصّبي والمريض والمرأة ومن لا يقدر ، أن يجيء فيأكل منها ، لكل إنسان منهم مدّ .

فإذا كان الجذاذ وفيت القوّام والوكلاء والرّجال أجرهم ، واحمل الباقي إلى المدينة ، ففرّقت في أهل البيوتات والمستحقين الرّاحلتين والثلاثة

[1] – البنيّة : بناء من طين يتخذ ليجلس عليه الناس .

والأقل والأكثر على قدر استحقاقهم ، وحصل لي بعد ذلك أربعمائة دينار ، وكان غلتها أربعة آلاف دينار[1] .

وكانوا عليهم السّلام ربما يخرجون بأنفسهم للضيعة من أجل استصلاحها متى ما يجدون فراغاً وكانوا يجدون ذلك عملاً يقربهم لله .

يقول أحدهم : استقبلت أبا عبد الله الصّادق عليه السلام في بعض طرق المدينة في يوم صائف شديد الحر ، فقلت : جعلت فداك ، حالك عند الله عزّ وجلّ وقرابتك من رسول الله (ص) وأنت تجهد نفسك في مثل هذا اليوم ؟

فقال : خرجت في طلب الرّزق لأستغني عن مثلك[2] وهو تماماً كما كان يفعله أبوه الإمام الباقر عليه السلام .

يقول محمد بن المنكدر : ما كنت أرى أن علي بن الحسين عليه السلام يَدَع خلفاً أفضل منه حتّى رأيت ابنه محمد بن علي عليه السلام فأردت أن أعظه فوعظني فقال له أصحابه بأي شيء وعظك ؟

قال : خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة ، فلقيني أبو جعفر بن محمد بن علي عليه السلام وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متكيء على غلامين أسودين أو موليين ، فقلت في نفسي : سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه السّاعة على هذه الحال في طلب الدّنيا ، أما لأعظنّه فدنوت منه ، فسلمت عليه ، فردّ علي وهو يتصاب عرقاً .

---

[1] - الكافي / ج ٣ / ص ٥٦٩ .
[2] - الكافي / ج ٥ / ص ٧٤ .

فقلت : أصلحك الله ، شيخ من أشياخ قريش في هذه السّاعة على هذه الحال في طلب الدّنيا ، أرأيت لو جاءك أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع ؟ .

فقال : لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال ، جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله عزّ وجلّ أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس وإنما كنت أخاف أن لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله .

فقلت : صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني [1] وكان الأئمة ربما عملوا بأنفسهم في الضّيعة ليكسبوا الرّزق بأيديهم يقول أبو عمرو الشّيباني : رأيت أبا عبد الله الصّادق عليه السلام وبيده مسحاة وعليه أزرار غليظ يعمل في حائط له ، والعرق يتصابّ عن ظهره ، فقلت : جعلت فداك أعطني أكفك ، فقال لي : إني أحبّ أن يتأذى الرّجل بحرّ الشّمس في طلب المعيشة [2] .

ومع ذلك فإن الضّيعة قد لا تعطي ثمراً لرداءة الموسم أو لعلة أخرى.

عندما ذهب هارون إلى المدينة ، زاره الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فسأله هارون عن أهله وعياله ، ثم سأله ( فما حال الضّيعة؟ ) قال الإمام عليه السلام تعطي في وقت وتمنع في آخر [3] .

[1] - الكافي / ج ٥ / ص ٧٣ / والتّهذيب / ج ٦ / ص ٣٢٥ .
[2] - البحار / ج ٤٧ / ص ٥٧ .
[3] - المصدر السابق ص ١٣٠

## ٣- طرق الإخفاء الّتي كان يتّبعها الأئمة عليهم السّلام

وحيث انتهينا من موضوع الأموال ، وهل كان الأئمة يعملون على إخفائها أم لا ؟ وقد ارتأينا أنهم عليهم السّلام ، ما كانوا يجدون مبرراً لإخفائها ، لأن أمرها معروف أولاً لدى الجميع وهي ثانياً لا تبقى لكي تصادر ، وإنما كانت توزع على مستحقيها ، ثم يأتي غيرها وهكذا ...

ولكن لا شك أن الأئمة عليهم السّلام كانت تردهم الرّسائل من أطراف الدّنيا ، فهل كانوا يخفونها ؟؟

الرّسائل تلك ، ربما كانت عن مسائل الحلال والحرام الّتي لا تتعلق بالحكم وشؤون الحكم كالصوم والصّلاة والوضوء وما إلى ذلك ، فإنّ مثل هذه الرّسائل لم يكن يخشى الأئمة عليهم السّلام أن تقع في أيدي السّلطات ولم تكن السّلطات تخشاها من حيث مضمونها ، ولكنها أي (الرّسائل) كانت تثير الخلفاء لأنها تعكس لهم جماهيرية الأئمة عليهم السّلام وتعلّق الناس بهم والرّجوع إليهم .

وربما كانت تلك الرّسائل تتعرض للنظام ، وأنا أعتقد أنها إذا تعرضت لذلك فإنما تشير إلى أن هؤلاء كانوا يسألون الإمام مثلاً ( متى الفرج للتخلص من الظّالمين أو يقولون للإمام بلغنا أن الطّاغية قد بعث يستقدمك إليه ) وما إلى ذلك .

وبعيد جداً أن يكون فيها إشارة إلى ثورة أو خروج على الحكم ، لأن الشّيعة بصورة عامة كانوا يدركون رأي الأئمة عليهم السّلام بالثورات .

فالرّسائل هذه الّتي فيها إشارة إلى عدم الرّضا عن الحكم ، أين كان يضعها الإمام عندما تصل إليه ؟ .

ولا نستبعد أن الأئمة عليهم السّلام كانوا يتلقون تلك الرّسائل ، فلا يحتفظون بها ، وقد رأينا في بداية هذا الكتاب كيف أن الإمام الصّادق عليه السلام أحضر السّراج واحرق رسالة أبي سلمة الخلال قائد الجيش في العراق ، عندما عرض الدّولة على الإمام ، ولكن الإمام أحرقها قبل أن يقرأها وعندما طالبه الرّسول بالجواب قال له : قد أجبتك .

وإذا علمنا أن الأئمة عليهم السّلام يمتلكون ذهنية عالية جداً وحافظة قوية للغاية ، فلا شك أنهم سوف لا ينسون تلك الكتب ولا أسماء مرسليها وسوف تبقى ثابتة في أذهانهم .

والإحراق كذلك أفضل طريقة لإتلاف المستندات ، أفضل من التمزيق فإن العدو قد يوائم بين الممزقات ويؤلف بينها ويرجعها كما كانت . والإحراق كذلك أفضل من الإلقاء في الماء ، في النهر أو غيره ، فإن بعض الأوراق قد تطفوا وتبقى معالمها ، فيستفيد منها العدو .

ذلك الحديث كان عن الرّسائل الّتي ترد من الأمة إلى الأئمة عليهم السّلام ولكن كيف كانوا يصنعون إذا أرادوا أن يبعثوا رسالة إلى واحد من الأمة ؟

وما لا شك فيه أن رسائلهم تلك ، لم يكن فيها ما يسيء إلى السّلطان لو وقعت بيده ، علماً بأنهم عليهم السّلام قليلاً ما كانوا يلجأون إلى الكتابة ، وإنما يعتمدون على الحفظ ، فكانوا يلقّنون مبعوثهم بالحديث الّذي يريدون إيصاله إلى الشّخص الثالث .

قال داود : أمرني سيدي ( ويقصد به الإمام الهادي عليه السلام ) بحوائج كثيرة ، فقال لي : كيف تقول ؟

فلم أحفظ مثل ما قال لي .

فمدّ الدّواة وكتب بسم الله الرّحمن الرّحيم أذكُرهُ إن شاء الله والأمر بيد الله ، فتبسمت .

فقال عليه السلام : ما لك ؟

قلت : خير .

فقال : أخبرني ؟

قلت : جعلت فداك ذكرت حديثاً حدثني به رجل من أصحابنا عن جدك الرّضا عليه السلام إذا أمر بحاجة كتب بسم الله الرّحمن الرّحيم أذكر إن شاء الله فتبسمت [1] .

ولا شك أن لهذا الأسلوب تأثيراً نفسياً للحفظ والتّذكر ، وهو في نفس الوقت دعاء إلى الله أن لا ينسى .

---

[1] - كشف الغمة / ج ٣ / ص ٢٥٢ .

والأئمة عليهم السّلام ، إذا أرادوا أن يكتبوا رسالة ، فلا يكتبـون فيها شيئاً يسيء إلى السّلطان ، فهم حذرون جداً .

فلنقرأ هذه القصة ، ولننظر لرسالة الإمام فيها :

يقول أحمد بن زكريا الصّيدلاني ، عن رجل من بني حنيفة من أهل بست وسجستان قال : رافقت أبا جعفر الجواد عليه السلام في السّنة الّتي حج فيها في أول خلافة المعتصم ، فقلت له : وأنا معه على المائدة ، وهنـاك جماعة من أولياء السّلطان : إنّ والينا جعلت فداك رجل يتولاكم أهـل البيت ويحبكم وعليّ في ديوانه خراج فإن رأيت جعلـني الله فـداك أن تكتب إليه بالإحسان إليّ .

فقال الإمام : لا أعرفه .

فقلت : جعلت فداك ، إنه على ما قلت من محبيكم أهـل البيـت وكتابك ينفعني عنده ، فأخذ القرطاس فكتب .

بسم الله الرّحمن الرّحيم أما بعد فإن موصل كتابي هذا ذكر عنـك مذهباً جميلاً وإن مالك من عملك ما أحسنت فيه ، فأحسن إلى إخوانك وأعلم أن الله عز وجل سائلك عن مثاقيل الذّر والخردل .

قال : فلما وردت سجستان سبق الخبر إلى الحسين بن علـي ابـن عبدالله النيسابوري وهو الوالي فاستقبلني على فرسخين مـن المدينـة ، فدفعت إليه الكتاب فقبّله ووضعه على عينيه ، وقال لي : حاجتك ؟

فقلت : خراج علي في ديوانك .

قال : فأمر بطرحه عني ، وقال : لا تؤدّ خراجاً ما دام لي عمل ، ثم سألني عن عيالي فأخبرته بمبلغهم ، فأمر لي ولهم بما يقوتنا وفضلاً ، فما أدّيت في عمله خراجاً ما دام حياً ، ولا قطع عني صلته حتّى مات[1] .

إن هذه الرّسالة تعتبر نموذجاً لرسائل الأئمة عليهم السّلام فالإمام عليه السلام لا يعرف الوالي ، ولكنه وثق بهذا الرّجل صاحب القضية . وعندما كتب الرّسالة قال فيها ( إن موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً ) فلو وقعت هذه الرّسالة بيد الأعداء ، فليس فيها ما يسيء إلى أحد . والمذهب الجميل قد يكون الخلق الطّيب والأدب الرّفيع والورع والتّقوى ، و لم يذكر في الكتاب ماهية الطّلب .. ( فأحسن إلى إخوانك ) وهي توصية عامة يقولها من يريد أن يعظ الناس ، وأخيراً يحذره إن ظلم أحداً (فإن الله سائله عن مثاقيل الذّر والخردل) .

وإذا كان الحذر مطلوباً في كتابة الرّسائل فإن الحذر أيضاً يتخذ في إختيار الزّمان والمكان .

فقد روى محمد بن شرف ، قال : كنت مع أبي الحسن الهادي عليه السلام أمشي في المدينة ، فقال لي ألست ابن شرف ؟

قلت : بلى : فأردت أن أسأله عن مسألة فابتدأني من غير أن أسأله فقال : نحن على قارعة الطّريق وليس هذا موضع مسألة .

[1] - الكافي / ج ٥ / ص ١١١ و ١١٢ .

وكان الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ربما يريد إرسال رسالة تحتوي معلومات مهمة يخشى من وقوعها في أيدي السّلطات الظّالمة ، ويحذر الإمام في نفس الوقت في أن يوصل الرّسالة عن طريق المشافهة توسط شخص ثالث ، فماذا كان يفعل ؟

فلنطلع على هذه الطّريقة الذّكية :

يروي أبو هاشم الجعفري عن داوود بن الأسود قال : دعاني سيدي أبو محمد (عليه السلام) فدفع إليّ خشبة كأنها رجل باب مدورة طويلة ، فقال : صر بهذه الخشبة إلى العمري[1] ، فمضيت فلما صرت في بعض الطّريق عرض لي سقّاء معه بغل ، فزاحمني البغل على الطّريق ، فناداني السقّاء ضحّ عن البغل [2] فرفعت الخشبة الّتي كانت معي فضربت بها البغل ، فانشقّت ، فنظرت إلى كسرها ، فإذا فيها كتب ، فبادرت سريعاً فرددت الخشبة إلى كمي فجعل السقّاء يناديني ويشتمني ويشتم صاحبي[3] .

فلما دنوت من الدار راجعاً استقبلني عيسى الخادم عند الباب الثاني فقال لي : يقول لك مولاي أعزه الله : لم ضربت البغل وكسرت رجل الباب؟ فقلت له[4] : يا سيدي لم أعلم ما في رجل الباب .

---

[1] – العمري هو عثمان بن سعيد وكيل الإمام ، وسوف نكتب إن شاء الله عن موضوع وكلاء وسفراء الأئمة وخصوصا سفراء الإمام المهدي ( ع ) .

[2] – ضحّ عن البغل ، أمر بتخلية السّبيل .

[3] – يبدو أن داود بن الأسود كان كالحمال ، بحيث عرفه السقّاء وشتم صاحبه الّذي حمّله هذه الخشبة .

[4] – الظّاهر إنه تحدث مع الإمام نفسه .

فقال : و لم احتجت أن تعمل عملاً تحتاج أن تعتذر منـــه ؟ إيـــاك بعدها أن تعود إلى مثلها ، وإذا سمعت لنا شاتماً فامض إلى سبيلك الّــتي أُمرت بها وإياك أن تجاوب من يشتمنا أو تعرّفه من أنت [1] فإنا ببلد سوء ومصر سوء وامض في طريقك فإن أخبارك وأحوالك ترد إلينـــا فـــاعلم ذلك[2] .

وهل كان الأئمة عليهم السّلام يتخذون المخابيء في دورهم ؟ ، ربما كان ذلك ، وهذه القصة ، قد تنبيء أنهم كانوا يتخذونها لإخفاء بعـــض الأمور عن أعين السّلطات الّتي تداهم البيوت فجأة .

يقول إسحاق الجلاب : اشتريت لأبي الحسن الهادي غنماً كثيرة ، فدعاني فأدخلني من اصطبل داره إلى موضع واسع لا أعرفه ، فجعلـــت أفرّق تلك الغنم فيما أمرني به [3] .

لندقّق في قول إسحاق إذ يقول ( فـــأدخلني في اصـــطبل داره إلى موضع واسع لا اعرفهم ) مما يؤكد أن إسحاق هذا كان يشتري الغـــنم للإمام دائماً ويضعها في الأصطبل ، وما كان يعرف هذا الموضع الواسع إلاّ اليوم ، حيث اكتشف ذالك ، وبدأ يفرق الغنم فيه .

[1] – وذلك لأن ملاحاة الشّاتم ، لها عواقب وخيمة ، فقد تتطور القضية وتتكشـــف بعض الأسرار .
[2] – وليس بعيداً أن الإمام ( ع ) عندما كلّف هذا الشخص بنقل الخشبة أرسل خلفه شخصاً آخر ليجرّب أمانة الناقل ، ولتدارك الأمر إذا حدث مكروه .
[3] – البحار / ج ٥٠ / ص ١٣٢ .

والّذين يداهمون البيت عادةً يفتشون الصّناديق والأسفاط والغرف ، أما الاصطبل فليس مما يدعو المداهمين ان يفتشوه ، وحتّى إذا دخلوا الاصطبل فسوف يخفى عليهم هذا المكان الّذي لم يكن يعرفه إسحاق .

❀❀❀

ولعل الكلام عن (التّقية) يرد في هذه المنطقة من الكتاب ،لأنها أسلوب من أساليب الإخفاء ، ولكننا سوف نذكر ( التّقية ) إن شاء الله في بحث مستقل لأنها تحتاج إلى دراسة مستفيضة .

وكذلك سوف نفرد بحثاً عن السّفراء والوكلاء الّذين كانوا يتخذهم الأئمة عليهم السّلام .

وإلى هنا نعتبر أنفسنا قد أستوفينا الحديث عن الأموال الّتي كانت ترد للأئمة عليهم السلام وإخفائها ، وتطرقنا أيضاً إلى أمور أخرى لها تعلق بهذا الباب .

❀❀❀

وعلى رغم الخلاف الشّديد بين دعاة الحق ودعاة الباطل ، بين الّذين يدعون إلى الإسلام النزيه وبين الّذين يدعون إلى الإسلام المشوّه .

وعلى رغم المضايقات الشّديدة والملاحقات والمداهمات والتّصفيات الجسدية الّتي تعرض لها الأئمة بالذات وذووهم من قبل بني أمية قــاتلي الحسين السّبط عليه السلام ومن قبل بني العباس الّذين كانوا أكثر لؤماً وحقــداً على العلويين وعلى أئمة أهل البيت .

على رغم كل ذلك ، فإن أولئك الطّغاة قد يلتجئــون إلى الأئمــة عندما كانوا ييأسون من الحلول أو تدلهم عليهم الخطوب فلا يجدون ملجأ إلاّ الرّجوع إلى الأئمة عليهم السّلام لأنهم يعرفون فضلهم وقدرتهم العلمية وسعة إدراكهم السّياسي وإخلاصهم للإسلام .

و لم يحدثنا التّاريخ أنّ أحداً من السّلاطين أولئك التجأ إلى الإمام فلم يلبّ طلبه ، يمتنع مثلاً من الإجابة أو يجيبه بغير الحقيقة أو يساوم على هذا الحل

والقضايا الّتي إلتجأ فيها الحاكمون إلى الأئمة كـثيرة جــداً ، وفي جميعها كانوا يرون عندهم الجواب الشّافي .

فقد كان الأئمة ينظرون إلى المصلحة الإسلامية العليــا ومصــلحة المسلمين بصورة عامة ، والأئمة وإن كانوا يجدون أن هؤلاء الطّغاة قــد غصبوا حقهم وقتلوا آباءهم وأجدادهم ، ولكنهم كانوا لا يبخلون عليهم بالنصح والتّوجيه .

وهذا هو ديدنهم جميعاً منذ يوم جدهم الأعلى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام ، الّذي كان ملجأ لمهمات الخلفاء الّذين عاصرهم ، وقد كان يقول عمر ( لولا علي لهلك عمر ) .

ويتضح لنا جلياً ذلك عندما نجد إن عمر عندما أراد أن يذهب إلى القدس ليتنازل أهلها عن الحرب ويسلموا مفاتيح المدينة إلى الخليفة عمر بنفسه ، فاستشار أصحاب رسول الله ، وكان منهم علي بن أبي طالب ، فأشار عليه بالذهاب لأن ذلك سوف يحقق مصلحة كبرى للإسلام وقضية أخرى مشابهة حدثت للخليفة عمر أيضاً عندما أراد أن يشترك في الحرب ضد الفرس ، واستشار الإمام علي ، فما رجّح الإمام له ذلك ، لأن الخليفة آنذاك كان رمزاً للمسلمين ، وإذا ما أصابه شيء فإنما يصاب الإسلام .

ولو نظرنا إلى الطّبائع البشرية العادية ، لوجدنا أن المعارض يغتنم فرصة كهذه ليقحم عدوه في اللّهوات عسى أن يقضى عليه ، ليصفو له الجو وتتهيأ له الفرص في استلام الحكم .

ولكن الأئمة عليهم السّلام لا ينظرون إلى الأمور بهذا المنظار ، فمصلحة الإسلام هي المصلحة الكبرى الّتي ينظرون إليها ويفدونها بأرواحهم .

وهم بالإضافة إلى نظرتهم لمصلحة الإسلام ، يتمتعون بخلقٍ عالٍ رفيع حتّى مع أعدائهم وغاصبي حقهم ، وكمثل على ذلك فإن مروان ابن الحكم على رغم خبثه وحقده على رسول الله ( ص ) والأئمة من بعده ونفاقه ومشاركته في حرب الجمل ضد أمير المؤمنين عليه السلام فإن زين

العابدين قَبِلَ أن يضع عياله مع عياله عندما طلب منه ذلك في ثورة أهل المدينة .

❀❀❀

والسلاطين كانوا يعرفون خلق الأئمة وهدف الأئمة ، ولذلك فهم عندما يستنصحونهم فإنهم يطمئنون إلى أن الأئمة يمنحونهم النصح والتّسديد .

وعملية الالتجاء إلى الأئمة ، وطلب نصحهم ، وإن كان السلاطين يرون أنها تكريس لإخفاقهم في تدبير أمور البلاد والعباد ، إلاّ أنهم يجدون أنفسهم مضطرين إلى ذلك في مقابل دفع ضرر أكبر .

والمبدأية هذه ربما يعتبرها البعض ضعفاً واستكانة ، بل ربما يجدها الآخرون تناقضاً في تصرفاتهم .

فنرى الأئمة عليهم السّلام في موضع يمنعون الأمة من العمل لأولئك الطّغاة لأنه يقوي دولتهم ، فما بالهم الآن يسددون وينصحون ؟؟

ولكن لو أمعن الإنسان وتجرد عن عواطفه وحقده لأولئك ، وهم يستحقون الحقد لأنهم طغاة فإن المبدأية واحدة ، هي مصلحة الإسلام والمسلمين كان الأئمة يريدون أن يشعروا الأمة أن هؤلاء طغاة غاصبون ، لا يحكمون بما أنزل الله ، وأن الإسلام الصّحيح هو غير هذا الّذي يدعو إليه أولئك الطّغاة .

الإسلام الصحيح هو الّذي يدعو إليه الأئمة أنفسهم عليهم السّلام ، ويعلمونه لأصحابهم ويحاولون أن يبلّغوه لكل مسلم .

فإذا كان الحاكم منحرفاً ، فلتبق الأمة مسلمة .

وأي مخلص شريف يرضى أن يستولي الكفر على البلاد ، فينسف كل هذه الجهود فلا يبقى للإسلام ذكر .

❁❁❁

تلك كانت مهمة الأئمة عليهم السّلام وهي الحفاظ على الموجود من الإسلام والأحكام ويعملون في نفس الوقت على تنبيه الأمة إلى الإنحرافات ليتسلّحوا بالعلم والإيمان والوعي ، ويشعرونهم بأن الأئمة أنفسهم هم الّذين يرثون علم رسول الله ( ص ) وسنته ويطبقون أحكام القرآن .

ولو أردنا أن نحصي الموارد الّتي التجأ فيها أولئك الحكام إلى الأئمة عليهم السّلام لطال بنا الحديث ، ولكننا سوف نقتصر على نماذج قليلة من ذلك :

١- كان النقد المتدوال في بلاد المسلمين هو الّذي يضرب في بلاد الرّوم ، ولكن صراعاً حدث بين الرّوم والمسلمين أيام عبد الملك بن مروان فأراد ملك الرّوم أن يستعمل ( موضوع النقد ) كورقة ضغط على الدّولة الإسلامية .

فلنستمع إلى السّيد هاشم معروف الحسني إذ يقول :

على أثر صراع عنيف واشتباكات بين الدّولتين الرّومانية والإسلامية على حدودهما ، هدد ملك الرّوم عبد الملك بن مروان بقطع النقود عن البلاد الإسلامية — وكان المسلمون يتعاملون بها — إذا لم يتخلّ المسلمون عن الحدود المتنازع عليها ، فاضطرب عبد الملك لأن عملاً من هذا النوع يؤدي إلى شلل الاقتصاد الإسلامي فجمع أعيان المسلمين واستشارهم في المخرج من هذه الأزمة ، فلم ينتهوا إلى نتيجة حاسمة .

فأشاروا عليه بالرجوع إلى زين العابدين عليه السلام فأرسل إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الحضور .

فلبّى الإمام الدّعوة ووفد على الشّام ، فعرض عليه عبد الملك ما جرى له مع الرّوم وما انتهى إليه الحال .

فقال له الإمام عليه السلام : لا يهولنّك ما ترى ، أرسل إلى ملك الرّوم واستمهله مدة من الزّمن لترى رأيك فيما عرضه عليك ، وخلال تلك المدة أرسل إلى عمالك في جميع المقاطعات وأمرهم بأن يجمعوا الذّهب والفضة حتّى الأقراط من آذان النساء ، حتّى إذا توفرت لك الكمية الكافية باشر بصك الدّرهم والدّينار . وحدّد الإمام وزنهما وكيفيتهما وأمره أن يكتب على إحدى الجهتين ( محمد رسول الله ) وترك له أن يكتب على الجهة الثانية ما يريد .

وأضاف الإمام إلى ذلك ما حاصله ، وعند الفراغ من ذلك ضع الدّرهم والدّينار في أيدي المسلمين وامنع من التّعامل بغيرهما حتّى لا يبقى لملك الرّوم سلطان عليك .

فلم يجد عبد الملك بديلاً لهذا الرّأي وباشر بتنفيذه في الحال .

وخلال أشهر معدودات كان النقد الجديد في أيدي المسلمين يتعاملون به بدلاً من النقد الرّوماني .

وأرسل عبد الملك إلى ملك الرّوم ، يرفض طلبه بتعديل الحدود بين الدّولتين ، وكانت الدّولة الرّومانية تحسب أن الضّغط الاقتصادي بالنحو الّذي هددت به المسلمين ورقة رابحة بيدها ، ولكنها فشلت في ذلك بعد أن استغنى المسلمون بنقدهم الجديد وثروتهم الجديدة [1] .

فلقد كان العداء بين أهل البيت وبني أمية مستحكماً ، فالعداء بينهما كان تأريخياً من يوم عبد شمس وهاشم ، وبدأ يزداد حتّى بلغ ذروته يوم قتلوا الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله عام ٦١ هـ ، وقتلوا أهله معه في مأساة لم يحدث لها مثيل في التّاريخ ، ولكن هذا العداء لم يمنع الإمام زين العابدين عليه السلام أن يسدّد فيه عبد الملك في قضية النقد ليحفظ في ذلك ثغور الدّولة الإسلامية ومن ثم الإسلام ككل .

٢- وتعرّض المأمون لأزمة شديدة خانقة ، كادت تعصف بدولته فلقد قتل وزيره الفضل في الحّمام ، إذ دخل عليه ثلاثة أو خمسة ، في

---

[1] - سيرة الأئمة الأثنى عشر / هاشم معروف الحسني / ج ٢ / ص ٢١٢ .

قضية معروفة بالتاريخ ، كان الإتهام فيها موجّهاً إلى المأمون نفسه ، وكان الفضل شخصاً قوياً ويتمتع وأهل بيته بسمعة عالية في خراسان الّتي كان فيها المأمون آنذاك .

واجتمع القواد والجند على باب المأمون ليقتلوه .. وخشي المأمون على نفسه ودخل على الرّضا من الباب الّذي كان إلى داره من دار الإمام الرّضا عليه السلام وقد إلتجأ إليه ويقول : يا سيدي : ترى أن تخرج إليهم وتفرقهم ؟ فركب الرّضا عليه السلام ، ونظر إلى الجموع الغفيرة وقد اجتمعوا وجاؤوا بالنيران ليحرقوا الباب ، فصاح بهم وأومأ إليهم بيده : تفرقوا ... فتفرقوا . .

فأقبل الناس يقع بعضهم على بعض ، وما أشار إلى أحدٍ إلاّ ركض ومرّ ولم يقف له أحد[1].

والمأمون سواء كان قاتلاً أم بريئاً فإن الجماهير الآن تريد أن تقتله وبيدهم النيران ، وكل آماله في الخلافة والدّولة ستذهب هباء .

وأسرع المأمون إلى الإمام من الباب الخلفي للدار لأنه يخشى أن يدخلوا عليه من الباب الآخر . فليس له الآن إلاّ الإمام الرّضا عليه السلام لينقذه في هذه اللّحظة الرّهيبة الّتي سيفقد فيها كل شيء إن لم يتشفع له الإمام (يا سيدي : ترى أن تخرج إليهم وتفرقهم ؟ ).

---

[1] - البحار / ج ٤٩ / ص ١٦٩ نقلاً عن عيون أخبار الرّضا / ج ٢ .

والمبدأية لدى الأئمة واحدة وآراؤهم واحدة ومواقفهم واحدة ، لا يختلف عليها إثنان منهم ، فالإمام الرّضا عليه السلام يخشى على الدّولة الإسلامية ، كما خشي عليها من قبله جده زين العابدين عليه السلام فإذا قتل المأمون بهذه الصّورة فسوف يطلق العنان للغوغاء ، ولن يستطيع أن يؤثر عليهم حتّى الإمام عليه السلام وحتّى إذا كان ولياً للعهد ، وإذا استطاع الإمام أن يهدّئ الوضع في هذه اللّحظة ، فماذا سوف يكون في المستقبل ؟

هل يبقى الإمام مسيطراً حاكماً فذاً ؟

لقد استوفينا هذا البحث سابقاً .

المهم أن الخلفاء والمأمون منهم ، كانوا يلجأون إلى الأئمة والرّضا منهم ، عندما تدلهم عليهم الخطوب في السّياسة والعلم والمعرفة .

٣- سأل الخليفة المهدي العباسي الإمام موسى بن جعفر مستفهماً عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله عزّ وجلّ فإن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التّحريم لها .

فقال له الإمام عليه السلام : بل هي محرّمة في كتاب الله عزّ وجلّ .

فقال له : في أي موضع هي محرمة في كتاب الله عزّ وجلّ يا أبا الحسن .

فقال : قول الله عزّ وجلّ ( إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبغي بغير الحق ) .

فأما قوله ما ظهر منها يعني الزنّا المعلن ونصب الرّايات الّتي كانت ترفعها الفواجر الفواحش في الجاهلية وأما قوله عزّ وجلّ ( وما بطن ) يعني ما

نكح الآباء ، لأن الناس كانوا قبل أن يبعث النبي ( ص ) إذا كان للرجل زوجة ومات عنها تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمّه ، فحرم الله ﷻ ذلك .

وأما الإثم فإنها الخمرة بعينها ، وقد قال الله تبارك وتعالى في موضع آخر ( يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ) فأما الإثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر وإثمهما كبير كما قال الله ﷻ .

فقال المهدي : هذه والله فتوى هاشمية[1].

فالخليفة المهدي ، أمير المؤمنين بن أبي جعفر المنصور ، لا يعرف في أي موضع من القرآن الكريم يكون تحريم الخمر ، ويستحي أن يقول للإمام إنه لا يعرف ذلك وإنما يقول ( إن الناس إنما يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التّحريم لها ) فكيف إذن أصبح أميراً للمؤمنين ؟

و( المؤمنون هم الّذين يعرفون أحكام الله ويعملون بها ) وهذا أميرهم ، فلله في خلقه شؤون ، والمهدي حسبما يذكره التّاريخ أنه ليس كغيره من الخلفاء في تهتكه وانغماسه في الملذات أو على الأقل ليس متظاهراً بها ، وهو الّذي أحدث ديوان المظالم ، وقد سمّاه أبوه ( المهدي ) على أساس ينتظره أنه هو الذي الناس لإنقاذ البشرية ، ولكنه مع الأسف لا يعرف تحريم الخمر من القرآن ، وكذلك يكون الخلفاء !

[1] - الكافي / ج ٦ / ص ٤٠٦ .

وعلى كل حال وحسناً فعل عندما إلتجأ إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام للسؤال منه في هذه المسألة ، الّتي لا يعرف لها مكاناً في القرآن .

وكان على الإمام أن يبين الحكم الشّرعي لكل النـــاس ، أمـــراء ومأمورين ، غاصبين للحق وغيرهم ، فلن يعيقهم ذلك ما استطاعوا إليه سبيلاً .

نكتفي بهذا المقدار من الأمثلة الّتي أوردناها لرجـــوع الخلفـــاء إلى الأئمة عليهم السّلام ولقد وجدنا كيف أن الأئمة لم يبخلـــوا بالنصـــح والتّسديد على أعدائهم وغاصبي حقوقهم وقـــاتليهم وقـــاتلي آبـــائهم وأجدادهم .

ونستطيع أن نكتشف من كل ذلك أمرين :

١- إن هؤلاء الطّواغيت وإن إدّعوا أنهم أمراء المـــؤمنين وخلفـــاء رسول الله ( ص ) فإنهم يحتاجون إلى من يبيّن لهم الحكـــم الشّـــرعي في موضوع من المواضيع ، كما هم محتاجون إلى من يسددهم ويسدي إليهم النصح ، وبذلك تتحطم مقولة استحقاق أولئك للخلافة لأنهـــم ليســـوا الأعلم والأفضل ، وخليفة رسول الله ( ص ) ينبغي أن يكون هو الأعلم والأفضل في الأحكام والسياسة والتّدبير .

نعم يستطيع أولئك أن يدّعوا ( الملوكية ) لأنهم وصلوا إليها بالقوة والغلبة وحينذاك تنطبق عليهم الآية الشّريفة ( إن الملوك إذا دخلوا قريـــةً أفسدوها ) أما خلافة رسول الله فليس لهم ذلك ، إذ لم يكونوا أصحاب

المؤهلات المطلوبة و لم يكونوا الأكفأ والأقدر ، و لم يصلوا إلى مقامهم ذلك بالنص من رسول الله ( ص ) الّذي يدّعون خلافته .

وما أحسن ما قيل لعبد الملك بن مروان :

فقد قال له رجل : أناظرك وأنا آمن ؟

قال : نعم .

فقال له : أخبرني عن هذا الأمر الّذي سار إليك أبنصٍ من الله ورسوله ؟

فقال : لا .

قال : اجتمعت الأمة فتراضوا بك ؟

فقال : لا .

قال : فكانت لك بيعة في أعناقهم ؟ فوفوا بها ؟

قال : لا .

قال : فاختارك أهل الشّورى ؟

قال : لا .

قال : أفليس قد قهرتهم على أمرهم واستأثرت بفيئهم دونهم ؟

قال : بلى .

قال : فبأي شيء سمّيت أمير المؤمنين ، و لم يؤمرك الله ولا رسوله ولا المسلمون ؟

قال له : أخرج عن بلادي وإلاّ قتلتك .

قال : ليس هذا جواب أهل العدل والأنصاف ، ثم خرج عنه[1].

٢- واكتشفنا أن الأئمة عليهم السّلام ، هم الأعلـــم والأفضـــل والأقدر علي السّياسة والتّدبير وفق الموازين الشّرعية الّـــتي حـــدّدها الله سبحانه وتعالى ، وأن الأئمة وإن كانوا قد أقصوا من مناصبهم ومنازلهم الّتي أرادها الله لهم ، فإنهم يتمتعون بخلق رفيع ويشعرون بمسؤولية عظمى في حفظ كيان الدّولة الإسلامية ، ومثلهم كمثـــل صـــاحب الـــدّار ، فيغتصبها الغاصب ثم يعيث فيها فساداً ، ولكن صاحب الدّار الحقيقـــي يحرص دائماً على أن يرعاها ويحافظ على جدرانها ومرافقها من السّقوط والإنهيار.

وهم عندما يسدون النصح والتّسديد ، لا يفعلون ذلك من أجل أن يمنّوا على السّلاطين وإنما للحفاظ على الكيان الّذي هم مسؤولون عنـــه أولاً وآخراً ولكنهم ليسوا مبسوطي اليد ، فالسارقون هم الّذين حازوا ما لا يملكون ..

[1] - البحار / ج ٤٦ / ص ٣٣٥ .

## هل كان الأئمة يغتالون أعداءهم ؟

الأئمة عليهم السّلام أيام حكم بني أمية وبني العباس ، كانوا يعيشون في دولة غير دولتهم ، وكانوا يرون حقهم مغصوباً ، وكانوا يتصرفون تصرف من يعيش في ظل الظّالمين الجائرين الّذين كانوا يضعون عليهم العيون ويحصون عليهم تحركاتهم ولقاءاتهم ، فتعطى للظالمين أخبارهم وربما يزاد فيها ويضاف حيث يجن جنون الخلفاء ، كما يفعل السّراق والقتلة لأنهم يرون أنفسهم لا يستندون إلى قاعدة شرعية .

وكان الأئمة عليهم السلام يوصون شيعتهم بالحذر لئلا يتخذ الظّالمون ضدهم مستمسكاً بالإدانة .

وموضوع اغتيال الأعداء من قبل الأئمة أمر بعيد جداً ، وليس لمن قرأ تاريخهم وأخلاقهم أن يدّعي ذلك .

ولقد وجدنا أن الأئمة عليهم السّلام يستدعون من قبل الخلفاء ويسألونهم عن جباية الأموال ، فلا ينكرون ذلك . ولكنهم ينكرون كونه ( خراجاً ) وإنما هو ( الخمس ) الّذي جعله لهم رسول الله ( ص ) .

فهم إذا سئلوا عن أمرٍ ما من قبل الخلفاء ، يجيبونهم بصدق ، فكيف يكون إذن حالهم لو مارسوا الاغتيال ، هل ينكرون ؟

ثم إنّ الدّولة ــ كما قلت ــ دولة غيرهم ، وليس من المعقول أن يكون في الدّولة سلطتان ، حتّى إذا كانت إحدى السّلطتين لا ترى شرعية الأخرى .

والأئمة عليهم السّلام إذا مارسوا عملية الاغتيال ، فلا شك إن ذلك سوف ينفضح وإن حاولوا التّستر عليه ، لأن الاغتيالات لا بدّ أن تكون كثيرة على كثرة أعدائهم .

ولدينا قصة حدثت أيام الرّضا عليه السلام مع أحد أعدائه ، فأراد شيعة الإمام قتله فاستشاروا الإمام بذلك فرفضه بقوة .

كان الإمام عليه السلام في مرو وكان هذا الشّخص هناك والّذي حاول أن ينفذ العملية كان في مرو أيضاً .

فلنستمع إلى هذه القصة :

يقول الرّيان : دخلت على العباسي[1] يوماً فطلب دواة وقرطاساً بالعجلة .

فقلت : ما بالك ؟

فقال : سمعت من الرّضا أشياء أحتاج أن أكتبها لا أنساها ، فكتبها فما كان بين هذا وبين أن جاءني بعد جمعة في وقت الحر وذلك بمرو .

فقلت : من أين جئت ؟

[1] – هو هشام بن إبراهيم العباسي ، كان زنديقاً ، يكذب على الإمام الرّضا عليه السلام حيث يقول الرّيان نفسه في قضية أخرى ، قلت للرّضا عليه السلام إن العباسي أخبرني أنك رخصت في سماع الغناء ، فقال : كذب الزّنديق ، ما هكذا كان ، إنما سألني عن سماع الغناء فأعلمته إن رجلاً أتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام فسأله عن سماع الغناء ، فقال له الإمام : إخبرني إذا جمع الله تبارك وتعالى بين الحق والباطل ، مع أيهما يكون الغناء ؟ فقال الرّجل : مع الباطل .

فقال له أبو جعفر : حسبك فقد حكمت على نفسك . فهكذا كان قولي له . ( قرب الإسناد ص ١٩٨ ) .

فقال : من عند هذا

قلت : من عند المأمون ؟

قال : لا

قلت : من الفضل بن سهل ؟

قال : لا ، من عند هذا .

فقلت : من تعني ؟

قال : من عند علي بن موسى

فقلت : ويلك خُذلت أيش قصتك ؟

فقال : ( دعني من هذا ، متى كان آباؤه يجلسون على الكراسي حتّى يبايع لهم بولاية العهد كما فعل هذا ) .

فقلت : ويلك استغفر ربك . فقال : جاريتي فلانة أعلم منه ، ثم قال : لو قلت برأسي هكذا ، لقالت الشّيعة برأسها .

فقلت : أنت رجل ملبوس عليك ، إنّ من عقيدة الشّيعة أن لو رأوه عليه السلام وعليه إزار مصبوغ وفي عنقه كبر يضرب في هذا العسكر ، لقالوا ما كان في وقت من الأوقات أطوع لله عز وجل من هذا الوقت ، وما وسعه غير ذلك ، فسكت ثم كان يذكره عندي وقتاً بعد وقت ، فدخلت على الرّضا عليه السلام ، فقلت له : إن العباس يسمعني فيك ، ويذكرك وهو كثيراً ما ينام عندي ويقيل ، فترى أني آخذ بحلقه وأعصره حتى يموت ، ثم أقول مات ميتة فجاءة ؟

فقال : ونفض يديه ثلاث مرات لا يا ريان لا يا ريان لا يا ريان ، فقلت له : إن الفضل بن سهل هو ذا يوجهني إلى العراق في أمور لـــه ، والعباس خارج بعدي بأيام إلى العراق ، فترى أن أقول لمواليك القميين أن يخرج منهم عشرون أو ثلاثون رجلاً كأنهم قاطعو طريق أو صعاليك فإذا اجتاز بهم قتلوه ، فيقال قتله الصعاليك ؟ فسكت فلم يقل لي نعم ولا لا.

فبعثت ( والكلام للريان ) فارساً إلى زكريا بن آدم وكتبت إليه إن ههنا أموراً لا يحتملها الكتاب فإن رأيت أن تصير إلى مشكاة في يوم كذا وكذا لأوافيك بها إن شاء الله .

فوافيت وقد سبقني إلى مشكاة ، فأعلمته الخبر ، وقصصـــت عليـــه القصة وإنه يوافي هذا الموضع يوم كذا وكذا .

فقال : ( دعني والرّجل ، فودعته وخرجت ، ورجع الرّجل إلى قم وقد وافاها معمر ، فاستشاره فيما قلت له .

فقال معمر : لا ندري سكوته أمر أو نهي ، ولم يـــأمرك بشـــيء ، فليس من الصّواب أن تتعرض له .

فأمسك عن التّوجه إليه زكريا واجتاز العباسي بالجادة وسلم منه[1] .

وواضح جداً لماذا رفض الإمام ذلك ، فهو قَبِل ولاية العهد بشـــرط أن لا يتدخل في عزل ونصب وما شابه ، وكان كلما طلب منه المـــأمون

[1] - البحار / ج ٤٩ / ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ نقلاً عن قـرب الإسـناد ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

أن يتدخل في أمر يقول له الإمام ( تفي لي بالشرط لكي أفي لك ) فكيف الآن يقوم بهذه العملية ، وماذا سيكون وضع المأمون معه ؟

قد يقال إن العملية سوف تتم بصورة سرية على أساس أن القاتلين هم قطاع طرق ، صحيح ذلك ، ولكن المقتول ( عباسي ) يمتّ إلى المأمون بنسب ، ولن يدع قتله يمر بدون تحقيق ومتابعة ، وماذا ستكون النتيجة ؟ معنى هذا أنّ الرّضا ولي العهد بدأ يقتل بني العباس غيلة ، فتسقط كل مبررات ( الأعلم والأفضل والأورع وولاية العهد ) وتختل الموازين وتتشابك الأمور .

وهل عملية اغتيال فرد يسيء إلى الإمام تضاهي كل تلك الخسارة ؟ في حين إن الأئمة جميعهم يسمعون من يشتمهم فيسكتون ويغضون الطّرف ، ولربما يكرمونه بعطاء وقضاء حاجة ، فيعود حميماً ودوداً .

ولكن في قضية أخرى ، نرى الإمام العسكري (عليه السلام) ، يطلب من أحد أصحابه أن يقوم بعملية الاغتيال ، إنها تختلف عن قضية ( العباسي ) إختلافاً كلياً .

فالعباسي ، كانت جريرته أنه يشتم الإمام الرّضا (عليه السلام) وهي وإن كانت جريمة كبيرة ، إلاّ أن الأئمة عليهم السّلام كانوا يغضون عنها الطّرف ، وإلاّ لاحتاجوا إلى أن يقتلوا كثيراً من الناس .

وقضية الشّخص الّذي أمر العسكري (عليه السلام) بقتله ، قلنا إنها تختلف عن تلك ، فإن صاحبها كان قد أوجد مذهباً منحرفاً عن أهل البيت

عليهم السّلام ، ( مذهب الغلو ) وهذا خطورته كبرى آنياً ومستقبلياً على الإسلام .

نستطيع أن نقول إن صاحب الإمام الرّضا عليه السلام كانت جريمته تمسّ الإمام الرّضا نفسه وجريمة صاحب الإمام العسكري عليه السلام تمسّ الإسلام.

وقضية اغتياله لا تمت إلى السّياسة والسّلطة بصلة.

أما ذلك الشّخص فهو ( فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني ) فقد كان الإمام الهادي عليه السلام يقول لشيعته : كذبوه واهتكوه ، أبعده الله وأخزاه ، فهو كاذب في جميع ما يدّعي ويصف ، ولكن صونوا أنفسكم عن الخوض والكلام في ذلك وتوقّوا مشاورته ولا تجعلوا له السّبيل إلى طلب الشّر ، كفانا الله مؤنته ومؤنة من كان مثله . وكان فارس هذا فتاناً يفتن الناس ويدعوهم إلى البدعة .

ويقول عنه الإمام عليه السلام في موضع آخر : دمه هدر لكل من قتله ، فمن هذا الّذي يريحني منه ويقتله ، وأنا ضامن له على الله الجنة [1] .

قال أبو الجنيد : أمرني أبو الحسن العسكري بقتل فارس بن حاتم القزويني ، فناولني دراهم وقال : اشتر بها سلاحاً وأعرضه علي ، فذهبت فاشتريت سيفاً ، فعرضته عليه ، فقال : ردّ هذا وخذ غيره .

قال : فرددته وأخذت مكانه ساطوراً ، فعرضته عليه فقال : هذا نعم .

---

[1] - منهاج التّحرك عند الإمام الهادي / نقلاً عن الكشي في رجاله ص ٧٨ .

فجئت إلى فارس ، وقد خرج من المسجد بين الصّلاتين المغرب والعشاء الآخرة ، فضربته على رأسه ، فسقط ميتاً ، ورميت السّاطور ، واجتمع الناس ، وأخذتُ إذ لم يوجد هناك أحد غيري ، فلم يروا معي سلاحاً ولا سكيناً ولا أثر السّاطور ، فخلّيت[1] .

وقضية ثالثة أمر الإمام الصّادق عليه السلام بتنفيذها مباشرة ، وهي أيضاً تختلف عن الحالتين السّابقتين ، تلك هي مقتل ( المعلّى بن خنيس ) مولى الإمام الصّادق عليه السلام والظّاهر إنه كان مؤتمناً لدى الإمام في الأموال الـتي ترد إليه من شيعته .

قبض عليه داود بن علي والي المدينة من قبل المنصور الدّوانيقي ، وطلب منه أن يعترف له بأسماء أولئك ، فأبى ، فحبسه ، فأراد قتله ، فقال له المعلى : أخرجني إلى الناس ، فإن لي ديناً كثيراً ومالاً حتّى اشهد بذلك فأخرجه إلى السّوق .

فلما اجتمع الناس ، قال أيها الناس أنا معلى بن خنيس ، فمن عرفني فقد عرفني ، اشهدوا أني ماتركت من مال عين أو دين أو أمة أو عبد أو دار أو قليل أو كثير فهو لجعفر بن محمد عليه السلام .

قال : فشدّ عليه صاحب شرطة داود فقتله .

فلما بلغ ذلك أبا عبد الله عليه السلام خرج يجر ذيله حتّى دخل على داود ابن علي ، وإسماعيل إبنه معه .

---

[1] - البحار / ج ٥٠ / ص ٢٠٥ .

فقال : يا داود ، قتلت مولاي وأخذت مالي .

فقال : ما أنا قتلته ، ولا أخذت مالك .

فقال : والله لأدعونّ على من قتل مولاي وأخذ مالي .

قال : ما قتلته ، ولكن قتله صاحب شرطتي .

فقال الإمام : بإذنك أو بغير إذنك ؟

فقال : بغير إذني .

فقال الإمام : يا إسماعيل شأنك به .

فخرج إسماعيل والسّيف معه حتّى قتله في مجلسه[1].

وفي رواية أخرى ، بقليل من التّصرف :

قال الإمام لداود : من قتله .

قال : قتله السّيرافي ( صاحب الشّرطة ) .

قال : فأقِدنا منه .

قال : فلما كان من الغد ، غدا السّيرافي ، فأخذه فقتله ، فجعل يصيح : يا عباد الله يأمروني أن أقتل لهم الناس ثم يقتلوني [2] .

وهذه القضية تختلف عما سبقها :

فإن دواد يقول ( إنه لم يأمر صاحب الشّرطة ) فالقتل إذن كان من قبل السّيرافي وهو ليس مأموراً .

---

[1] - البحار / ج ٤٧ / ص ٣٥٢ .

[2] - المصدر السابق / ص ٣٥٣ .

ويسأله الإمام عليه السلام مرة أخرى ، هل كان القتل بإذنك ، أو بغير إذنك ؟ فيقول : بغير إذني .

فقد تخلّى عنه داود ، وليس أمام السّيرافي إلاّ القصاص ، وهو الّذي حصل .

وما يدرينا فلعل داود بن علي ، كان يريد أن يتخلص من صاحب شرطته ، فدبر له هذه المكيدة .

وتلك طريقة الطّواغيت دائماً .

وأمامنا الآن قصة رابعة تدخل في هذا السّياق ، جرت مع الإمام الصّادق عليه السلام .

عن محمد بن مرازم عن أبيه قال : خرجنا مع أبي عبد الله الصّادق عليه السلام حيث خرج من عند أبي جعفر من الحيرة ، فخرج ساعة أذن له ، وانتهى إلى السّالحين[1] في أول اللّيل ، فعرض له عاشر[2] كان يكون في السّالحين في أول اللّيل فقال له : لا أدعك تجوز ، فألح عليه الإمام وطلب إليه فأبى إباء ومصادف معه .

فقال له مصادف : جعلت فداك ، إنما هو كلب قد آذاك وأخاف أن يردّك ، وما أدري ما يكون من أمر أبي جعفر ، ( وأنا ومرازم ) أتأذن لنا أن نضرب عنقه ثم نطرحه في النهر ؟

[1] – موضع على أربعة فراسخ من بغداد إلى المغرب .
[2] – العاشر : من يأخذ العشر .

فقال : كفّ يا مصادف

فلم يزل الإمام يطلب إليه حتّى ذهب من اللّيل أكثره ، فأذن له فمضى ، فقال الإمام : يا مرازم هذا خير أم الّذي قلتماه ؟

قلت : هذا جعلت فداك .

فقال : يا مرازم إن الرّجل يخرج من الذّل الصّغير فيدخله ذلك في الذّل الكبير [1] فالمنصور هنا قد استدعى الإمام إلى الحيرة ، ثم سمح له بالعودة ، فخرج الإمام من ساعته ، ولكنه يلتقي في طريقه ( خفيراً ) قد وضعه المنصور لمراقبة المارين ، والظّاهر إن هذا الخفير قد خوّل منع المارين ليلاً ، فمنع الإمام ومن معه .

كان هذا الخفير واحداً وكانت مجموعة الإمام ثلاثة ، وكان من السّهل جداً ضرب هذا وقتله ، ولكن الإمام يرفض ويبقى يطلب منه ويلح في الطّلب بأن يجوز ( أي تجاوز هذه المنطقة ) فلا يوافق الخفير .

ويخشى صاحب الإمام من التّأخير ، فيُستدعى الإمام من قبل المنصور مجدداً حتّى ذهب من اللّيل أكثره ، وعندما سمح لهم الخفير ، يسأل الإمام مرازم : هذا خير أم الّذي قلتماه ؟

يا مرازم : إن الرّجل يخرج من الذّل الصّغير فيدخله ذلك في الذّل الكبير ، فلو قتلوا الخفير لاستطاعوا المضي ولكن هل ينتهي الأمر بذلك ودون متابعة وملاحقة ؟

---

[1] - البحار / ج ٤٨ / ص ٢٠٦ .

والدّولة العباسية آنذاك كانت في مهدها ، والمنصور وأخوه السّفاح يريدان أن يمسكا بالوضع قوياً ، وكل مخالف لهما يخضع لمساءلة شديدة .

❁❁❁

## موقف الأئمة (ع) المباشر من السّلاطين

من عادة السّلاطين أنهم يرهبون الناس ويخيفونهم ، ومن عادة الناس أنهم يخشون من السّلاطين ، لأنهم لا يرحمون ، ولا يردعهم شرع أو قانون أو خلق أو عرف وما إلى ذلك .. فإذا أراد السّلطان شيئاً فعله وهو ربما يهوى القتل وتعذيب الناس وحبسهم ومصادرة أموالهم ، ويرعبهم ليثبت أنه الأقوى والأقدر .

ولا يهم بعد ذلك أن يلوك الناس بمثالبه ومساوئه ، فإنه سوف يضع العيون عليهم ليكمّ الأفواه ويسكت الأنفاس .

والملوك كلهم سواسية كأسنان المشط والخطاب القرآني يشملهم جميعاً ( إذا دخلوا قرية أفسدوها ) على شاكلة واحدة ، يتبع أحدهم الآخر ، حذو النعل بالنعل .

فإذا قيل أن أحد الملوك نزيه أو شريف ، فلأنه لا يرتكب الجرائم أمام الناس وإنما يرتكبها بغفلة منهم فالشريف والوضيع في الملوك سواء ، إلا أن الشّريف منهم يظلم سراً والوضيع يظلم علناً .

والسّلطان عادة مصون غير مسؤول ، يرتكب كل الجرائم بحجة أنها ( للمصلحة العامة ) وهي لمصلحته الشّخصية ، فمصلحته الخاصة هي مصلحة الأمة كما يراها هو ومن عادة السّلاطين أنهم يحسدون كل من يلمع إسمه في فن من الفنون والعلوم ، ويشتهون أن لا يكون أحد من رعيتهم أعلا منهم نسباً وعلماً وقدرة ، ولذلك فقد نجد بعض الملوك

يحتكر له ألقاباً لا وجود لها إلاّ على أوراقه الخاصة ( السّلطان ابن السّلطان والخاقان ابن الخاقان ، الشّاهنشاه ، ملك الملوك ) .

وقد يحسد الملك صاحب الشّهادة العليا ، فيمنح شهادة الدّكتوراه من الخائفين منه والملتقطين لفتات مائدته ، وقد يمنح أعلا رتبة عسكرية ـ وهو لم يدخل السّلك العسكري يوماً ـ كما هو صدام حسين (المهيب الركن )[1] صاحب شهادة الدّكتوراه .

والملوك ، كل الملوك ، يفرضون على الناس أعرافاً خاصة في مخاطباتهم ومجالستهم والسّلام عليهم وما إلى ذلك ، وإلاّ فإنّ النقمة تنزل على رأس المخالف وأية نقمة ؟ وحتّى إذا كان ذلك الملك (شريفاً) في الظّاهر ، فإن غرائزه الوحشية سوف تتحرك وتنتقم وإذا صبر الملك على مكروه من قول أو فعل ، فلعلة هناك :

الظلم من شيم النفوس		فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

والإلتزام بالشرع يبقى أحسن رادع للإنسان ، لأن القانون أولاً ربما كان من صنع الملك نفسه وثانياً لأن الإنسان يتكر طرقاً لمخالفة القانون في غفلة من المراقبين ، ولكن فضيلة الشّرع أنّ الّذي يريد أن يخالفه ، فإنه يخشى من الله سبحانه وتعالى الّذي يرى كل شيء ولا تخفى عليه خافية .

[1] – هو رئيس جمهورية العراق منذ عام ١٩٧٩ وإلى الآن ونحن الآن في عام ١٩٩٦ .

ولكن الطّامة تكون كبرى ، لو أدّعى شخص ــ زيفاً ــ أنه ملك بأمر الشّرع ، كما كان يفعل ملوك بني أمية وبني العباس حيث كانوا يدّعون أنهم خلفاء رسول الله (ص) ولذلك فهم أمراء المؤمنين يرون أن عملهم شرع وتصرفاتهم شرع ، وهم ظل الله في الأرض . فإن هؤلاء سوف تكون مظالمهم أكثر وجرائمهم أكبر وإنتهاكاتهم أوسع وعقوباتهم أشد .

وتشتد حالتهم الوحشية عندما يجدون في طريقهم أشخاصاً كالأئمة عليهم السّلام تذعن لهم الأمة في الطاعة من دون سلطان وتجبي لهم الأموال بدون سياط ، وهم الأعلم بالقرآن والسّنة والأحكام ، ولهم الهيبة الّتي تفرض نفسها على الناس بلا حراس وجلاوزة ، كما حدث للإمام زين العابدين عليه السلام بحضور هشام بن عبد الملك وهكذا ...

كل تلك الصّغائر ، كانت تدفع ( الخلفاء ) لملاحقة الأئمة عليهم السّلام واستدعائهم لمحاسبتهم في محاولة منهم لإلقاء الرّعب في نفوسهم والقضاء على رؤوس المعارضة .

وهل كان الأئمة عليهم السّلام يرهبون أولئك الخلفاء حقاً ؟

ويتذللون لهم كما يتذلل الخائف المكسور ؟

التّاريخ يذكر لنا عكس ذلك تماماً ، فما من خليفة استدعى إماماً إلاّ وأبدى له الاحترام والتّقدير ، في أول اللّقاء أو في آخره .

وكان الإمام ( أي إمام ) يدخل على الخليفة غير مكترث أبداً لأنه يعلم أن الله سبحانه معه وأنه سوف يفرض عليه هيبته ومنطقه ، تطبيقاً لمقولة الإمام الحسن (عليه السلام) :

( من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل طاعة الشّيطان إلى عز طاعة الله ) .

كل الأئمة هكذا كانوا ، سواء مع حكام بني أمية أو بني العباس ، كانوا يدخلون عليهم مرفوعي الرّأس لا يخشون أحداً إلاّ الله ولا يتذللون إلاّ لله .

نرى المنصور يستدعي الإمام الصّادق (عليه السلام) وقد وضع سيفه إلى جنبه إستعداداً لقتل الإمام ، ويوجه إليه بعض التّهم ، فينفيها الإمام ، فيطرق ساعة ثم يقول له : أظنك صادقاً ثم يكرمه ويركبه على فارهٍ من دوابه .

تتكرر دعوات الاستدعاء وتتكرر نفس النتيجة .

كان يدخل الإمام الصّادق (عليه السلام) على المنصور ، أعزل من السّلاح ولكنه كان يستعمل سلاحاً من نوع آخر ، أمضى بكثير من سلاح المنصور وأشد تأثيراً ، ذلك هو سلاح الدّعاء ، حيث يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بكلمات قصار تخرج من القلب الكبير المرتبط بالله والنابض بقدرة الله ، ويرجو أن يكفيه شر الطّغاة .

يقول الإمام الرّضا عليه السلام نقلاً عن أبيه : أرسل أبو جعفر الدّوانيقي إلى جعفر بن محمد ليقتله وطرح له سيفاً ونطعاً ، وقال : يا ربيع إذا أنا كلمته ثم ضربت بإحدى يديّ على الأخرى فاضرب عنقه .

فلما دخل جعفر بن محمد عليه السلام ونظر إليه من بعيد تحرك أبو جعفر على فراشه وقال : مرحباً بك يا أبا عبد الله ، وما أرسلنا إليك إلاّ رجاء أن نقضي دينك ونقضي ذمامك [1] ثم ساءله مساءلة لطيفة عن أهل بيته ، وقال : قد قضى الله حاجتك ودينك وأخرج جائزتك ، يا ربيع لا تمضيّن ثلاثة حتّى يرجع جعفر إلى أهله .

فلما خرج قال له الرّبيع [2] : يا أبا عبد الله رأيت السّيف ؟ إنما كان وضع لك ، والنطع ، فأي شيء رأيتك تحرك به شفتيك ؟ قال جعفر ابن محمد عليه السلام : نعم يا ربيع ، لما رأيت الشّر في وجهه ، قلت ( حسبيّ الرّب من المربوبين وحسبي الخالق من المخلوقين وحسبي الرّازق من المرزوقين وحسبي الله رب العالمين ، حسبي من هو حسبي ، حسبي من لم يزل حسبي ، حسبي الله لا إله إلاّ هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) [3].

ما الّذي غيّر المنصور ، فقد استعد ليقتل الإمام ، كل شيء كان جاهزاً لمجرد أن يصفق بيده على الأخرى ؟ ربما يعفو السّلطان في حالات

---

[1] – الذّمام : الحق والحرمة .
[2] – الرّبيع كان يتشيع .
[3] – عيون أخبار الرّضا / ج ١ / ص ٣٠٤ .

نادرة ولكن كيف أصبح معاشراً لطيفاً ( وما أرسلنا إليك إلاّ برجـــاء أن نقضي دينك .. وقد قضى الله حاجتك ودينك ).

والمنصور هو ذلك الإنسان المعروف بحقده الشّديد وكرهه للعلويين بصورة عامة وللأئمة بصورة خاصة أليس الله هو الّذي أنقــذ الموقــف كلمح البصر ؟ وحفظ عبده من شر الطّغاة ؟

وتتكرر عملية الاستدعاء ، ويدخل الإمام الصّادق عليه السلام محكومـــاً بالإعدام ويخرج بعد قليل محترماً مكرماً ، نراه مرة يدعو وأخرى يـــدخل هكذا .. بلا دعاء وما يدرينا فلعله كان يستحي من الله سبحانه وتعـــالى أن يسرف في دعائه وطلبه .

ولكن الإمام نراه يستعمل أسلوباً آخر غير الدّعاء ، جاء في العقـــد الفريد : أن المنصور استدعى الصّادق عليه السلام ولما رآه قال : قتلني الله إن لم أقتلك فقال له الإمام عليه السلام : إن سليمان أعطي فشكر وأن أيوب أبتلـــي فصبر وأن يوسف ظلم فغفر أنت على أرث منهم وأحق بمن تأسّى بهم .

فقال المنصور : إليّ يا أبا عبد الله ، فأنت القريب القرابة وذو الرّحم الواشجة السّليم الناحية ، القليل الغائلة ، ثم صافحه بيمينه وعانقه بشماله وأمر له بكسوة وجائزة .

وفي خبر أخر إنه قال له : إرفع حوائجك .

فأخرج الإمام رقاعاً [1] لأقوام .

[1] - الرّقاع هي الأوراق التي يكتبها أصحاب الحاجات .

فقال المنصور : إرفع حوائجك في نفسك .

فقال الإمام : لا تدعوني حتّى أجيئك .

فقال : ما إلى ذلك سبيل[1] .

والأئمة عليهم السلام كل صفاقم جميلة وكل عواطفهم خـيرة ، وقد رأينا فيما سبق بعض الأمثلة الّتي ضربناها ، كيف كانوا يؤثّرون على أعدائهم بكلمة طيبة أو بعطاء ومكرمة وقضاء حاجة .

ومع السّلاطين كذلك ، فقد يستعملون نفس الأسلوب ، وكـان الخلفاء وجميعهم ( بنو أمية وبنو العباس ) أعداء لأهل البيت جميعاً ولكن بعضهم كان يظهر حقده في حين كان الآخرون يخفون ذلك .

وما من إمام كان قد استدعاه خليفة مغضباً إلاّ وقد اثّر فيه الإمـام بدعائه الّذي يناجي به ربه سبحانه وتعالى ، أو بمنطقه الهادئ الّذي يفلج فيه حجة الظّالمين . وقد يتكلم بكلام يمسّ العواطف ويدغدغ شـغاف القلوب ويحركها نحو الخير .

والحوادث كثيرة جداً والأئمة عليهم السّلام فيها سواء ، قـدراقم التعبيرية واحدة وعلمهم واحد ورؤيتهم للظالمين واحدة .

يقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : لما أدخلت علـى الرّشـيد ، سلمت عليه فرد عليّ السّلام ، ثم قال : يا موسى بن جعفر خليفتين يجبى لهما الخراج ! فقلت : يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تبوء بإثمي وإثمـك

---

[1] - البحار / نقلاً عن المناقب / ج ٣ / ص ٣٥٨ .

وتقبل الباطل من أعدائنا علينا ، فقد علمت إنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله (ص) بما علم ذلك عندك ، فإن رأيت بقرابتك من رسول الله (ص) أن تأذن لي أحدثك بحديث أخبرني به أبي عن آبائه عن جدي رسول الله (ص) ؟

فقال : قد أذنت لك

فقلت : أخبرني أبي عن آبائه عن جدي رسول الله (ص) ، قال : إن الرّحم إذا مسّت تحركت واضطربت ، فناولني يدك .

فقال : اُدنُ ، فدنوت منه ، فأخذ بيدي ثم جذبني إلى نفسه وعانقني طويلاً ثم تركني ، وقال : اجلس يا موسى فليس عليك بأس ، فنظرت إليه فإذا أنه قد دمعت عيناه ، وقال : صدقت وصدق جدك لقد تحرك دمي واضطربت عروقي حتّى غلبت عليّ الرّقة وفاضت عيناي[1] والقصة طويلة.

الرّشيد يسأل الإمام عن قضايا لم يكن يعرف جوابها ، كانت تتلجلج في صدره ، والإمام يجيبه ، وأخيراً يقول له : ( إرفع إلينا حوائجك ) وهكذا ...

ومواجهات الأئمة للسلاطين كثيرة ومن يقرأ سيرهم عليهم السّلام يجدهم على هذه الطّريقة ، يدخلون على السّلطان مرفوعي الرّأس ويستطيعون بدعائهم أو بمنطقهم أن يغيّروا إرادته في الشّر .

[1] - البحار / ج ٤٨ / ص ١٢٦ .

ولا يكتفي الأئمة بذلك فإنهم ربما واجهوا السّلاطين بكلمات قاسية شديدة اللهجة ، ليقولوا كلمة الحق أمام أولئك الطّغاة الّذين بهرتهم الدّنيا بزبرجها وأخذت عليهم عقولهم وأنستهم ذكر الله . لأنهم يرون في كل ذلك وظيفة شرعية ، يجب أن ينفذوها نصحاً وإرشاداً وتعليماً ، مهما وجدوا إلى ذلك سبيلا وسوف نورد هنا بعض الإشارات التي ندّعيها ...

يذكر المؤرخون أن عبد الملك بن مروان بلغه أن سيف رسول الله (ص) عند زين العابدين عليه السلام ، فبعث يستوهبه منه ويسأله الحاجة[1] فأبى عليه .

فكتب إليه عبد الملك يهدده ، وأنه يقطع رزقه من بيت المال ، فأجابه عليه السلام : أما بعد فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون والرّزق من حيث لا يحتسبون ، وقال جل ذكره ( إن الله لا يحب كل خوان كفور ) فانظر أينا أولى بهذه الآية [2].

فهل كان عبد الملك يتوقع كلاماً من مخلوق أشد من هذا ؟ وهو الّذي ملك الخافقين ؟ .

إنه الإمام زين العابدين عليه السلام الّذي لا يخشى أحداً إلاّ الله ، وربما كان الإمام لا يلجأ إلى تعنيف عبد الملك ، لو لم يبدأ عبد الملك نفسه بالتهديد ، وأية خصلة بائسة يتمسك بها عبد الملك فيهدد بها الإمام بقطع

[1] – أي أن الإمام يعطي عبد الملك سيف رسول الله ( ص ) على أن يقضي حاجته في مال وغيره .
[2] – البحار / ج ٤٧ / ص ٩٥ .

الرّزق ، والله يرزق من يشاء بغير حساب ؟ علماً بأن سلاح رسول الله يتوارثه الأئمة عليهم السّلام واحداً بعد آخر ، وهو من مختصاتهم لا يفرّطون به بقطع الأرزاق أو حتّى بضرب الأعناق .

ومرة أخرى يعترض عبد الملك بن مروان على الإمام زين العابدين عليه السلام ، وقد بلغه أن الإمام تزوج سرية كانت لعمه الحسن بن علي عليه السلام فكتب إليه كتاباً يستصغر شأنه ( صرت بعل الإماء ) فكتب إليه الإمام : إنّ الله رفع بالإسلام الخسيسة وأتمّ به الناقصة وأكرم به من اللّؤم ، فلا لؤم على مسلم ، إنما اللّؤم لؤم الجاهلية ، إن رسول الله ( ص ) أنكح عبده ونكح[1] أمته[2].

فلما انتهى الكتاب إلى عبد الملك ، قال لمن عنده : اخبروني عن رجل إذا أتى ما يصنع الناس لم يزده إلاّ شرفاً .

قالوا : ذاك أمير المؤمنين .

قال : لا والله ما هو ذاك .

قالوا : ما نعرف إلاّ أمير المؤمنين .

قال : فلا والله ، ما هو بأمير المؤمنين ولكنه علي بن الحسين [3] .

وعبد الملك ـــ لحقده وحسده ـــ كان ينتظر أن يجد ما يشين الإمام زين العابدين عليه السلام ، فيفضحه ، ولكن شرّه عاد إلى نحره ، فاللؤم لـؤم

---

[1] - حيث زوج بنت عمته من مولاه زيد بن حارثة .
[2] - وتزوج صفية بنت حي بن اخطب .
[3] - الكافي / ج ٥ / ص ٢٤٥ .

الجاهلية ، حيث يرى عبد الملك أن الإمام أتى منقصة في زواجه سرية ولا يعرف من الإسلام شيئاً الّذي رفع الخسيسة وأتمّ الناقصة .

ونكص الخليفة أمير المؤمنين عبد الملك حيث لا يعرف هذه المسألة الّتي هي من أوليات الإسلام .

ويخلف هشام أباه عبد الملك كما يخلف الإمام الباقر عليه السلام أباه زين العابدين عليه السلام .

وحج هشام بن عبد الملك في أيام خلافته سنة ١٠٦ وكان الإمام محمد الباقر عليه السلام في المسجد وقد أحاط به طلاب العلم ويعلمهم الأحكام والفرائض ، فصعب ذلك على هشام ، فقال لرجل من جماعته : اذهب إليه واسأله وقل له : يقول لك أمير المؤمنين : ما الّذي يأكله الناس ويشربونه في المحشر إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة ؟

فلما سأله الرّجل قال عليه السلام : قل له يحشر الناس على مثل قرص النقي[1] فيها أشجار وأنهار يأكلون ويشربون منها حتّى يفرغوا من الحساب.

وكان هشام يقصد من وراء هذا السؤال أن يظفر بشيء يستطيع به أن يضع من منزلة الإمام في ذلك المجتمع ولو من باب المغالطة لأنه حانق عليه ، فلما رجع الرّسول إليه بما أجابه الإمام ظن هشام أنه ظفر بما أراد ونجح بما دبر فقال : الله أكبر ، اذهب إليه فقل له يقول لك : ما أشغلهم عن الأكل والشّرب يومئذٍ ؟

---

[1] - النقي كغني : أرض بيضاء .

فقال : أبو جعفر الباقر عليه السلام هم في النار أشغل و لم يشغلوا عن أن قالوا : أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، فسكت هشام وعرف فضل الإمام[1] .

وذلك دأب الخلفاء أمراء المؤمنين ، حيث يشعرون بعقدة النقص في كل فضيلة ، فإنهم يحاولون أن يحرجوا الأئمة عليهم السّلام في مسألة ما لكي يشهّروا بهم وستظهر قدرتهم العلمية كما يظنون .

ولكنهم دائماً يبوؤن بالفشل والخسران ويودون أنهم لم يبدأوهم بذلك وتبقى النفوس خبيثة حاقدة تبحث عن متنفس لها فلا تجد ، فيزداد خبثهم ويقتلهم الحسد .

والمجابهة العنيفة ربما كانت مع ولاة الخليفة ، وهي لا شك سوف تصيب كأس الخليفة نفسه .

والإمام وكلمة الحق الّتي يقولها لا يهمه أن يواجه بها الخليفة أو وكيله فكلاهما سواء من حيث الظّلم والتّعسف والتّعدي على حقوق المسلمين .

عندما قتل محمد وإبراهيم إبنا عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السّلام صار إلى المدينة رجل يقال له شيبة بن غفال ، ولاّه المنصور على أهلها ، فلما قدمها وحضرت الجمعة ، صار إلى مسجد النبي ( ص ) فرقى وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

---

[1] - الصّادق والمذاهب الأربعة / أسد حيدر / ج ١ / ص ١٢٣ .

أما بعد فإن علي بن أبي طالب شق عصا المسلمين وحارب المؤمنين وأراد الأمر لنفسه ومنعه أهله ، فحرّمه الله عليه وأماته بغصّته ، وهؤلاء ولده يتبعون أثره في الفساد وطلب الأمر بغير استحقاق له ، فهم في نواحي الأرض مقتولون وبالدماء مضرجون .

فعظم ذلك على الناس و لم يجسر أحد منهم أن ينطق بحرف ، فقام إليه الصّادق عليه السلام فقال : ونحن نحمد الله ونصلي على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى رسل الله وأنبيائه أجمعين ، أما ما قلت من خير فنحن أهله وما قلت من سوء فأنت وصاحبك به أولى ، فاختر يا من ركب غير راحلته وأكل غير زاده ، إرجع مأزوراً .

ثم أقبل على الناس فقال : ألا أنبئكم بأخلى الناس ميزاناً يوم القيامة وأبينهم خسراناً ، من باع آخرته بدنيا غيره وهو هذا الفاسق ، وخرج الوالي من المسجد لم ينطق بحرف[1] .

ولا شك أن الإمام عليه السلام كان يقصد أن يكسر حاجز الخوف لدى الناس الّذين كانوا ساكتين يخافون أن يعترضوا على والي المنصور الّذي كان قد قتل محمداً وإبراهيم قبل عدة أيام وشحن المدينة خوفاً ورعباً .

ولكن ما بال هذا الوالي وكأنه غريب عن المدينة وتأثير الأئمة عليهم السلام فيها وما احمقه عندما يتكلم بهذا الهراء في مسجد النبي (ص) وفي حضرة الإمام عليه السلام .

[1] - البحار / ج ٤٧ / ص ١٦٥ .

ربما كان هذا الوالي الخبيث يريد أن يثبت للمنصور مقدرته وتدبيره وسياسته وسيطرته على الناس واستحواذه على المعارضة ، فجاءته صفعة قوية جعلته لا يدري ماذا يجيب .

فخرج من المسجد مذموماً خائفاً يترقب من يلحقه وينتف لحيته .

وفي قضية أخرى نرى الإمام الصّادق يوجه أقوى صفعة لأقوى خليفة عباسي على الإطلاق ، ويتلقى المنصور تلك الصّفعة مذهولاً ، لا يدري ماذا يجيب ؟ لأن صفعة الإمام كانت بحق ولأن هيبة الإمام كانت أقوى من أن يتحداها أحد ، حتّى لو كان المنصور .

جاء في حلية الأولياء أن المنصور استدعى الإمام الصّادق يوماً وأجلسه إلى جانبه يحادثه بكل إجلال واحترام ، فوقع الذّباب على وجه المنصور و لم يزل يقع على وجهه وأنفه حتّى ضجر منه المنصور .

فقال : لم خلق الله الذّباب يا أبا عبد الله ؟

فقال الصّادق : ليذلّ به أنف الجبابرة

فوجم المنصور ، وتغير لونه و لم يتكلم معه بما يسيء إليه كلمة واحدة[1] .

ولمرات عديدة قلنا إن الأئمة عليهم السّلام كلهم على شاكلة واحدة ومنوال واحد ، لا يختلفون في القضية الواحدة ، ونظرتهم كلهم إلى الخلفاء واحدة ، وكذلك في مواجهتهم لهم وتحديهم إياهم .

[1] - البداية والنهاية / ج ١٠ / ص ١٨٣ .

وسوف نختم هذا الفصل بقضية عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام تقول القضية :

أرسل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وهو في السّجن رسالة إلى هارون يعرب فيها عن سخطه البالغ عليه، وهذا نصها ( إنه لن ينقضي عني يوم من البلاء حتّى ينقضي عنك يوم من الرّخاء حتّى نفنى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء ، وهناك يخسر المبطلون )[1] .

❀❀❀

[1] - كشف الغمة / ج ٣ / ص ٢٢٢ / وأعلام الورى / ص ٣٥٤ .

## الإمام زين العابدين عليه السلام
## أيقظ في النفوس الثورة على الظّالمين

قلنا في بداية الكتاب إننا سوف نقتبس بعض الشّذرات من حياة الأئمة السّياسية، بعضها وليس كلها ، فلسنا نستطيع أن نأتي عليها جميعاً.

وذكرنا أن هناك شبهة ، تقول إن الأئمة بعد مقتل الحسين عليه السلام انصرفوا لغير السّياسة ، للعلم ، للأحكام ، للعبادة وما إلى ذلك .

ربما كان ذلك صحيحاً على أساس أنهم عليهم السّلام لم يشتركوا في ثورة من الثورات سواء في عهد بني أمية أو بني العباس ، ولكن ليس معنى ذلك أنهم لم يكن لهم رأي فيما يمت بالسياسة بصلة .

ففي كتابنا هذا ذكرنا كثيراً من المواقف للأئمة عليهم السّلام في شؤون السّياسة والدّولة والحكم .

أما لماذا لم يثوروا بأنفسهم أو يشتركوا أو يؤيدوا الثورات التي قامت في وجه السّلاطين ، فذلك له حديث سنفرد له فصلاً خاصاً إن شاء الله .

ولعل الشّبهة تلك توجه ــ بصورة خاصة ــ للإمام زين العابدين عليه السلام ، على أساس أنه انصرف للعبادة والدّعاء وترك الأمور لتصريف الرّياح ، ولكن لو أمعن الإنسان ، لتأكد له أن للإمام زين العابدين عليه السلام تأثيراً مهماً في الثورات التي انطلقت في وجه بني أمية ، سواء في الكوفة أو المدينة ، وربما في الثورات التي حدثت بعد ذلك أيام العباسيين ، التي كانت ترفع شعار الرّضا من آل البيت . فإن الإمام زين العابدين عليه السلام

وإن لم يشترك في الثورات تلك ، فإنه أجّجها بأسلوبه الخاص ، والّذي سوف نتحدث عنه بإسهاب إن شاء الله ، ونرجو من الله أن يوفقنا لإعطاء الموضوع حقه .

والإمام زين العابدين عليه السلام عاش مأساة أبيه وأهل بيته جميعها ، وهو أفضل من يرويها ، لأنه شاهد جميع فصولها من البداية إلى النهاية وإن لم يشترك فيها لمرضه الّذي أقعده عن حمل السّيف ، ثم بدأ بعدها فصلاً آخر حين أخذ هو وأهل بيته كأسارى إلى الكوفة ، ومن ثم إلى الشّام ، وحطّ بهم الرّحال في المدينة .

ومنذ اليوم الأول الّذي استشهد فيه أبوه الحسين عليه السلام ، بدأت إمامته وبدأت مهمته الشّاقة في حمل أعباء الإمامة بكل مشاكلها وتعقيداتها ومرارتها في جو خانق يملأه الحاقدون خوفاً ورعباً وإرهاباً ووحشية ، وقد شاء الله أن يكون مريضاً يوم الطّف ليحفظ الله فيه نسل أبيه الحسين وليحفظ منصب الإمامة الّتي نصّ عليها رسول الله ( ص ) .

ولعل أول مواجهة له مع الطّغاة ، كانت في مجلس عبيد الله بن زياد في الكوفة ، حيث قال له عبيد الله من أنت ؟

قال : أنا علي بن الحسين .

فردّ عليه بقوله : أليس قد قتل الله علي بن الحسين ؟

فأجابه الإمام : كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس .

فقال ابن زياد : بل الله قتله .

فقال الإمام : الله يتوفّ الأنفس حين موتها .

فغضب ابن زياد وقال : أبك جرأة على رد جوابي ؟ وأمر جلاوزته بقتله ، فتعلقت به عمته زينب واعتنقته وقالت : يا ابن زياد حسبك من دمائنا ما سفكت ، والله لا أفارقه ، فإن أردت قتله فاقتلني معه ، فرقّ لها وتركه[1] .

ولنستمع إلى أول خطبة للإمام بعد مأساة كربلاء ، وقد تجمع أهل الكوفة ينظرون إلى الأسارى شفقة أو استطلاعاً أو شماتة ..

أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أنا ابن من انتهكت حرمته وسلبت نعمته وانتهب ماله وسبي عياله ، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ترات ، أنا ابن من قتل صبراً وكفى بذلك فخراً .

أيها الناس : ناشدتكم الله ، هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهود والميثاق والبيعة وقاتلتموه ، فتباً لكم لما قدمتم لأنفسكم وسوأة لرأيكم ، بأية عين تنظرون إلى رسول الله إذ يقول لكم قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي [2] .

ولندقق في الخطبة ، هل فيها ذكر صريح لبني أمية ؟ ( وهم الّذين قتلوا الحسين وأهل بيته ) فإنه لم يذكرهم صراحة ، ولكنه ذكر القتل

[1] - سيرة الأئمة الإثني عشر / ج ٢ / هاشم معروف الحسني / ص ١١٩ .
[2] - مقتل الحسين / المقرم / ص ٣١٦ .

وذكر المأساة وذكر انتسابه لرسول الله ، وتلك إلتفاتة جميلة جداً ، كان الإمام قد دأب عليها عندما رجع إلى المدينة ، فقد كان يذكر أباه ومأساته وواقعة الطّف ، وما جرى فيها من إنتهاك ، ولكنه لا يذكر الفاعلين صراحة وهم ( بنو أمية ) وهذه طريقة بليغة جداً . فهو لا يشخّص المجرمين ولكنه يشخص الجريمة وهو كاف في تحقيق الهدف فإن الناس يعرفون الجناة .

نعم عندما كان في الشّام ، كان يخاطب يزيداً ويوجه إليه اللوم فالأمر هناك يختلف عما في المدينة وعما في الكوفة .

وإذا كان علي بن الحسين عليه السلام قد ألهب في مجتمع الكوفة الحقد على بني أمية ، فإن لعمته زينب فضلاً عظيماً ، فلقد ساهمت رضوان الله عليها في إثارة النفوس على بني أمية أينما حلت وارتحلت ، في الكوفة والشّام والمدينة وربما في مصر أيضاً كما تنقل بعض الرّوايات .

وفي خطبها النارية وخطب ابن أخيها ، استطاعت أن تُبقي مأساة الطّف قضية متأججة الأوار على مر التّاريخ ، ولولا ابن أخيها زين العابدين لذهبت مأساة الحسين أدراج الرّياح ، ولعمل بنو أمية وجميع الحاقدين على طمس معالمها وتغيير صورها كما يشاؤون .

وإذا علمنا أن ثورة الحسين عليه السلام كانت أول ثورة في تاريخ الإسلام لتفضح الحكم القبلي ولتنبّه الناس إلى الانحراف الّذي صار إليه حكام بني أمية ، إذا علمنا ذلك ، تأكد لدينا كم كانت لطريقة العقيلة زينب وابن

أخيها زين العابدين في خطبه ودعائه وسلوكه من تأثير في إدامة الرّوح الاستشهادية في سبيل الإسلام وضد الطّغاة المنحرفين .

وقد ألهب الإمام زين العابدين عليه السلام في أهل الكوفة بالذات الشّعور بالإثم حيث كتبوا لأبيه الحسين بالقدوم إليهم ثم خذلوه ، وقد قدر لهذا الشّعور بالإثم أن يبقى مشتعل الأوار حافزاً دائماً إلى الثورة والانتقام ، وقدر له أن يدفع الناس إلى الثورات على الأمويين كلما سنحت الفرصة ثم لا يرتوي ولا يهدأ ولا يستكين[1] .

وانبعثت الرّوح النضالية في الأمة ، وبدأت تتحين الفرص المناسبة لتقوم بثورة ضد بني أمية ثأراً لدم الحسين عليه السلام ، وبالفعل فلقد كانت ثورة التّوابين في الكوفة بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي ثأراً لدم الحسين ورداً لاعتبار أهل الكوفة الّذين خذلوا الحسين . وكذلك ثورة المختار الثقفي وثورة زيد بن علي زين العابدين ، وثورة أهل المدينة والّتي هي ليست كثورات أهل الكوفة للأخذ بثأر الحسين ، ولكنها لا شك كانت نتيجة لخطب الإمام زين العابدين عليه السلام وطريقته الخاصة في كل مناسبة .

وسوف نتطرق بشيء من التّفصيل للحديث عن ثورة أهل المدينة بالذات إن شاء الله ، بقدر ما يتعلق الأمر بالإمام زين العابدين عليه السلام .

ولقد ذكرنا قبل قليل كيف واجه الإمام بعنف أمير الكوفة عبيد الله بن زياد وكيف خاطب أهل الكوفة الّذين احتشدوا لرؤية هذه الحالة

[1] - الأئمة الإثنى عشر / عادل الأديب / ص ١٤٤ .

الفريدة الّتي تمثلت بأسارى أهل بيت الرّسول ( ص ) وكيف أثار فيهم روح التّوبة والندم والأخذ بالثأر .

وتحرك ركب الأسارى ، نساء وأطفال وفيهم الإمام علي بن الحسين عليه السلام الأبن الوحيد للحسين الّذي سلم من القتل ، ومع ذلك فقد كان مقيداً بسلاسل الحديد والجامعة في عنقه ، ودخلوا الشّام .

وجيء برؤوس الشّهداء يتقدمهم رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد ، فكان بيده قضيب يضرب به فم الحسين وهو يقول متشفياً :

لعبت هاشم بالملك فلا		خبر جاء ولا وحي نزل

وكان قد سبق وصول موكب الأسارى إلى الشّام حملة إعلامية مضللة تقول إن أولئك السّبايا هم من الخوارج ، خرجوا على ( الخليفة أمير المؤمنين ) يزيد بن معاوية وجيء الآن بنسائهم وأطفالهم وأوقفوا على درج باب المسجد ، حيث يقام السّبي . وإذا بشيخ قد أقبل حتّى دنا من الإمام زين العابدين وقال له : ( الحمد لله الّذي قتلكم وأهلككم وأراح الرّجال من سطوتكم وأمكن ( أمير المؤمنين يزيداً منكم ) .

فقال له الإمام زين العابدين : يا شيخ هل قرأت القرآن ؟

فقال : نعم قد قرأته .

قال الإمام : فعرفت هذه الآية ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى ﴾ ؟

قال الشّيخ : قد قرأت ذلك .

قال الإمام : فنحن القربى يا شيخ ، فهل قرأت في سورة بني إسرائيل ( وآت ذا القربى حقه )

قال الشيخ : قد قرأت ذلك .

فقال الإمام : نحن القربى يا شيخ

ولكن هل قرأت هذه الآية : (وأعلموا أنّما غنمتم من شيء فــإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى) .

قال الشّيخ قد قرأت تلك .

قال الإمام : فنحن ذوو القربى يا شيخ ، ولكن هل قرأت هذه الآية ﴿إنما يريد الله ليُذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ .

قال الشّيخ : قد قرأت ذلك .

قال الإمام : فنحن أهل البيت الّذين خُصصنا بآية التّطهير .

فبقي الشّيخ واجماً نادماً على ما تكلم به ثم رفع رأســه إلى السّــماء وقال : اللّهم إني تائب إليك مما تكلمته ومن بغض هؤلاء القوم ، اللّهــم إني أبرأ إليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والأنس[1] .

كان هذا أول حدث واجهه الإمام زين العابدين عليه السلام في الشّــام ، البلد الأموي عاصمة الخلافة الأموية ، ومقر (الخليفة يزيد) ... ولا شك أن الإمام عليه السلام عرف واقع الشّيخ من سحنته ومن أسلوبه أنه مغرّر بــه ومضلل ، وليس بعيداً أنه كان من المقربين للسلطان ، حيث استطاع أن يتقرب إلى الإمام ويتكلم معه ملياً .

[1] - الفتوح / اعثم الكوفي / ج ٣ / ص ١٥١ – ١٥٢ والخوارزمي في مقتله ج ٢

ولا نستبعد أن جلاوزة يزيد كانوا قد ضربوا طوقاً حول موكب الأسارى لئلاّ يحدث ما لا يحسن عقباه .

وكم سيكون تأثير هذا الشّيخ قوياً في جماعته والقريبين إليه ، والناس في ذلك اليوم وفي مثل تلك الحالات يتوقعون أحداثاً سريعة وأخباراً حول هؤلاء الأسرى الّذين يطرقون الشّام بهذه الكيفية وهذه الأهمية البالغة الّتي كان يزيد قد أمر الناس بأن يظهروا الزّينة والفرح لهذا النصر الجديد .

فمن هؤلاء ؟ ومن يكونون ؟ ومن أي بلاد جاؤوا ؟ والمعلومات والأخبار تنتقل بينهم بسرعة البرق .

وتوضح ذلك للشيخ أن هؤلاء ليسوا خارجين على يزيد ـ كما قيل لهم ـ وليس هم من سائر الناس ، وإنما هم من ذرية رسول الله (ص) أولاده وبناته وذراريه ، إنهم المذكورون في القرآن الكريم الّذي يحث على مودتهم والإحسان إليهم .

والإمام زين العابدين (عليه السلام) ، عرف أن هذا الشّيخ مغرر به ، فخاطبه بما يوضح له الأمر ويؤثر فيه ، وما خاطبه بعنف ولا رَدَعه ، بل ولا سكت عن جوابه في مثل هذه الحالات المتشنجة ، وهم في بداية دخولهم بلد أعدائهم ( الشّام ) ، وإنما أجابه بلطف وذكّره بآيات الله في القرآن الكريم ، وأصيب الشّيخ بصدمة ، ندم على ما صدر منه ، واعتذر ، ثم تبرأ من عدو آل محمد ، وهو هذا الّذي كان يتوخاه الإمام (عليه السلام) أن يتبرأوا من عدو آل محمد .

ثم دعا يزيد بن معاوية أشراف الشّام ووجوهها وأجلسهم حوله وأمر بإدخال علي بن الحسين والرّؤوس والسّبايا فأدخلوهم عليـــه مـــربطين بالحبال واستغل الإمام عليه السلام هذه الحالة الّتي هم فيها واستغل هذا الجمـــع الكبير (مجلس يزيد الّذي يضم وجوه وأشراف أهل الشّام) ليلقي علـــيهم قنبلة من الكلام تأزّهم أزّاً وتهز كيانهم وتضربهم في صميم قلوبهم ، إن هم إلاّ دُمى دعاهم الطّاغية يزيد ليتفرجوا على النصر المؤزر الّذي حقّقه في قتل ذرية الرّسول ( ص ) وكان قد ضلّلهم وأخبرهم أنهم سبايا لخوارج خرجوا على حكمه .

والإمام عليه السلام لم يجد مكاناً أفضل من هذا في أول لقاء مـــع يزيـــد الطّاغية ، فليوجه كلامه إلى يزيد بقوة وعنف وليكسر حاجز الخـــوف والرّهبة ، وليعلم أولئك جميعاً أن يزيداً إرتكب أكبر جريمة في التّـــاريخ ، وليس كما أشاع فيهم من ضلال وبهتان .

فقال الإمام ليزيد : أنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله لو رآنـــا على مثل هذه الحالة ؟

فلم يبق أحد ممن كان حاضراً إلاّ بكى ، فأمر يزيد بالحبال فقطعت.

فالإمام عليه السلام استغل المكان والتّجمع ، واستغل أفضل كلمة تناســـب هذا المقام ( ما ظنك برسول الله لو رآنا على مثل هذه الحالة ؟ ) .

فقد أظهر للناس بسرعة ، قبل أن يتكلم يزيد ، أنهم مرتبطون برسول الله وليس كما قال لهم يزيد وأن يزيداً ارتكب جريمة نكراء في شـــدهم

بالحبال الّتي لا يرضى عنها رسول الله لو رآهم ، ثم نراه إنه لم يخاطب يزيداً بإمرة المؤمنين ، كما كان يدعي ، وإنما خاطبه بإسمه ، حيث اسقط هيبته لدى الحاضرين الّذين بدأوا يبكون لما يرون .

ويعتبر هذا نصراً للإمام على عدوه يزيد ، حيث انكسر هنا وخسر خسراناً مبيناً .

والتفت يزيد إلى علي بن الحسين وقال : أبوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيت .

فقال الإمام : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ .

فقال يزيد لإبنه خالد : ردّ عليه ، فلم يدر خالد ما يقول ، فقال له يزيد قل له ﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ .

فقال له الإمام : يا ابن معاوية وهند وصخر ، لم تزل النبوة والإمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد ، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب في بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله ( ص ) وأبوك وجدك في أيديهما راية الكفار ، ويلك يا يزيد لو تدري ما صنعت وما الّذي ارتكبت من أبي وأهل بيته لهربت في الجبال وافترشت الرّمال ودعوت بالويل والثبور فأبشر بالخزي والندامة إذا اجتمع الناس ليوم الحساب ...

فلقد حطم الإمام عليه السلام كبرياء يزيد الّذي كانت راية المشركين بيد أبيه وجده في حربهم لرسول الله ( ص ) وأنه ارتكب جريمة نكراء في مقتل الحسين وأهل بيته .

ووجد يزيد أنه قاصر عن أن يجابه الإمام بكلام ، فأوعز إلى من يتصور إنه يحسن الكلام والرّد .

فصعد هذا المنبر ونال من علي والحسن والحسين وأثنى على معاوية .

فقال له الإمام السّجاد : ويلك أيها المتكلم لقد اشتريت مرضات المخلوق بسخط الخالق فتبوّء مقعدك من النار .

ثم التفت إلى يزيد وقال : أتسمح لي أن أصعد هذه الأعواد وأتكلم بكلمات فيها لله رضا ولهؤلاء الجلوس أجر وثواب ؟

فلم يأذن له يزيد بذلك .

فقال له من في المجلس : أتأذن له يا أمير لنسمع ما يقول .

فردّ عليهم يزيد : إذا صعد المنبر لا ينزل إلاّ بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان .

فقيل : وما قدر ما يُحسن هذا الغلام ، ولم يزالوا به حتّى أذن له ، فصعد المنبر ...

وحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ، لقد أعطينا ستاً وفضلنا بسبع أعطينا العلم والحلم والسّماحة والفصاحة والشّجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين ، وفضلنا بأن منا النبي المختار (ص) ومنّا الصّدّيق ومنّا

الطّيار ، ومنّا أسد الله وأسد رسوله ومنّا سيدة النساء ومنّا سبطا هــذه الأمة .

ثم قال : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي ، أنا ابن مكة ومنى أنا ابن زمزم والصفا أنا ابن من حمل الــرّكن بأطراف الرّداء ، أنا ابن خير من أتزر وارتدى ، أنا ابن خير من طــاف وسعى ، أنا ابن من حج البيت الحرام ولبّى ، أنا ابن من حــمل علــى البراق في الهوا ، أنا ابن من أسري به من المسجد الحــرام إلى المســجد الأقصى ، أنا ابن من بلغ به جبريل إلى سدرة المنتهى أنا ابن من دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلى بملائكة السماء ، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى ، أنا ابن محمد المصطفى وابن علي المرتضى ، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتّى قالوا لا إله إلاّ الله ، أنا ابــن مــن ضرب بين يدي رسول الله بسيفين وبايع البيعتين وطعن برمحين وهــاجر الهجرتين وقاتل ببدر وحنين ولم يكفر بالله طرفة عين .. أنا ابن فاطمــة الزّهراء سيدة النساء وابن خديجة الكبرى أنا ابن المرمل بالدماء ، أنا ابــن ذبيح كربلاء[1] ... ولم يزل يقول أنا أنا ويعدد على الحضور مآثر جديــه رسول الله وأمير المؤمنين وأبيه أبي عبد الله .

ويذكر ما جرى في طف كربلاء حتّى ضج الناس بالبكاء والنحيب .

[1] – الطّبرسي / الاحتجاج / ج ٢ / ص ٤٩ / المقرم / مقتل الحسين ص ٣٥٢ .

وخشي يزيد أن ينتقض أهل الشّام عليه فأمر المؤذن أن يؤذن ليقطع حديثه .

فلما قال المؤذن : الله أكبر.

قال الإمام عليه السلام لا شيء أكبر من الله .

ولما قال : أشهد ألاّ إله إلاّ الله .

قال الإمام : شهد بها لحمي ودمي وبشري وشعري .

ولما قال : أشهد أن محمداً رسول الله .

التفت الإمام عليه السلام إلى يزيد وقال : محمد هذا جدي أم جدك ؟

فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت ، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت أبي ظلماً وعدواناً وانتهبت ماله وسبيت نساءه فويل لك يوم القيامة إذا كان جدي خصمك .

كان حديث الإمام في الكوفة موجهاً لأهلها الذين كتبوا إلى الحسين بالقدوم إليهم ، ثم خذلوه ، فكان الإمام زين العابدين عليه السلام يؤنبهم ويثير فيهم روح الندم والتوبة ، ليثوروا في وجه الظالمين .

وأهل الكوفة يعرفون الإمام السّجاد ويعرفون نسبه حق المعرفة ، فلقد عاش فيهم جده أمير المؤمنين عليه السلام ردحاً من الزّمن ومن بعده عمه وأبوه وكانت نساء الكوفة يعرفن زينب عليها السّلام .

وفي جميع الأحوال كان أهل الكوفة يعرفون أهل البيت وإن خذلوهم وكان أهل الشّام يختلفون عن أهل الكوفة ، فقد كان بنو أمية قد ملأوا

أذهانهم بأن علي بن أبي طالب شخص خارجي ، وكانوا يلعنون أبا تراب من على منابرهم .

ويوم ثار الحسين في بداية عام ٦١ ، كان لعن أمير المؤمنين الّذي سنّه معاوية قد دخل عامه العشرين ، وقد شاب كبيرهم ونشأ صغيرهم على هذا حتّى غدا أكثرهم لا يعرفون علياً إلاّ أنه رجل من العراق من أهل الشّقاق ، حارب ( أمير المؤمنين معاوية ) فنصر الله معاوية عليه !!

ولذلك فإن مهمة الإمام زين العابدين في الشّام كانت تختلف عما كان في الكوفة ، فنراه في الشّام يبدأ بتعريف نفسه ، فلم يقل في بداية حديثه إنه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فهذا نسب لا يثير فيهم عواطفهم إن لم يكن يثير فيهم الإشمئزاز .

بدأ حديثه : أيها الناس أعطينا ستاً وفضلنا بسبع ، منّا النبي المختار ... إلخ ثم ذكرّهم بمقدسات المسلمين ( مكة وزمزم والرّكن والحج والسّعي والإسراء ) .

وكلها مما يعرفونه ، وربما يقرأونه في القرآن ، فهو ابن هذه جميعها ، ابن خير من طاف وسعى وحج ولبّى .. ولا شك أن كلمات كهذي تجعل الأسماع تصيخ إليها وتذكرها بمواقع الرّسول ومعجزاته ثم هو ابن فاطمة الزّهراء سيدة النساء وابن خديجة الكبرى ، وعندما بلغ في تعريفهم بهذا النسب الشّريف ، ذكر إنه ابن المرمّل بالدماء ذبيح كربلاء الّذي قتل بأمر يزيد بن معاوية .

كانت كلماته صيحات وإثارات ، وكلها سهام قوية موجهة ليزيد ويزيد بعد هذا ما عساه يقول ويردّ على زين العابدين ؟

هل يستطيع أن ينكر أن علياً هذا ليس من ذرية الرسول ( ص ) الذي هو نبي المسلمين ؟

إنها طامة لم يكن يزيد يتوقع أنها سوف تسقط على رأسه ، كان يقول لهم : إن هؤلاء قوم من الخوارج إنتصر عليهم ، أما الآن فقد توضّح أنهم اشرف الناس ، وأنهم ذرية رسول الله ( ص ) .

وفقد إتزانه ، وأسرع فأمر المؤذن أن يقطع حديث السّجاد عليه السلام بأذانه ، ولكن حتّى الأذان كان طامة كبرى ، عندما قال المؤذن اشهد ألاّ إله إلاّ الله ، قال الإمام : شهد بذلك لحمي ودمي ...

وعندما قال المؤذن : اشهد أن محمداً رسول الله ، قال له : يا يزيد محمد جدي أم جدك ؟

وأهل الشّام إذا كانوا لا يعرفون علياً ويلعنونه ، فهم لاشك يعرفون أن محمداً رسول الله، وهو جد هذا الغلام ( السّجاد ) ، فلماذا قتل يزيد أباه؟

وإذا أراد يزيد أن يكابر ويقول إنه جدي ، فقد كذب ، كان كل ذلك صفعات أقوى من السّهام ، أفقدته عقله وإتزانه ، فجعل يتخبّط في تصرفاته .

وإنه من المناسب جداً أن نذكر خطبة العقيلة زينب عليها السّلام ، فإنها شاركت ابن أخيها زين العابدين في فضح آل أبي سفيان ، فقد قالت: ﴿ الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول ﴿ ثم كان عاقبة الّذين أساؤا السّوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ﴾ أظننت يا يزيد أنك أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السّماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى إن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة وإن ذلك لعظم خطرك عنده ! فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك ، جذلان مسروراً ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأمور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلا ، أنسيت قول الله تعالى ﴿ ولا تحسبنّ الّذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ) .

أمن العدل يا ابن الطّلقاء ، تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن ، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل ويتفصح وجوههن القريب والبعيد والدّنيّ والشّريف ، ليس معهن من حماتهن حمي ولا من رجالهن ولي وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه اكباد الأزكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشّنآن ، والإحن والأضغان ، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلّوا واستهلوا فرحاً　　　　ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله سيّد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك ، وقد نكأت القرحة واستأصلت الشّأفة بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وهتف بأشياخك ، زعمت أنك تناديهم فلتردنّ وشيكاً موردهم ولتودنّ أنّك شللت وبكمت و لم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت .

اللّهم خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا .

فوالله ما فريت إلاّ جلدك ، ولا حززت إلاّ لحمك ، ولتردنّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحمّلت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعثهم ، ويأخذ بحقهم ( ولا تحسبن الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ) .

وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً .

ولئن جرّت علي الدّواهي مخاطبتك ، إني لأستصغر قدرك واستعظم تقريعك ، واستكثر توبيخك لكن العيون عبرى ، والصّدور حرى .

ألا فالعجب كل العجب ، لقتل حزب الله النجباء ، بحزب الشّيطان الطّلقاء ، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا ، والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطّواهر الزّواكي تنتابها العواسل ، وتعفرها أمهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنماً ، لتجدنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلاّ ما قدمت يداك وما ربّك بظلام للعبيد ، وإلى الله المشتكى وعليه المعوّل .

فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها ، وهل رأيك إلاّ فند وأيامك إلاّ عدد ، وجمعك إلاّ بدد ، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظّالمين .

والحمد لله رب العالمين ، الّذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ، ولآخرنا بالشهادة والرّحمة ، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة ، إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل[1] .

أي تقريع هذا ؟ وأية صواعق هذه ؟ وأي كلام يمكن أن يكون أحسن من هذا ؟ في هذا المقام ؟

لقد كان إعلام يزيد يقول لأهل الشّام : إن هؤلاء خوارج ، فكيف انقلب الأمر ، إنهم الآن ذرية رسول الله ، وإن المقتول هو سيد شباب أهل الجنة ، وإن هذه المرأة تخاطب يزيد باسمه وليس بلقب ( أمير المؤمنين) كما يفتري ، وأوضحت أن يزيداً وأباه من الطّلقاء في الإسلام ،

[1] - عبد الرّزاق المقرم / مقتل الحسين / ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

وأنه ابن آكلة الأكباد ، حيث أكلت هند أم معاوية كبد سيد الشّهداء حمزة عم النبي ( ص ) إن هذه الخطبة ومن قبلها خطبة الإمام زين العابدين جعلت الدّنيا مظلمة في عينه ، يخشى أن يفسد عليه أهل الشّام ، فلم ير أفضل من أن يسرّح الموكب إلى المدينة في محاولة يائسة منه لرأب الصّدع الّذي خلفه في الشّام .

❁❁❁

# الإمام زين العابدين في طريقه إلى المدينة

والإعلام دائماً يأتي في مقدمة الأعمال ، في الحرب والسّلم ، في الخير والشّر في التّضليل والتّبرير ، في خدمة شريعة الله وفي خدمة أهواء الشّيطان ، ولقد رأينا كيف أن بني أمية قد سبقوا موكب أسارى آل البيت بحملة إعلامية مضللة في الشّام ، ولكن الإمام زين العابدين وعمته استطاعا أن يحطّما تلك الإسطورة ، أسطورة الخوارج ويظهرا الأمور على حقيقتها . حيث بدا الإمام بتحطيم تلك الأسطورة في أول لحظة من دخوله الشّام ، ثم هو وعمته زينب عليهما السلام في قصر يزيد نفسه .

و لم تتحطم تلك الأسطورة فقط بل انقلبت الموازين رأساً على عقب فانكشف يزيد أنه ابن الطّلقاء ، وأن الأسارى هم آل الرّسول (ص) وأن المقتول في العراق هو سيد شباب أهل الجنة ، حفيد رسول الله (ص) وأنّ هنداً أم أبيه أكلت كبد عم رسول الله حمزة وأن وأن ... وهكذا ما لم يعرفه أهل الشّام .

وقلنا إن يزيداً استعجل في أن يرحل موكب الأسارى إلى المدينة لتصوره بأنه سوف ينقذ وضعه في ذلك ، وما كان يدري أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام سوف يجد في مدينة جده رسول الله ( ص ) متسعاً من العمل والتّأثير ، فلا تمرّ فترة حتّى تثور المدينة بأسرها وتحطم كبرياء يزيد وبني أمية قاطبة ، بعد أن ثارت عليه الكوفة الّتي بذر فيها الإمام بذرة

الثورة على الظّلم ، حيث كانت ثورة التّوابين ( سليمان بن صرد الخزاعي والمختار ) وغيرهما ، وثورة المدينة الّتي عجلت بالقضاء على حكم يزيد وهزيمته . وهذا يجعلنا نؤمن بأن العمل السّياسي للإمام وغيره من الأئمة عليهم السّلام لا يشترط أن يكون بحمل السّيف وإن كان ذلك للحسم ولكن هناك أساليب أخرى إن كانت أقل من السّيف خطورة فهي في أوليات العمل التّغييري ، وهذا ما كان يستعمله الإمام زين العابدين والأئمة الّذين جاؤوا من بعده ، حيث لم تتهيأ لهم الظّروف للتحرك بالسيف ، فانصرفوا للعلم والعبادة ومواصلة الناس ، ولكن ليس كل عملهم كان ذلك ، فالوضع الفاسد الّذي عاشوه أيام بني أمية ومن ثم أيام بني العباس كان يأخذ من اهتمامهم الكثير .

فكانوا يتبعون أساليب متعددة ، إن لم تكن تستطيع أن تغير الوضع فلا أقل من حفظ الإيمان في نفوس المسلمين وتعليمهم بأن الحكم القائم ليس حكماً إسلامياً وإنما هو مظاهر يريدها السّلاطين لحفظ مناصبهم ودنياهم .

وعلى كل حال ، فلقد تحرك الموكب إلى المدينة وفي مفترق الطّرق إلى العراق والحجاز ، ذهبوا إلى كربلاء ليجددوا عهداً بالشهداء ، ثم عرّجوا إلى مدينة جدهم .

وهنا لا بدّ أن يعمل الإعلام الشّريف عمله ، فيذكر المؤرخون أن الإمام زين العابدين عليه السلام لما أصبح قريباً من المدينة حط رحله وضرب

فسطاطه وأنزل النساء فيه وكان معه ( بشر بن حذلم ) فقال له : يا بشر رحم الله أباك ، لقد كان شاعراً ، فهل تقدر على شيء منه ؟

قال : بلى يا ابن رسول الله .

قال : فادخل المدينة وأنع أبا عبد الله .

قال بشر : فركبت فرسي ومضيت حتّى دخلتها ، فلما بلغت مسجد النبي ( ص ) رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرج والرّأس منه على القناة يدار

ثم قلت : يا أهل المدينة هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه .

فلم تبق في المدينة مخدّرة إلاّ وبرزت من خدرها ، ولم يبق في المدينة أحد إلاّ وخرج وهم يبكون ويندبون .

قال بشر بن حذلم: وبعد أن نعيته لأهل المدينة ، ضربت فرسي ورجعت فوجدت الناس قد أخذوا الطّرق والمواضع ، فنزلت عن فرسي وجعلت أتخطّى الرّقاب حتّى دنوت من الفسطاط الّذي فيه الإمام علي ابن الحسين ، فخرج بعد أن ازدحم الناس حول فسطاطه ، خرج معه خرقة يمسح به دموعه وأخرج له الخادم كرسياً وضعه له ، وجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة وارتفعت أصوات الناس بالبكاء من حوله يعزّونه بأبيه .

وهنا يبدأ دور آخر للإمام لا بد أن يؤديه ، ففي الكوفة كان الناس قد خذلوا الحسين عليه السلام فكان لا بدّ للإمام أن يؤنبهم ويذكي فيهم روح التّوبة والندم والأخذ بالثأر .

وفي الشّام ، حيث كان الناس مخدوعين بكلام يزيد وسلطته ، إن هؤلاء خوارج ، كان لا بدّ أن يعرّف نفسه في البداية ( أنا ابن .... ) ثم ليحطم مقولة يزيد وسلطان يزيد ابن الطّلقاء الّذين كانوا يحملون راية المشركين في بدر وأحد والأحزاب ، في حين كان جده على بن أبي طالب يحمل راية رسول الله (ص) ،ثم أخيراً إنه ابن الذّبيح سيد شباب أهل الجنة.

أما في المدينة ، فإن الوضع يختلف ، فالمدينة لا زالت مدينة جده رسول الله (ص) وأهلها أهله ، نشأ هو وأبوه وجده رسول الله (ص) من قبلهم في هذه المدينة الطّيبة ، فأصبح أهلها أهله ، لا يزال فيهم من سمع من رسول الله ( ص ) إنه ( سيد شباب أهل الجنة ) ورآه يقبل فمه ويقول ( الحسن والحسين ريحانتاي ) وإن لم يكونوا قد سمعوا ذلك ، فإنهم يتناقلونه عن آبائهم وأهليهم ممن سمع ورأى النبي ( ص ) ، ثم هو بالإضافة إلى أحاديث رسول الله فإنه ابن فاطمة الزّهراء وحفيد رسول الله ( ص ) وكان الناس يتذكرون به جده رسول الله .

إن هذا الرّجل ( سيد شباب أهل الجنة ) قد قتل الآن وولده زين العابدين يتقبّل التّعازي في الفسطاط الّذي ضربه خارج المدينة فهرع الناس خارج المدينة رجالاً ونساءً وأطفالاً ، وإنه يوم كيوم رسول الله (ص) .

فماذا عساه أن يقول لهم الإمام ؟ فهو وإن كان المعزّى في ذلك ، ولكنه عزّى أهل المدينة ، لأنهم مصابون بالحسين أيضاً ، ثم نقل إليهم جانباً من المأساة الّتي تدمي القلوب وتجرح العيون وتهمل الدّموع .

وكان لا بدّ أن يستّغل هذا التّجمع ليفضح بني أمية . والمدينة ليس فيها رصيد كبير لبني أمية وإن كانت محكومة بحكمهم ، فإن ولاءها لا زال لرسول الله ( ص) ولأهل بيته ، وبقيت كذلك فترة طويلة من السّنين جميع حكم بني أمية وردحاً طويلاً من أيام بني العباس .

فلنستمع إلى خطبة الإمام في أول لقاء له مع أهل المدينة في الفسطاط:

(الحمد لله رب العالمين الرّحمن الرّحيم مالك يوم الدّين بارئ الخلق أجمعين الّذي بعد فارتفع في السّموات العلى وقرب فشهد النجوى نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدّهور وألم الفجائع ومضاضة اللّواذع وجليل الرّزء وعظيم المصائب .

ثم قال : أيها القوم إن الله ـــ وله الحمد ـــ ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة ، قتل أبو عبد الله وعترته وسبي نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السّنان ، وهذه الرّزية الّتي لا مثلها رزية .

أيها الناس : فأي رجالات منكم يسرّون بعد قتله ، أم أي فؤاد لا يحزن من أجله ، أم أي عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن إنهمالها وأي

قلب لا يتصدع لقتله وأي فؤاد لا يحنّ إليه وأي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام .

أيها الناس أصبحنا مطرودين مشردين مذودين شاسعين عن الأمصار من غير جرم إجترمناه ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، والله لو أن النبي ( ص ) تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأكظّها وأفضها وأمرّها وأفدحها فعند الله نحتسب ما أصابنا وما بلغ منا إنه عزيز ذو انتقام )[1] .

لقد كانت خطبة الإمام عليه السلام بليغة جداً تناسب قوة الحدث ، ذلك الحدث الّذي هز كيان أهل المدينة ، فلم يكونوا يتصورون مطلقاً أن سيد شهداء أهل الجنة ، حبيب رسول الله ( ص ) يدار برأسه في البلاد .

ولو لم يكن المخبر لهم زين العابدين ، لشككّوا فيه ولأعتبروه مجرد خيال من نسيج أعداء بني أمية . ولكن هذا هو السّجاد زين العابدين يخبرهم ، وهذه زينب ابنة علي وفاطمة ، حفيدة الرّسول تنقل لنساء المدينة ما جرى عليهم .

فالمأساة إذن كبيرة جداً والصّدمة قوية للغاية وجريمة قتل الحسين كبيرة لا تدانيها جريمة أخرى في التاريخ .

[1] – سيرة الأئمة الأثني عشر / هاشم معروف الحسني / ج٢ / ص ١٢٩ .

وطرق الخبر كل بيت في المدينة ، في أبناء المهاجرين والأنصار وانتقل بسرعة البرق إلى مكة ، وإلى أماكن أخرى ممن كان يرتاد المدينة للزيارة أو للتجارة .

والإعلام الذي كان يتوخاه بنو أمية في إدارة الرّؤوس في البلدان من العراق إلى الشّام ، وعلى الطّريق الأبعد وليس الطّريق الأقصر ، كانوا يهدفون من ذلك إشعار الناس بأن هذه الفئة خرجت على سلطان الخليفة يزيد ، ولكن النتيجة كانت معكوسة جداً ، كان ذلك الإعلام شؤماً على بني أمية ، فالحسين محبوب من عامة الناس بأن والمعركة بهذه المأساة الّتي نقلها لهم زين العابدين وعمته زينب كانت نتيجتها الآنية السّخط على الحكم الأموي الشّجرة الملعونة في القرآن ، كما كانت نتيجتها الأبعد تحفزّ الناس للثورة والتّخلص من هذا الحكم البغيض .

وبالفعل فإن الثورات ضد بني أمية انطلقت في المناطق الّتي تحرك فيها موكب الأسارى ، في الكوفة والمدينة ، أما الشّام فإن بني أمية كانوا يحكمون بالتضليل والإغراء والمال والحديد ....

فكانت ثورات التّوابين في الكوفة الّتي لم تحدث إلاّ ثأراً لدم الحسين ولمأساة الحسين الّتي كان الإمام زين العابدين عليه السلام يحسن تصويرها للناس فيثير فيهم عواطفهم ويذكرهم بدينهم المنتهك . كما حدثت ثورة المدينة أيضاً.

وزين العابدين عاش بعد أبيه ٣٥ عاماً حيث توفي عام ٩٥، فكــان وجوده ثورة ضد الباطل وضد الطّغاة من آل أمية ، وكان مجرد بكائه يثير في الناس ذكرى المأساة الأليمة . ولاشك أنه لم يكن يتصنّع البكاء للإيقاع بأعدائه ، ولكنه كان سلوكاً لشخص شاهد تلك المأساة المروعــة بكــل أبعادها ، والّتي لم يكن ينساها مهما تطاولت به السّنين.

يقول المؤرخون : انه ربما كان يمشي في السّوق ، فيرى جزاراً وقد ذبح شاة ، فيسأله : أسقيتها ماء قبل أن تذبحها ؟

فيقول له : نعم ، ونحن لا نذبح شاة بدون سقي .

فيقول له : ولكن الحسين قتل عطشاناً .

فلم يكن يفتعل تلك اللّقطات، ولكن تلك اللّقطات كانت تــذكره بالمنظر الرّهيب الّذي عاشه تماماً ، فتثير فيه عواطفه وأشــجانه ويأخــذ بالبكاء .

**وروي عن الإمام الصّادق عليه السلام أنه قال :**

( بكى علي بن الحسين عليه السلام عشرين سنة وما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى حتّى قال مولى له : أما آن لحزنك أن ينقضي ؟ فأجابه : ويحك إن يعقوب النبي كان له إثنا عشر إبناً فغيب الله واحداً منهم ؟ فابيضــت عيناه من كثرة بكائه عليه واحدودب ظهره من الغم ، وكان ابنه حياً في

الدّنيا ، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي ، فكيف ينقضي حزني )؟![1].

وزين العابدين عليه السلام هو الشّخص الأوحد في زمانه ، فكل تصرفاته مرصودة وكل أفعاله يطلع عليها الناس . والمدينة هي مسقط رأسه وهي مدينة جده وهو معروف لدى أهلها جميعاً ولدى غير أهلها أيضاً ، وسوف يتناقل الناس بكاءه على أبيه ، وسوف تبقى قضية الحسين حية ما بقي الدّهر .

وثورات الكوفة وإن كان بعيداً عنها ولكن الرّوح الّتي بثها فيها كانت كافية لأن تشتعل ويشتد أوارها ، ويهتز الحكم الأموي ويُقتل قاتلو الحسين عليه السلام جميعهم .

وثورة المدينة ، كان الإمام حاضرها ، وهو وإن لم يستطع الأمويون أن يتهموه ، فإنه نزع فتيلها الصّاعق ، ولكن السّلوك الخاص الّذي سلكه منذ رجع بعد معركة الطّف ، إن سلوكه ذلك هو الّذي هيأ الأجواء في احتقار يزيد والإستهانة به وبحكمه الفاجر الفاسق وهو الّذي شجع النفر المؤمن الّذي ذهب إلى الشّام بدعوة من يزيد في محاولة من يزيد نفسه لتهدئة الحالة الرّافضة في المدينة الّتي بدت فيها سحب الدّخان تتراءى للعيون ، ولذلك فإن يزيداً طلب من واليه على المدينة عثمان بن محمد ابن أبي سفيان أن يرسل له وفداً من وجهاء وأشراف وأبناء أصحاب رسول

[1] - سيرة رسول الله والأئمة الإثني عشر / ج٢ / ص ٢٣٠ .

الله ( ص ) ليكرمهم ويجزل لهم العطاء على طريقة أبيه معاوية ، ثم ليعودوا إلى المدينة وينقلوا وجهاً حسناً ليزيد .

وبالفعل فقد توجه الوفد إلى الشّام ، وأكرمهم يزيد بما لم يكونوا يتوقعون ورجعوا إلى المدينة ولكنهم كانوا ثائرين عليه ويطلبون من الناس أن يثوروا .

**والقصة تبدأ وتنتهي هكذا :**

إن عثمان بن محمد بن أبي سفيان والي المدينة ، أرسل وفداً من أهل المدينة ليزيد بن معاوية ، فيهم عبد الله بن حنظلة الأنصاري المعروف بغسيل الملائكة وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي والمنذر ابن الزّبير ورجال من أشراف المدينة .

فلما قدموا على يزيد بن معاوية أكرمهم وأحسن إليهم وأعظم جوائزهم ، فأعطى عبد الله بن حنظلة وكان شريفاً فاضلاً عابداً سيداً مائة ألف درهم وكان معه ثمانية بنين فأعطى كل ولد عشرة آلاف سوى كسوهم .

فلما رجعوا إلى المدينة أظهروا شتم يزيد وعيبه ، وقالوا : قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الخرّاب والفتيان ، وإنّا نشهدكم أنا خلعناه .

وقام عبد الله بن حنظلة ، فقال جئتكم من عند رجل لو لم أجد إلاّ بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم .

قالوا : قد بلغنا إنه أجزاك وأعطاك وأكرمك ، قال : قد فعل وما قبلت منه عطاءه إلاّ لأتقوّى به .

فخلعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة على خلع يزيد وولّوه عليهم أما المنذر بن الزّبير فكان قد أجازه بمائة ألف وكان قوله لما قدم المدينة : إن يزيداً والله لقد أجازني بمائة ألف درهم وإنه لا يمنعني ما صنع إليّ أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه ، والله إنه ليشرب الخمر وإنه ليسكر حتّى يدع الصّلاة [1] .

واجتمعوا على عبد الله بن حنظلة وبايعهم على الموت ، قال : يا قوم اتقوا الله ، فوالله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السّماء ، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصّلاة[2].

وجاء في المجلد الثاني من تاريخ الخميس إن أكابر أهل المدينة نقضوا بيعة يزيد وأبغضوه لما جرى من قتل الحسين وسوء سيرته وولّوا عليهم عبد الله بن حنظلة وعبد الله بن مطيع العدوي وطردوا عامله عليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان وحصروا بني أمية في دار مروان ثم أخرجوهم من المدينة وكان ذلك سنة ثلاث وستين بينما يذكر بعض المؤرخين أن ثورة أهل المدينة كانت سنة أثنتين وستين أي بعد مقتل الحسين بسنة واحدة .

[1] - مقدمة مرآة العقول / ص ٣٣١ .
[2] - تاريخ الإسلام / ص ٣٥٦ / ج ٢ .

فكلم مروان بن الحكم عبد الله بن عمر بأن يترك عياله وحرمه عنده فأبى عليه ، فكلم الإمام علي بن الحسين عليه السلام فوافق على ذلك وبقيت عائلة مروان في رعاية الإمام إلى أن انتهت المعركة .

وإلى هنا نتصور أن الحديث عن دور الإمام زين العابدين عليه السلام في إيقاظ الثورة ضد الظّالمين قد استوفينا حقه والحمد لله .

❁❁❁

## أسباب المضايقة ضد الأئمة عليهم السّلام

إنّ الأئمة عليهم السّلام تركوا العمل من أجل إستلام السّلطة ، سواء أيام بني أمية أو أيام بني العباس .

فلماذا إذن هذه المضايقات لهم ولذويهم الّتي قد تصل إلى القتل ؟، وكان الأولى لهم أن يحترموهم ، لأنهم ذرية رسول الله ( ص ) وليكسبوا ودّهم ويكونوا في غنى عما تخلفه تلك الملاحقات .

وفي نظري ، أن هناك أسباباً يشترك بها كل الحاكمين ( بنو أمية وبنو العباس ) ضد أهل البيت ، كما أنّ هناك أسباباً أخرى تختص بكل فئة ....

**أما الأسباب المشتركة :**

١- فهي لأن أولئك يشعرون بأنهم يغتصبون حقاً لأئمة أهل البيت عليهم السّلام وهي حالة تشبه تماماً حالة السّارق مع المسروق منه ، فإن السّارق وهو يضع يده على الجريمة ، فإنه يخشى أن تتحاح لصاحب الحق الفرصة المناسبة فيسترجع ما سرق منه ، ولذلك فإن اللّصوص يحقدون على أصحاب الحق ويتمنون لو يموتون أو يقضون عليهم لتذهب الجريمة مع الزّمان .

أما لو بقيت الجريمة مع السّارق ، وبقي صاحب الحق ينوّه بين فترة وأخرى أنه مغصوب حقه ، فسوف يبقى السّارق حاقداً حاسداً معقداً ، يبتكر أسباب المحاصرة ... وهكذا .

وأئمة أهل البيت عليهم السّلام ، يجدون أن إمامة المسلمين حق من حقوقهم الّتي نصّ عليها رسول الله ( ص ) وأنهم هم الأقدر والأجدر في حفظ الكيان الإسلامي . ولم يتنازلوا عن هذا الحق مطلقاً ، والّذي فعله الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية ، فله حديث آخر لسنا بصدده الآن ، وهو أيضاً كان يصبّ في حفظ الكيان الإسلامي لفترة ثم ليعود الحق إلى نصابه .

ولكن معاوية غدر واغتصب الحق وسمّ الحسن صاحب الحق وحوّل الخلافة ميراثاً للفسقة والفجّار .

وموقف الأئمة عليهم السّلام ، كان واضحاً جداً لأصحابهم المقربين ولأعدائهم أيضاً .

٢- وكسبب مشترك بين الغاصبين ، هو أنهم كانوا يجدون الأئمة عليهم السّلام يمتلكون رصيداً جماهيرياً غفيراً ، فإن السّلاطين مهما تشددوا في التّضييق والملاحقة ضد الأئمة ، فإن الأئمة عليهم السّلام يزدادون صلابة ويزدادون جماهيرية .

٣- إن الأئمة عليهم السّلام ، مع كل هذه الملاحقات ، لم ينصاعوا للسلاطين ولم يخضعوا لهم ، وإنما بقوا شامخين رافعي الرّأس ، حتّى إن المنصور الدّوانيقي كان يقول للإمام الصّادق عليه السلام : لماذا لا تغشانا كما يغشانا الناس ؟ فيقول له الإمام : ليس لنا من أمر الدّنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوه منك ، ولا أنت في نعمة نهنئك بها .

فقال المنصور : تصحبنا لتنصحنا فردّ عليه الإمام بقوله : إن من يريد الدّنيا لا ينصحك ومن يريد الآخرة لا يصحبك[1] .

فليس للأئمة عليهم السّلام حاجة لدى أولئك السّلاطين هم الّذين يحتاجونهم ، وقد تقدم الحديث مفصلاً بذلك .

والوجاهة الّتي كانت للإمام الرّضا عليه السلام مثلاً في المدينة أكبر بكثير مما تحقق له في ولاية العهد ، وقد قال للمأمون في إعتذاره عن الخلافة وولاية العهد ( إني أمشي في سكك المدينة وأقضي حوائجهم فيكونون لي كالأعمام ) ورأينا فيما سبق أيضاً كيف أن الإمام الصّادق عليه السلام ردّ على المنصور بقوة عندما تدخل في المخلوقات ، عندما سأل المنصور الإمام الصّادق لماذا خلق الله الذّباب أجابه ليذل به أنف الجبابرة .

٤- وكان أولئك الحكام يتصورون أن الأئمة عليهم السّلام سيثورون عليهم أو على الأقل فإنهم سوف يؤيدون الثورات الخارجة عليهم .

وقد صرح المنصور الدّوانيقي للصادق في عدة لقاءات معه ( إنك تبغيني الغوائل وتأخذ بيعة الناس لك ) وكذلك قول هارون الرّشيد عندما كان يقول للإمام موسى بن جعفر ( أخليفتين في آن واحد ؟ ) إن ثورات التّوابين في الكوفة ، وكذلك ثورة زيد بن علي ، فإن بني أمية كانوا يخشون أن تكون مؤيدة من قبل الأئمة عليهم السّلام .

[1] - سيرة الأئمة الإثني عشر / هاشم معروف الحسني / ج ٢ / ص ٢٦٧ .

ولهذا فإن الأئمة كان وجودهم يقلق السّلاطين للأسباب الّتي ذكرناها ، وتلك كانت أسباباً مشتركة ، بين الحاكمين من بني أمية وبني العباس بصورة عامة ضد أئمة أهل البيت عليهم السّلام .

وهناك أسباب ينفرد بها بنو أمية ، وهي في نظرنا ما يلي :

١- كان بنو أمية يحملون حقداً دفيناً متأصلاً ضد بني هاشم ، ليس من يوم حكموا عام ٤١ للهجرة ، وإنما من يوم عبد شمس الذي كان يحقد على أخيه هاشم ، لا لشيء إلاّ لأن هاشماً كانت له الرّئاسة والرّيادة والزّعامة والكفاءة والكرم والضّيافة .

ثم انتقل الحقد لولده أمية ضد عبد المطلب الّذي ورث من أبيه كل تلك الصّفات الفاضلة ، ثم أبو سفيان مع محمد ( ص ) ثم بين الرّسول (ص) والحكم الّذي طرده رسول الله من المدينة هو وابنه مروان وما رجع إلاّ بعد أن تسلم عثمان الخلافة ثم بين علي ومعاوية وبين يزيد والحسين .

إذن فالحقد في بني أمية على بني هاشم كان تأريخياً متوارثاً في الجاهلية والإسلام وقد مرّ بنا كيف أن أبا سفيان قال للعباس عم النبي (ص) إن ملك ابن أخيك أصبح كبيراً .

فالحقد هو للملك والرّياسة .

ورأينا أيضاً كيف أن معاوية كان يسعى إلى أن يقضي على اسم رسول الله ( ص ) الّذي يذكر بالآذان خمس مرات باليوم .

ثم رأينا كيف أن يزيد بن معاوية يتمثل بشعر الزّبعرى :

ليت أشياخي ببدر شهدوا　　جزع الخزرج من وقع الأسل
لعبت هاشم بالملك فلا　　خبر جاء ولا وحي نزل

فالملك الّذي كان بنو أمية يتصورون أن بني هاشم قد حازوه هو ملك الدّنيا وزعامة العرب وليس الدّين والإسلام ، وذلك كان يثير أحقادهم الدّفينة المتوارثة الّتي تطفو أحياناً على ألسنتهم فيبوحون بها .

٢- بالإضافة إلى ذلك الحقد الّذي كان يلفّ نفوس بني أمية قاطبة ضد بني هاشم قاطبة ، فإنهم كانوا يحقدون على علي عليه السلام ، لأنه قتل أبطالهم ورجالهم في معركة بدر ، والمعارك الّتي تلتها ، فقد قتل في معركة بدر مجموعة من بني أمية الّذين كانوا في جيش المشركين ، هم :

١- حنظلة بن أبي سفيان .

٢- العاص بن سعيد بن العاص

٣- الوليد بن عتبة بن ربيعة

٤- عتبة بن ربيعة ، وشاركه في ذلك الحمزة وعبيدة بن الحارث

٥- عامر بن عبد الله ( حليف لبني عبد شمس )[1] وبالإضافة إلى ذلك فإن علياً أسر عمرو بن أبي سفيان [2] .

---

[1] - نهج البلاغة لأبن أبي الحديد / ج ١٤ / ص ٢٠٨ والكامل لأبن الأثير / ج ٢ / ص ٢٥ .

[2] - مروج الذّهب / ج ٢ / ص ٣٥٣ .

وأتى علياً (عليه السلام) جماعة ممن تخلف عن بيعته من بني أمية ، فيهم سعيد ابن العاص ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فجرى بينه وبينهم خطب طويل .

وقال له الوليد : إنّا لم نتخلف عنك رغبة عن بيعتك ولكنا قوم وترنا الناس ، وخفنا على نفوسنا ، فعذرنا فيما نقول واضح ، أما أنا فقتلت أبي صبراً وضربتني حداً ، وقال سعيد بن العاص كلاماً كثيراً .

وقال له الوليد : أما سعيد فقتلت أباه وأهنت مثواه وأما مروان فإنك شتمت أباه وعبت عثمان في ضمه إياه[1] .

أما لماذا قتل الإمام علي (عليه السلام) أبا الوليد ( عقبة بن أبي معيط ) فلذلك قصة لا بأس بذكرها :

إن عقبة كان قد جلس إلى رسول الله ( ص ) وسمع منه ، فبلغ ذلك صديقه ( أبي بن خلف ) فقال له : بلغني إنك جالست محمداً وسمعت منه؟ إن وجهي من وجهك حرام أن أكلمك ، إن أنت جلست إليه أو سمعت منه أو لم تأته فتتفل في وجهه .

ففعل ذلك ـــ عدو الله ـــ عقبة بن أبي معيط لعنه الله ، فأنزل الله تعالى فيها ﴿ ويوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني إتخذت مع الرّسول سبيلا ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ الإنسان خذولا ﴾ [2] .

---

[1] - سيرة أبن هشام / ج ٢ / ص ٢٥٧ .
[2] - السيرة النبوية لإبن هشام / ج ٢ / ص ١٠ .

وتمر الأيام وتقع معركة بدر الكبرى ، ويكون عقبة بن أبي معيط في جيش المشركين ويقع أسيراً بيد الرّسول ( ص ) فيأمر بقتله صبراً ويروى أن الّذي قتله علي بن أبي طالب عليه السلام .

أما لماذا يقيم الإمام علي عليه السلام الحد على الوليد بن عقبة بن أبي معيط فلذلك قصة أيضاً هي :

إن الوليد كان والي الكوفة من قبل الخليفة عثمان ، وكان يشرب الخمر مع ندمائه من أول اللّيل إلى الصّباح ، فلما آذنه المؤذنون بالصلاة خرج متفضلاً في غلائله ، فتقدم إلى المحراب في صلاة الصّبح ، فصلى بهم أربعاً وقال : أتريدون أن أزيدكم ؟

وقيل إنه قال في سجوده وقد أطال : إشرب واسقني .

فقال بعض من كان خلفه في الصّف الأول : ما تزيد لا زادك الله من الخير ، والله لا أعجب إلاّ ممن بعثك إلينا والياً وعلينا أميراً ، وحصب الناس الوليد ، فحصبه الناس بحصباء المسجد ، فدخل قصره يترنّح ويتمثل بأبيات لتأبط شراً :

ولست بعيداً عن مدامٍ وقينةٍ ... ولا بصفا صلدٍ عن الخير معزل
ولكنني أروي من الخمر هامتي ... وأمشي الملا بالساحب المتسلسل

وفي ذلك يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحقُّ بالغدر
نادى وقد تمت صلاتهمُ ... أأزيدكم؟ ثملاً وما يدري

ليزيدهم أخــرى ولو قــبلوا لقرنت بين الشّفع والــوتر
حبسوا عنانك في الصّلاة ولو خلّوا عنانك لم تزل تجري

وأشاعوا بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر فهجم عليه جماعة من المسجد ، فيهم أبو زينب بن عوف الأزدي وجندب ابن زهير الأزدي وغيرهما ، فوجدوه سكران مضطجعاً على سريره لا يعقل ، فأيقظوه من رقدته ، فلم يستيقظ ، ثم تقيّأ عليهم ما شرب من الخمر ، فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم إلى المدينة ، فأتوا عثمان ابن عفان ، فشهدوا عنده على الوليد إنه شرب الخمر .

فقال عثمان وما يدريكما إنه شرب خمراً ؟

فقالا : هي الخمر الّتي كنا نشربها في الجاهلية ، وأخرجا خاتمه ، فدفعاه إليه ، فزجرهما ودفع في صدورهما وقال : تنحيّا عني .

فخرجا من عنده وأتيا علي بن أبي طالب عليه السلام وأخبراه بالقصة ، فأتى عثمان وهو يقول : دفعت الشّهود وأبطلت الحدود .

فقال له عثمان : فما ترى ؟

قال : أرى أن تبعث إلى صاحبك ، فتحضره ، فإن أقاما الشّهادة عليه في وجهه و لم يدرأ عن نفسه بحجة ، أقمت عليه الحد .

فلما حضر الوليد ، دعاهما عثمان ، فأقام الشّهادة عليه و لم يُدل بحجّة ، فألقى عثمان السّوط إلى علي ، فأخذ علي السّوط ودنا منه ، فلما

أقبل نحوه ، سبّه الوليد ، وقال يا صاحب مكس[1] ، فأقبل الوليد يــروغ من علي ، فاجتذبه علي ، فضرب به الأرض وعلاه بالسوط .

فقال عثمان[2] : ليس لك أن تفعل به هذا

قال علي : بل وشراً من هذا ، إذا فسق ومنع حــق الله تعــالى أن يؤخذ منه[3] .

هكذا فعل بهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وهو يحمل راية رسول الله ( ص ) في بدر ، ويقيم عليهم الحد الشّرعي ، فكيف لا يحقدون عليــه ؟ وهم لا ينظرون إلى كل الّذي حدث أنه إسلام وشرك وإنه إقامة لحــدود الله ، وإنما يعتبرون ذلك معركة على الدّنيا .

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحيٌ نزل

٣- ثم إن يزيداً لم يستطع أن يستحصل البيعة من الحســين (عليه السلام) ، الّذي كان يقول ( مثلي لا يبايع مثله ) .

مثل الحسين الّذي هو الإمام المنصوص عليه ، كيف يبايع يزيداً ، الّذي يشرب الخمر و لم يدخل الإيمان قلبه .

ثم ما جرى من معركة قادها الحسين (عليه السلام) ضد حكم الطّغاة من بني أمية والتي انتشرت أنباؤها في جميع أصقاع الدّولة الإسلامية .

إن الحسين لم يكن يرتضي حكم يزيد ، ودخل معه في معركة ، والحسين (عليه السلام) وإن قتل في هذه المعركة ، فإنّه استطاع أن يشعر الناس

[1] - المكس هو النقص والظّلم .
[2] - كان الوليد أخاً لعثمان من الرّضاعة .
[3] - مروج الذّهب / للمسعودي / ج ٢ / ص ٣٣٥ .

كل الناس ، سواء الّذين كانوا في ذلك الزّمان أو الّذين جاؤوا من بعدهم وإلى يومنا هذا ، بل إلى يوم يبعثون ، أن حكم بني أمية المتمثل آنذاك بيزيد بن معاوية لم يكن حكماً إسلامياً ، ولذلك فقد دخل الحسين معهم في معركة .

وقد استشعر بنوا أمية بالذات أنّ حرب الحسين معهم جرّت عليهم الويلات الّتي كانت تتفاقم يوماً بعد يوم وجيلاً بعد جيل ، وقد تلتها معارك التّوابين في الكوفة وثورة أهل المدينة ، ثم ثورة زيد بن علي وثورة ولده يحيى ، وأخيراً ثورة العباسيين الّذين كانوا يتستّرون بالثأر للحسين وآل البيت عليهم السّلام ، ولو لم يكن ذلك الشّعار يعطي أكله لما تمسك به العباسيون بقوّة .

❀❀❀

أما بنو العباس خاصة فإنهم كانوا يشتركون مع بني أمية في بعض الأحقاد الّتي ذكرناها في بداية هذا الحديث ، كما كانت لهم حسابات أخرى مع العلويين .

وهنا سوف يكون الكلام بين بني العباس وبين العلويين ، وكلهم كانوا من بني هاشم ، ولكن حساباتهم كانت من سنخ آخر ، والّتي أتصور أن أحقادهم نشأت منها والّتي هي كما يلي :

١-إن أبا العباس وأبا جعفر المنصور اللذين أسسا دولة بني العباس كانا قد بايعا لمحمد النفس الزّكية بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي

طالب عليه السلام ، والقضية معروفة ، ذكرناها فيما سبق ، من فصول هذا الكتاب ، حيث اجتمع بنو هاشم بالأبواء وفيهم إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وأبو جعفر المنصور وصالح بن علي وعبد الله بن الحسن وابناه محمد وإبراهيم وغيرهم ، وقال صالح بن علي قد علمتم أنكم الّذين تمدّ الناس إليهم أعينهم ، وقد جمعكم الله في هذا الموضع فأعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه إياها من أنفسكم ...

وقال أبو جعفر المنصور : لأي شيء تخدعون أنفسكم والله لقد علمتم ما الناس إلى أحد أمورُ أعناقاً ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى ـــ يريد به محمد بن عبد الله ـــ .

قالوا : قد والله صدقت إن هذا الّذي نعلم فبايعوا محمداً جميعاً ومسحوا يده . وكان منهم المنصور ، وبايعه مرة أخرى في مكة في المسجد الحرام ، فلما خرج محمد أمسك له المنصور بالركاب ثم قال : أما إنه إن أفضى إليكما الأمر نسيت لي هذا الموقف[1] .

ثم استطاع العباسيون أن يتجاوزوا هذه البيعة وهيأ لهم أبو مسلم الخراساني الّذي أسس لهم دولتهم بعد ما قتل عشرات الآلاف من أعدائهم ثم ثار محمد النفس الزّكية ، وكان هو والمنصور ، كل يطالب الآخر بتمام البيعة وإن كانت حجة محمد بن عبد الله أكبر لأن البيعة الّتي تمت له كانت أسبق .

[1] - مقاتل الطّالبيين / أبو الفرج ص ١٤٣ .

٢- كانت تتملك العباسيين وخصوصاً ( السّفاح والمنصور ) عقدة النقص ، حيث ثاروا على بني أمية بحجة الأخذ بثأر الحسين عليه السلام وشعار آل البيت ، وما صدقوا في وعودهم ، فقد كان ذلك خداعاً واستغفالاً للناس واستغلالاً لعواطفهم ، وما أعطوا الحق لأهله ...

نعم قد يقال : إنهم هم الّذين ثاروا وليس العلويون .

فنقول : وإنهم لكذلك ، ولكنهم كانوا كالذي وجد شيئاً مسروقاً لدى غيره فانتزعه من السّارق بقوة ليرجعه إلى صاحبه وما أرجعه . ولم يكتفوا بعدم إرجاع الحق إلى أهله ، وإنما أخذوا يلاحقون أصحاب الحق على عادة السّراق ليتخلصوا من وجودهم الّذي يذكّرهم بالجريمة دائماً ، وتجاوزوا بني أمية في ظلمهم لأئمة أهل البيت عليهم السّلام .

ومن المناسب أن نذكر هنا الرّسائل المتبادلة بين أبي جعفر المنصور وبين محمد النفس الزّكية بعد ثورته .

فقد كتب المنصور إلى محمد :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ( إنما جزاء الّذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ) ذلك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله أن أؤمنك وجميع ولدك وأخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم ، وأموالكم ، واسوّغك ما أصبت من دم أو مال وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج وأنزلك من البلاد حيث شئت وان أطلق من في حبسي من

أهل بيتك وان أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك أو دخل في شيء من أمرك ثم لا اتبّع أحداً منهم بشيء كان منه أبداً .

فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجه إليّ من أحببت يأخذ مني الأمان والعهد والميثاق ما تتوثق به والسّلام .

فكتب إليه محمد ( طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ... إلى يحذرون ) وأنا أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت عليّ ، فإن الحق حقنا وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم لنا بشيعتنا وحضيتم بفضله فإن أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟ ثم قد علمت أنه لم يطلب الأمر أحد مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا ، لسنا من أبناء اللّعناء ولا الطّرداء ولا الطّلقاء وليس يمتّ احد من بني هاشم بمثل الّذي نمتّ به من القرابة والسّابقة والفضل ، وإنا بنو أم رسول الله ( ص ) فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم .

إن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمد أفضلهم ومنهم السّلف أولهم إسلاماً علي ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطّاهرة وأول من صلى إلى القبلة ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء العالمين وأهل الجنة ومن المولودين في الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة وإنّ هاشماً ولد علياً مرتين وإنّ عبد المطلب ولد حسناً مرتين وإنّ رسول الله

ولدني مرتين من قبل حسن وحسين وإني أوسط بني هاشم نسباً وأصرحهم أباً ، لم تعرف فيّ العجمة و لم يتنازع فيّ أمهات الأولاد .

فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة ، ولك الله عليّ إن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أن أؤمنك على نفسك ومالك وعلى كل أمر أحدثته إلاّ حداً من من حدود الله أو حقاً لمسلم ومعاهد ، فقد علمت ما يلزمني من ذلك وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد لأنك أعطيتني من الأمان والعهد ما أعطيته رجالاً قبلي ، فأي الأمانات تعطيني ؟ أمان ابن هبيرة ؟ أم أمان عمك عبد الله بن علي أم أمان أبي مسلم ؟[1] .

واضح من رسالة المنصور كم كان خائفاً من ثورة محمد ، لأنه يعرف أن محمداً أولى منه بالبيعة ، ذلك لأن المنصور نفسه بايع محمداً مرتين ، مرة بالأبواء وأخرى في مكة ، وكان يسوّي راحلته ليحفظ له هذا الجميل ، ونراه في رسالته يبذل كل شيء من اجل أن يبايع له (المنصور) ، حتى لقد أسقط عنه ما أصاب من دم أو مال ، ولكن حجة محمد النفس الزّكية كانت أقوى فيقول له أن الحق حقنا وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا وخرجتم له بشيعتنا ... ثم يعطيه الأمان إن رجع إلى بيعته ، ودخل في طاعته وأجاب دعوته ، فيؤمنه على نفسه وماله فقط ولا يعفيه عن حدود الله الّتي تجاوزها أو حقوق المسلمين والمعاهدين المهضومة .

---

١- ابن الأثير في تاريخه الكامل / ج ٥/ ص ١٥١ – ١٥٢ .

( فقد علمت ما يلزمني من ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد ) .

٣- خلفاء بني العباس كانوا يعلمون بموقف الأئمة من حكومتهم وهو ما يغيضهم وقد رأينا فيما سبق أن الأئمة عليهم السّلام لم يثوروا على الحكام من بني أمية أو بني العباس، ولكن الحكام أولئك –كما قلنا – كانوا يخشون منهم ، أنهم وإن لم يثوروا فلربما يعينون غيرهم على الثورة .

وهي كلها شكوك ، كانت تقضّ مضاجعهم ، ولكن الأمر المؤكد الّذي كان يعتقد به الحكام ، هو أن الأئمة عليهم السّلام كانوا يعتبرون أولئك سلاطين جور ويلقّنون شيعتهم الخاصة بذلك .

وهذا العلم كان موجوداً لدى بني أمية أيضاً خصوصاً بعد ما قتلوا الحسين عليه السلام ونهبوا خيامه وحرقوها وسبوا أطفاله .

وليست المسألة من التّعقيد بمكان حيث يصعب إدراكها من قبل الحكام فإن الوضع العام للأئمة عليهم السّلام في تعاملهم مع الخلفاء كان يوحي بذلك .. وبالإضافة إلى هذا فإن الأئمة عليهم السّلام كانوا ربما يشيرون إلى هذه النقطة حتى مع الخلفاء أنفسهم في أحاديثهم معهم .

ولو لم تكن نظرة الأئمة عليهم السّلام إلى الحكام هكذا .. لكانت لهم وإياهم علاقات صداقة ، خصوصاً وقد كانت تربطهم مع بني العباس علاقات رحم ، ولكننا رأيناهم يبتعدون عن الخلفاء مهما أمكنهم ذلك ، فإذا استدعوهم لأمرٍ ما ــ وغالباً ما يكون لتوجيه التّهم ــ فإنهم سرعان

ما يرجعون إلى المدينة ، وربما يسألهم خليفة الجور عن حاجتهم ، فإن أول حاجة تكون للإمام ، إن لم تكن هي الحاجة الوحيدة ، هي الرّجوع إلى أهله .

وطلب المنصور من الصّادق ﷺ أن يسأل حاجته ، قال لا ترسل علي حتى أجيئك أنا ، فرفض المنصور .

وكل الأئمة عليهم السّلام ، كانت طريقتهم هكذا .. مع الخلفاء المعاصرين لهم ، وكانت بعض اللّقاءات تتم بين الأئمة والخلفاء أولئك ، ربما تكون لقاءات مجاملة وإظهار الود ، ولكن كان واضحاً أن الأئمة عليهم السّلام كانوا يحضرونها للتقية [1] أو أنهم كانوا غير راغبين فيها .

والّذي يقرأ سيرة الأئمة عليهم السّلام وكذلك سيرة أولئك الحكام يجد واضحاً أن الأئمة عليهم السّلام كانوا يعتبرون الحكام خلفاء جور حتى وإن خاطبوهم بإمرة المؤمنين ، فذلك للتقية ولحفظ نفوسهم ونفوس شيعتهم ...

وسوف أذكر بعض الحوادث الّتي يستطيع القارئ أن يتلمّس فيها أن الخلفاء كانوا يدركون فيها اعتبارهم حكام جور من قبل الأئمة عليهم السّلام وهذه الحوادث سوف أقتصر فيها على سيرة الإمام موسى ابن جعفر ﷺ مع هارون الرّشيد الّذي كان حاقداً شديد الحقد على أهل البيت .

[1] - سوف نبحث التّقية إن شاء الله في فصل مستقل .

أ- قضية صفوان الجمّال الّتي ذكرناها في موضع سابق من هذا الكتاب ، وللفائدة فإننا نعيدها هنا مع التعليق عليها بما يناسب النقطة الّتي نريد بحثها ، وصفوان هذا كان من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام وكان يُكري جماله إلى هارون عندما يذهب للحج ، فقال له الإمام يوماً :

يا صفوان ، كل شيء فيك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً

جعلت فداك أي شيء؟

كراؤك جمالك من هذا الطّاغية ــ يعني هارون ــ .

والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو ولكن أكريته لهذا الطّريق ــ يعني طريق مكة ــ ولا أتولاه بنفسي ، ولكن أبعث معه غلماني .

فقال له الإمام : يا صفوان ، أيقع كراؤك عليهم ؟

نعم جعلت فداك .

أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك ؟

نعم

فقال له الإمام عليه السلام : من أحب بقاءهم فهو منهم ومن كان منهم كان وارداً للنار .

ولسنا نريد هنا أن نبحث عن رؤية الإمام بالنسبة للخلفاء أولئك ، فقد استوفينا الحديث عنه فيما سبق ، ولكننا نريد أن نثبت أن أولئك الحكام كانوا يعرفون رأي الأئمة فيهم ..

فإن صفوان الجمّال بعد حديث الإمام معه ، بادر إلى بيع جماله وتخلّى عن مهمته .

وطلبه بعدها هارون الرّشيد وسأله :

يا صفوان ، بلغني أنك بعت جمالك

صفوان : نعم

الرّشيد : و لم ؟

صفوان أنا شيخ كبير وإن الغلمان لا يفون بالأعمال

الرّشيد : هيهات هيهات ، إني لأعلم من أشار عليك بهذا ، أشار عليك موسى بن جعفر

صفوان : مالي ولموسى بن جعفر

الرّشيد : دع عنك هذا فوالله ، لولا حسن صحبتك لقتلتك[1] .

فهل نحتاج إلى توضيح أكثر من هذا ؟.

فقد عرف هارون هدف صفوان من بيع جماله ، ومن الّذي أشار عليه بذلك .

ب- وهذه قضية أصرح من سابقتها ، فقد كانت بين الإمام وهارون مباشرة مشافهة .

كان هارون قد استدعى الإمام موسى الكاظم عليه السلام بعدما بلغه أنه يجبى له الخراج ثم يعفو عنه ، ويسأله أسئلة متعددة ويجيبه الإمام .

[1] – حياة الإمام موسى بن جعفر / باقر شريف القرشي / ج ٢ / ص ٢٢٦ .

قال هارون : أخبرني لم فضلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة وبنو عبد المطلب ونحن وأنتم واحد ، إنا بنو العباس وأنتم ولد أبي طالب ، وهما عمّا رسول الله ( ص ) وقرابتهما منه سواء ؟

فقال الإمام : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من هذه المسألة ويسألني عن كل باب سواه يريده ؟

فقال هارون : لا أو تجيب

فقال الإمام : آمنيّ

قال الرّشيد : قد أمنتك

قال الإمام : إن في قول علي بن أبي طالب عليه السلام ليس مع ولد الصّلب ذكراً كان أو أنثى لأحد سهم إلاّ للأبوين والزّوج والزّوجة ، ولم يثبت للعم مع ولد الصّلب ميراث ، ولم ينطق به الكتاب إلاّ أن تيماً وعدّياً وبني أمية قالوا : العم والد رأياً منهم بلا حقيقة ولا أثر عن النبي (ص) ومن قال بقول علي عليه السلام من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء هذا نوح بن دراج يقول في هذه المسألة بقول علي عليه السلام وقد حكم به وقد ولاّه أمير المؤمنين المصرين الكوفة والبصرة وقد قضى به ، فأنهي إلى أمير المؤمنين فأمر بإحضاره وإحضار من يقول بخلاف قوله منهم سفيان الثوري وإبراهيم المدني والفضيل بن عياض ، فشهدوا إنه قول علي عليه السلام في هذه المسألة .

فقال لهم : فلم لا تفتون به وقد قضى به نوح بن دراج ؟

فقالوا : جسر نوح وجبنّا ، وقد أمضى أمير المؤمنين قضيته بقول قدماء العامة عن النبي ( ص ) إنه قال : علي أقضاكم وكذلك قول عمر ابن الخطاب علي أقضانا .

قال هارون : زدني يا موسى

قال الإمام : المجالس بالأمانات وخاصة مجلسك !

فقال : لا بأس عليك

فقال الإمام : إن النبي ( ص ) لم يورّث من لم يهاجر ، ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر

فقال هارون : ما حجتك فيه ؟

قال الإمام : قول الله تبارك وتعالى ﴿ والّذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾[1] وإن عمي العباس لم يهاجر

فقال هارون : أسألك يا موسى هل أفتيت بذلك أحداً من أعدائنا ؟ أم أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشيء؟

قال الإمام : اللهم لا ، وما سألني عنها إلا أمير المؤمنين[2] .

فليست إذن للعباس ولاية وبالتالي لا يستطيع أبناؤه أن يتمسكوا بولاية جدهم وحق جدهم في وراثة رسول الله ( ص ) وسقطت حجتهم الّتي يحتجون بها وبالنتيجة فهم حكام جور ، اغتصبوا الولاية والمنصب .

---

[1] - سورة الأنفال / الآية ٧٢ .
[2] - البحار/ ج ٤٨ / ص ١٢٧ نقلاً عن عيون أخبار الرّضا / ج ١ / ص ٨١ .

ج- جاء في كتاب أخبار الخلفاء :

إن هارون الرّشيد كان يقول لموسى بن جعفر : خذ فدكاً حتى أردّها إليك فيأبى ، حتى ألحّ عليه .

فقال الإمام عليه السلام : إن حددتها لم تردّها

قال هارون : بحق جدك إلاّ فعلت .

قال الإمام : أما الحد الأولى فعدن ، فتغيّر وجه الرّشيد وقال ايهاً .

قال : والحد الثاني سمرقند ، فاربدّ وجهه .

قال : والحد الثالث افريقيه ، فاسود وجهه وقال : هيه .

قال الإمام : والرّابع سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينيه .

قال الرّشيد : فلم يبق لنا شيء .

قال الإمام : قد أعلمتك أني إن حددتها لم تردّها[1].

فعند ذلك عزم على قتله .

لاشك أن المقصود بهذه الحدود هو الدّولة الإسلامية كلها الّتي إغتصبها المغتصبون ، بنو العباس والّذين جاؤوا من قبلهم ، وهي حق من حقوق الأئمة عليهم السّلام ، ولذلك فإن الإمام قال لهارون : قد أعلمتك أنني إن حددتها لك لم تردها ، وحدود الدّولة الإسلامية حينذاك هي الحدود الّتي ذكرها الإمام .

---

[1] -البحار/ج ٤٨ / ص ١٤٤ نقلاً عن المناقب /ج ٣ / ص ٤٣١ .

وواضح في هذا الموضوع ، كما هو واضح في غيره لدى الحكام ، أنّ الأئمة يعتبرون أولئك السّلاطين حكام جور ، استولوا على السّلطة استيلاء غاصب .

هـ - وهذه القضية بين الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وهارون أيضاً في حوار بينهما حيث يقول هارون :

لقد خبّروني أنكم تقولون إن جميع المسلمين عبيدنا وجوارينا وإنكم تقولون من يكون لنا عليه حق ولا يوصله إلينا فليس بمسلم .

فقال له الإمام (عليه السلام) : كذب الّذين زعموا أننا نقول ذلك ، وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يصحّ البيع والشّراء عليهم ؟ ونحن نشتري عبيداً وجواري ونعتقهم .. فلو أنهم عبيدنا وجوارينا ما صحّ البيع والشّراء وقد قال النبي (ص) لما حضرته الوفاة : الله الله في الصّلاة وما ملكت أيمانكم ، يعني : صلو وأكرموا مماليككم وجواريكم ونحن نعتقهم ، وهذا الّذي سمعته غلط من قائله ودعوى باطلة .

ولكن نحن ندّعي أن ولاء جميع الخلائق لنا ، يعني ولاء الدّين ، وهؤلاء الجهال يظنونه ولاء الملك ، حملوا دعواهم على ذلك ، ونحن ندّعي ذلك لقول النبي ( ص ) يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، وما كان يطلب بذلك إلاّ ولاء الدّين والّذي يوصلونه إلينا من الزّكاة والصّدقة ، فهو حرام علينا مثل الميتة والدّم ولحم الخنزير .

وأما الغنائم والخمس من بعد موت رسول الله ( ص ) فقد منعونا من ذلك ونحن محتاجون إلى ما في يد بني آدم الّذين لنا ولاؤهم بولاء الدّين ليس بولاء الملك ، فإن نفذ إلينا أحد هدية ولا يقول أنها صدقة نقبلها لقول النبي ( ص ) لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إليّ كراع لقبلت ـــ والكراع اسم قرية والكراع يد الشّاة ـــ وذلك سنّة إلى يوم القيامة ، ولو حملوا إلينا زكاة رددناها وإن كانت هدية قبلناها [1] .

وهنا هارون يسمع بأذنيه ما يقول له الإمام عليه السلام : نحن ندّعي أن ولاء جميع الخلائق لنا ، يعني ولاء الدّين .

وبأي حجة يطلب بنو العباس والّذين من قبلهم بيعة الناس لهم (أبايع على سنة الله ورسوله إليس لأقامة الدّين؟ في حين أن ولاء جميع الخلائق هو للأئمة عليهم السّلام دون غيرهم ، إبتداء من يوم غدير خم الّذي قال فيه النبي ( ص ) ( من كنت مولاه فعلي مولاه ) .

و- ونكتفي بهذه القضية الّتي نوردها ـــ والقضايا كثيرة جداً ـــ ولعل هذه القضية أصرح من السّابقات في ما ندّعيه من أن الحكام كانوا يعرفون رؤية الأئمة لهم في الحكم :

كان مما قال هارون لأبي الحسن الكاظم عليه السلام حين أدخل عليه : ما هذه الدّار

[1] - فرج المهموم / ص ١٠٧ .

فقال الإمام : هذه دار الفاسقين ، قال الله ﴿ سأصرف عن آيـاتي الّذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ﴾

فقال له هارون : فدار من هي ؟

قال الإمام : هي لشيعتنا فترة ولغيرهم فتنة .

قال : فما بال صاحب الدّار لا يأخذها ؟

فقال : أخذت منه عامرة ولا يأخذها إلاّ معمورة .

قال : فأين شيعتك ؟

فقرأ أبو الحسن عليه السلام ﴿ لم يكن الّذين كفروا من أهـل الكتـاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة ﴾ .

فقال له هارون : فنحن كفار ؟

قال الإمام : لا ولكن كما قال الله ﴿ الّذين بدلوا نعمة الله كفـراً وأحلوا قومهم دار البوار ﴾ .

فالمجابهة قوية بين إمام أعزل إلاّ من قوة الله وبين خليفة يسيطر على نصف الدّنيا . والمحاورة صريحة جداً ، فالدار هي دار الفاسقين ، وعندما يسأله هارون : فنحن كفار ؟

لا ، ولكنكم بدلتم نعمة الله وأحللتم قومكم دار البوار .

فأية صراحة أكثر من هذه ؟ وأية مجابهة أقوى من هذه ؟

❀❀❀

لقد أوردنا كل هذه الأمثلة ، لنثبت أنّ الحكام الخلفاء كانا يعلمون رؤية الأئمة في حكمهم ، لذلك فإن أولئك الحكام كانوا يجهدون في أن يقضوا على هذا الشجا[1] في حلوقهم ، وكثيرا ما كـانوا يتخبطـون في التّعامل معهم عسى أن يهنأؤا ، ولكنهم وجدوا أخيراً أن التّصفيات الجسدية هي الكفيلة بذلك .

٤- وكان بنو العباس نفسياً يبغضون الأئمة ، فيحقدون عليهم .

كان أكثرهم هكذا ، ولكن فيهم الأقل والأكثر حقـداً ، ولعـل أشدهم بغضاً وحقداً على العلويين بصورة عامة وعلى أئمة أهل البيـت بصورة خاصة ثلاثة ، هم أبو جعفر المنصور وحفيده هـارون وحفيـد هارون المتوكل .

وقد سبق أن ذكرنا كيف أن المنصور وضع خزانـة فيهـا رؤوس وآذان المقتولين من العلويين كهدية تقدم لولده المهدي بعد موته .

أما هارون ، فلنستمع إلى هذه القصة الرهيبة قال عبيد الله البـزار النيسابوري ـــ وكان مسناً ـــ كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطّـائي الطّوسي معاملة، فرحلت إليه في بعض الأيام، فبلغـه خـبر قـدومي ، فاستحضرني للوقت وعليَّ ثياب السّفر لم أغيّرهـا ، وذلـك في شـهر رمضان وقت صلاة الظّهر .

---

[1] - الشجا ما اعترض الحلق من عظم ونحوه .

فلما دخلت إليه رأيته في بيت يجري فيه المـاء ، فسلمت عليه وجلست فأتي بطست وإبريق فغسل يديه، ثم أمرني فغسلت يدي .

فقال لي حميد : ما لك لا تأكل؟

فقلت : أيها الأمير هذا شهر رمضان ، ولست بمريض ولا بي علّة توجب الإفطار ولعل الأمير له عذر في ذلك أو علة في ذلك أو علة توجب الإفطار

فقال:ما بي علة توجب الإفطار واني لصحيح البدن ، ثم دمعت عينها وبكى.

فقلت له بعدما فرغ من طعامه :

ما يبكيك أيها الأمير؟

فقال : أنفذ إليّ هارون وقت كونه بطوس في بعض اللّيل أن اجب فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتّقد وسيفاً اخضر مسلولاً وبين يديه خادم واقف ، فلما قمت بين يديه رفع رأسه إليّ فقال : كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟

فقلت : بالنفس والمال.

فأطرق ، ثم أذن لي بالانصراف .

فلم البث في منزلي حتى عاد الرّسول إليّ وقال: أجب أمير المؤمنين فقلت في نفسي ، إنا لله، أخاف أن يكون قد عزم على قتلي

وانه لما رآني استحيا مني ، فعدت إلى بين يديه ، فرفع رأسه إليّ فقال : كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟

فقلت : بالنفس والمال والأهل والولد .

فتبسّم ضاحكاً ، ثم أذن لي في الانصراف .

فلما دخلت منزلي لم البث أن عاد الرّسول إليّ فقال : أجب أمير المؤمنين ؟

فحضرت بين يديه وهو على حاله ، فرفع رأسه إليّ ، فقال : كيف طاعتك لأمير المؤمنين ؟

فقلت : بالنفس والمال والأهل والدّين ، فضحك ثم قال لي : خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به هذا الخادم .

قال : فتناول الخادم السّيف وناولنيه ، وجاء بي إلى بيت بابه مغلق ففتحه ، فإذا فيه بئر في وسطه وثلاث بيوت أبوابها مغلقة ، ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشّعور والذوائب ، شيوخ وكهول وشبان مقيدون .

فقال لي : إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة عليها السّلام ، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم ، ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر .

ثم فتح باب بيت آخر فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلوية من ولد علي وفاطمة عليها السّلام مقيدون ، فقال لي إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء ، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر ، حتى أتيت على آخرهم .

ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة مقيدون عليهم الشّعور والذّوائب ، فقال لي : إنّ أمير المؤمنين يأمرك أن تقتل هؤلاء أيضاً .

فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد ، فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر حتى أتيت على تسعة عشر نفساً منهم ، وبقي شيخ منهم عليه شعر فقال لي : تباً لك يا مشؤوم ، أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله ( ص ) وقد قتلت من أولاده ستين نفساً قد ولدهم علي وفاطمة عليهم السّلام فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي ، فنظر إليّ الخادم مغضباً وزبرني ، فأتيت على ذلك الشّيخ أيضاً فقتلته ورمى به في تلك البئر ، فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله ( ص ) فما ينفعني صومي وصلاتي؟ وأنا لا أشك أني مخلد في النار [1]

وأما المتوكل ؟

فقد اعتدى على قبور الشّيعة ورموزهم ، وهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وما حوله من المنازل والدّور ، ومنع الناس من زيارته ، ونادى من

[1] - عيون أخبار الرّضا / ج ١ /ص ١٠٨ .

وجدناه عند قبر الحسين حبسناه في المطبق ــ سجن تحت الأرض ــ فقال الشّاعر :

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل بن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شايعو في قتله فتتبعوه رميما[1]

**يقول ابن الأثير :**

وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته ، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله يأخذ المال والدّم ، وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون : قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين ، يحكى بذلك علياً عليه السلام والمتوكل يشرب ويضحك .

ففعل ذلك يوماً والمنتصر ( ولده ) حاضر فأومأ إلى عبادة يتهدده ، فسكت خوفاً منه .

فقال المتوكل : ما حالك ؟

فقام وأخبره ،

[1] - تاريخ العراق السّياسي المعاصر / ج ١ / ص ٢٦ / حسن شبر .

فقال المنتصر : يا أمير المؤمنين إن الّذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو إبن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك ، فكل أنت لحمه إذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه .

فقال المتوكل للمغنيين : غنوا جميعاً :

غار الفتى لإبن عـــمه رأس الفتى في حر أمه

فكان هذا من الأسباب الّتي استحلّ بها المنتصر قتل المتوكل[1] .

هكذا ، وبهذا الحقد والبغض كان يتعامل أمراء المؤمنين الخلفاء من بني العباس مع الأئمة عليهم السّلام ، ليتوضح لنا أن الهدنـــة الّـــتي قـــد يباشرها بعضهم أو ولاية العهد الّتي جعلها المأمون للإمام الرّضـــا عليه السلام ، إنما هي تكتيك ـــ كما يقولون ـــ للسيطرة على تأثير الأئمة في الأمـــة بصورة عامة وفي خاصتهم بصورة خاصة .

وإلى هنا نتصور أننا قد أشبعنا هذا الفصل بحثاً ، لننتقل إلى حديث عن موضوع آخر إن شاء الله .

[1] - إبن الأثير في كتابه الكامل / ج ٦ / ص ١٠٩

# موقف الأئمة عليهم السّلام من الثورات ضد بني أمية وبني العباس

كثيرة هي الثورات الّتي حدثت ضد بني أمية وبني العباس أيام الأئمة عليهم السّلام ، ولكننا سوف نأخذ منها أربع ثورات كبرى ، وندرسها بإمعان ، هل أيدها الأئمة ؟ وإذا كانوا لم يؤيدوها فلماذا ؟

تلك الثورات هي :

١- ثورة زيد بن علي ، على هشام بن عبد الملك الأموي عام ١٢٢ هـ .

٢-٣- وثورتا محمد النفس الزّكية وأخيه إبراهيم على أبي جعفر المنصور عام ١٤٥ هـ وهذه الثورات الثلاث كانت معاصرة للإمام الصّادق عليه السلام .

٤- ثورة الحسين شهيد فخ على موسى الهادي العباسي عام ١٦٩ أيام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .

وكل الرّوايات التّأريخية تذكر أنّ أولئك الثائرين حاولوا جهدهم أن يحصلوا على بيعة الأئمة المعاصرين لهم ، أو على الأقل موافقتهم وتأييدهم لهم . ولكنهم كانوا يجدون دائماً صدوداً وإمتناعاً .

وفي اعتقادي أن امتناع الأئمة عليهم السّلام عن البيعة للثائرين أو تأييدهم يمكن أن يندرج تحت عدة أسباب :

**أولاً :**

إن الأئمة عليهم السّلام ، كانوا يعرفون نفاق أولئك الّذين بايعوا الثائرين ، أو فلنقل أكثر الّذين بايعوهم ، يعرفون ذلك بقوة بصيرتهم ورأيهم الثاقب وحنكتهم السّياسية .

أما أهل الكوفة الّذين بايعوا زيداً فهم معروفون بنفاقهم وخيانتهم ، وهم أصحاب جده علي بن أبي طالب عليه السلام الّذي كان يلح عليهم بالتوجه إلى محاربة معاوية ، فيتقاعسون ، ثم هم أصحاب الحسن الّذين انقلبوا عليه ونهبوا مصلاه تحته وطعنوه بالمغول ، ثم هم أصحاب الحسين الّذين كتبوا إليه : أقدم ، فقد أينعت الثمار وأخضرّت الجناب وإنما تقدم على جند لك مجندة ، ثم نكثوا و لم يكتفوا بذلك وإنما وقفوا في صف يزيد وحاربوا الحسين وقتلوه .

وأهل الكوفة هم أصحاب مسلم بن عقيل أيضاً والّذين بايعوه كانوا ربما يزيدون على ثمانية عشر ألفاً ولكنهم بين ليلة وضحاها ـــ وقد جدّ الجد وجاء عبيد الله بن زياد من البصرة إلى الكوفة ـــ نراهم قد تفرقوا عنه حتى لم يجد له مكاناً يأوي إليه .

أولئك كانوا أهل الكوفة الّذين بايعوا لزيد بن علي ، فهم إذن رجال لا يعتمد عليهم ولا يراهم الإمام الصّادق أهلاً للثقة من قبل الثائرين من أهل البيت ، ولذلك نهى زيداً عن الثورة وحذّره من مغبتها .

ولقد رأينا كيف أن الصّادق عليه السلام رفض دعوة أبي سلمة الخلال في تسلّم الدّولة ، لأنه يعلم أن رجال أبي سلمة ليسوا رجالاً وشيعة له ، فلا يعتمد على رجال تتقاذفهم الأهواء ( قلوبهم معك وسيوفهم عليك ) .

ورأينا سابقاً ماذا أجاب الإمام الصّادق عليه السلام سدير الصّيرفي عندما قال له ( لا يسعك القعود ولك نصف الدّنيا ) وتلك نظرة حكيمة جداً عند الإقدام على أمر عظيم كالثورة على الدّولة ، فإذا لم يختبر القائد جنوده ويكتشف مدى إخلاصهم له وثباتهم في ساحة الحرب على الدّفاع

عن أهداف القائد ، فذلك جيش لا أهمية له ، وإذا اعتمد عليهم ، فهو إذن قائد قصير النظر قليل الهمة محكوم على ثورته بالفشل مقدماً ، وهو الّذي كان يراه الأئمة عليهم السّلام في الثورة على بني أمية وبني العباس ، فلم يكونوا يؤيدون تلك الثورات ، فضلاً عن عدم الإشتراك فيها ومبايعة القائد .

ولقد اشترك أصحاب كل الثائرين ( زيد ومحمد النفس الزّكية ، وإبراهيم والحسين شهيد فخ ) في التّراجع عن تأييد الثوار في السّاعات الحرجة .

فلننظر إلى جند زيد بن علي :

لنرى هل إنه احتاط لنفسه وَخَبَرهم ، فوجدهم أوفياء للعهد عند الجلاد ؟ أو أنهم أبناء أصحاب جده الحسين عليه السلام الّذين كتبوا له بالمجيء ثم أسلموه ...

وللعلم فإن وجود زيد بن علي في الكوفة لم يكن لدعوة من أهلها كانت قد وجهت إليه ، وإنما لأسباب أخرى ليس لها علاقة ببحثنا الآن ، المهم أن نعرف أن زيداً كان في الكوفة أيام هشام بن عبد الملك عام ١٢٢هـ .

يقول الطّبري : فجعلت الشّيعة تختلف إلى زيد بن علي وتأمره بالخروج ويقولون إنّا لنرجو أن تكون المنصور وأن يكون هذا الزّمان الّذي يهلك فيه بنو أمية ، فأقام بالكوفة فجعل يوسف بن عمر[1] يسأل عنه

[1] – يوسف بن عمر كان والياً من قبل هشام بن عبد الملك على العراق .

فيقال هو هاهنا ، فيبعث إليه أن أشخص[1] فيقول نعم ويعتل له بالوجع ، فمكث ما شاء الله ، ثم سأل أيضاً عنه فقيل له هو مقيم بالكوفة بعدُ لم يبرح ، فبعث إليه ، فاستحثه ، فاعتلّ عليه بأشياء يبتاعها ، وأخبره أنه في جهازه ورأى جدّ يوسف في أمره ، فتهيأ ثم شخص حتى أتى القادسية وقال بعض الناس أرسل معه رسولاً حتى بلّغه العذيب ، فلحقته الشّيعة فقالوا له : أين تذهب عنا ومعك مائة ألف رجل من أهل الكوفة يضربون دونك بأسيافهم غداً وليس قبلك من أهل الشام إلاّ عدة قليلة لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكفتكهم بإذن الله تعالى ، فننشدك الله لما رجعت ، فلم يزالوا به حتى ردّوه إلى الكوفة[2].

وفي موضع آخر من الطّبري يقول :

وقالوا له نحن أربعون ألفاً إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلّف عنك أحد ، وأعطوه المواثيق والأيمان المغلظة ، فجعل يقول إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدي ، فيحلفون له ، فيقول له داود ابن علي بن عبد الله بن العباس ( وكان حاضراً ) : يا ابن عم إن هؤلاء يغرّونك من نفسك، أليس قد خذلوا من كان أعزّ عليهم منك جدّك علي بن أبي طالب؟حتى قتل ، والحسن من بعده ، بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه ؟ وانتهبوا فسطاطه وجرحوه ؟ أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له بأوكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ، ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه ؟ فلا تفعل ولا ترجع معهم فقالوا :

---

[1] - أشخص : بمعنى اخرج من هذا البلد .

[2] - الطَبري / ج ٩ / ص ١٦٧٦ ، مطبعة بريل ، في ليد عام ١٨٩٧ .

إنّ هذا لا يريد أن تظهر أنت ، ويزعم إنه وأهل بيته أحق بهذا الأمر منكم[1] .

فقال زيد لداود : إن علياً كان يقاتله معاوية بدهائه ونكرائه بأهل الشّام ، وإن الحسين قاتله يزيد بن معاوية والأمر عليهم مقبل[2] فقال له داود : إني لخائف إن رجعت معهم أن لا يكون أحد أشد عليك منهم وأنت أعلم .

ومضى داود إلى المدينة ورجع زيد إلى الكوفة[3] وأقبل إلى الكوفة فأقام بها مستخفياً يتنقل في المنازل ، وأقبلت الشّيعة تختلف إليه تبايعه ، فبايعه جماعة ، منهم سلمة بن كهيل ونصر بن خزيمة العبسي ومعاوية ابن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري وناس من وجوه الكوفة [4] .

وذكر الطّبري أيضاً أن عبد الله بن حسن كتب إلى زيد بن علي : يا ابن عم إن أهل الكوفة نفخ العلانية خَوَر السّريرة ، هرج في الرّخاء جزع في اللّقاء ، تقدمهم ألسنتهم ولا تشايعهم قلوبهم ، لا يبيتون بعُدة في الأحداث ولا ينوؤون بدولة مرجوة ، ولقد تواترت إليّ كتبهم بدعوتهم فصممت عن ندائهم وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم يأساً منهم وإطراحاً

---

[1] - تقول الدكتورة سميرة اللّيثي في كتابها ( جهاد الشّيعة ) ص ٥١- ٥٢ : وأثرت ثورة زيد بن علي في الدّعوة العباسية ، فقد شدّد الأمويون قبضتهم على العباسيين ودعاتها ، وأدرك العباسيون خطورة ثورة زيد على دعوتهم العباسية ، ولذا نرى داود ابن علي يحاول أن يثني زيداً عن الثورة .

[2] - ظن زيد إن ظروف الدّولة الأموية تسمح بالثورة في عهد هشام بن عبد الملك ولكن في الحقيقة وكما يقول ابن قتيبة (( لم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام ولا أعظم قدراً ولا أعلى صوتاً منه ، دانت له البلاد وملك جميع البلاد )) ابن قتيبة في الإمامة والسّياسة / ج ٢ / ص ١٣٠ .

[3] - الطّبري / ج ٩ / ص ١٦٨٠ .

[4] - ابن الأثير / ج ٤ / ص ٤٤٦ في حوادث سنة ١٢١ هـ

لهم ، وماهم مثل إلاّ ما قال علي بن أبي طالب : إن أهملتم خُضتم وإن حوربتم خُرتم وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم وإن اجلبتم إلى مشاقّة نكصتم[1] .

وذكر الطّبري أيضاً أن زيد بن علي عندما كان في القادسية بايعه جماعة من وجهاء الكوفة ، كان منهم سلمة ابن كهيل ، وعندما رجع إلى الكوفة ، جاء سلمة ابن كهيل نفسه ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فذكر قرابته من رسول الله ( ص ) وحقّه فأحسن ، ثم تكلم زيد فأحسن . فقال له سلمة اجعل لي الأمان ، فقال : سبحان الله مثلك يسأل مثلي الأمان ؟

وإنما أراد سلمة أن يسمع ذلك أصحابه[2] ثم قال له الأمان . فقال : نشدتك بالله كم بايعك ؟

قال : أربعون ألفاً

قال : فكم بايع جدك؟

قال : ثمانون ألفاً

قال : فكم حصل معه

قال : ثلاثمائة

قال : نشدتك الله أنت خير أم جدك ؟

قال : بل جدي

قال : فقَرنُك الّذي خرجت فيهم خير أم القرن الّذي خرج فيهم جدك ؟

---

[1] – الطّبري / ج ٩ / ص ١٦٨١ .

[2] – وكأنه هنا يريد أن يخذّل أصحابه أيضاً بعد أن يسمعوا كلامه ، ولعل سلمة ابن كهيل هذا هو أول المتخاذلين والمخذلين .

قال : بل القرن الّذي خرج فيهم جدي

قال : افتطمع أن يفي لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدك ؟

قال : قد بايعوني ، ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم

قال : افتأذن لي أن أخرج من البلد ؟

قال : لِمَ ؟

قال : لا آمن أن يحدث في أمرك حدث ، فلا أملك نفسي

قال : قد أذنت لك .

فخرج إلى اليمامة[1] .

إلى هنا رأينا كيف أقبل أهل الكوفة على زيد ، وكيف كانوا يشجعونه على الثورة .. فإن لك فيها مائة ألف أو أربعين ألفاً ...

ولكن لنرى كيف هم عند الطّعان ؟

يقول أبو فرج الأصفهاني إنّ زيداً لّما دنا خروجه ، أمر أصحابه بالإستعداد والتّهيؤ ، فجعل من يريد أن يفي له يستعد ، وشاع ذلك ، فانطلق سليمان بن سراقة البارقي إلي يوسف بن عمر وأخبره خبر زيد ، فبعث يوسف فطلب زيداً ليلاً ، فلم يوجد عند الرّجلين اللّذين سعي إليه أنه عندهما فأتي بهما يوسف ، فلما كلمهما استبان أمر زيد وأصحابه ، وأمر بهما يوسف فضربت أعناقهما .

وبلغ الخبر زيداً ، فتخوف أن يؤخذ عليه الطّريق فتعجّل الخروج قبل الأجل الّذي بينه وبين أهل الأمصار ، واستتب لزيد خروجه وكان قد

[1] - مقاتل الطّالبيين / لأبي الفرج الأصفهاني / ص ٩٢ .

وعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنين وعشرين ومائة ، فخرج قبل الأجل[1] .

فلما أصبح يوسف ، خرج إلى تل قريب من الحيرة ، فنزل عليه ومعه قريش وأشراف الناس ، وأمير شرطته يومئذٍ العباس بن سعيد المزني وبعث الرّيان بن سلمة البلوي في نحو من ألفي فارس وثلاثمائة من رجاله الناشبة ..

وأصبح زيد بن علي وجميع من وافاه تلك اللّيلة مائتان وثمانية عشر من الرّجالة ، فقال زيد بن علي ، سبحان الله فأين الناس ؟

قيل هم محصورون في المسجد

فقال : لا والله ، ما هذا لمن بايعنا بعذر[2].

وأقبل زيد بن علي فقال : يا نصر بن خزيمة[3] أتخاف أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية ؟[4] .

قال : جعلني الله فداك ، أما أنا فوالله لأضربن بسيفي هذا معك حتى أموت ثم استطاع زيد أن يجمع حوله بعض الأنصار ،

قال سعيد بن خيثم : وكنا مع زيد في خمسمائة وأهل الشّام إثنا عشر ألفاً[5] .

وانتهى زيد إلى دار أنس بن عمرو الأزدي ، وكان فيمن بايعه وهو في الدّار ، فنودي فلم يجبهم ، وناداه زيد ، فلم يخرج ،

---

[1] – مقاتل الطّالبيين / لأبي الفرج الأصفهاني / ص ٩٢ .
[2] – المصدر السابق / ص ٩٣ .
[3] – نصر بن خزيمة أبرز قواد زيد بن علي .
[4] – المصدر السّابق / ص ٩٤ .
[5] – المصدر السابق / ص ٩٥ .

فقال زيد : ما أخلفكم ، قد فعلتموها ، الله حسيبكم[1] .

ولم تطل الثورة والمعركة أكثر من ثلاثة أيام ، فلقد أصيب زيد بسهم في دماغه وجاؤوا له بطبيب ، فقال له : إنك إن نزعته من رأسك مت . .

قال : الموت أيسر علي مما أنا فيه[2].

قال : فأخذ الكلبتين ، فانتزعه ، فساعة انتزاعه ، مات .

فأين المقاتلون الّذين بايعوه على الموت ، مائة ألف ، أو أربعون ألفاً أو خمسة عشرة ألفاً ، فلقد تلخّص أولئك كلهم بخمسمائة محارب فقط ، في حين أن يوسف ابن عمر كان في أثني عشر ألفاً ، وبيده القوة والسّلاح والمدد من الأمصار ومن ورائهم الشّام .

وهذا هو زيد الّذي يعرف نتيجته الإمام الصّادق مسبقاً ، ويعرف أهل الكوفة جيداً الّذين سجل لهم التاريخ مواقفهم مع علي وأولاده عليهم السّلام ، وكان الصّادق يقول لزيد بن علي (( أعيذك بالله أن تكون المصلوب في كناسة الكوفة )) .

ولسنا هنا بصدد دراسة الأسباب الّتي أدّت إلى فشل ثورة زيد ابن علي عليه السلام ، فنحن في غنى عن ذلك الآن ، وإنما الّذي أثبتناه أن الإمام الصّادق ـــ وقد عاصر ثورة زيد ـــ كان يعلم بمصير زيد الّذي اعتمد على جيش منهزم ، وهو أحد الأسباب الّتي منعت الإمام الصّادق من تأييد ثورته والدّعوة إليه وإسناده .

[1] – ابن الأثير في تاريخه الكامل / ج ٤ / ص ٤٥٣ .

[2] – مقاتل الطالبيين / ص ٩٦ .

وهناك أسباب أخرى ، سوف نتطرق لها بالتدريج إن شاء الله .

وإذا عرفنا أن الإمام الصّادق عليه السلام ، كان يعلم مسبقاً بفشل ثورة زيد بن علي ، فليس معنى ذلك إنه كان مسروراً بصدق نبؤته وشامتاً ــ والعياذ بالله ــ فليس ذلك من خلق الأئمة عليهم السّلام ، بل إن الإمام الصّادق حزن على عمه زيد كثيراً فلننظر ذلك :

قال الفضيل : انتهيت إلى زيد بن علي عليه السلام صبيحة خرج بالكوفة فسمعته يقول : من يعينني منكم على قتال أنباط أهل الشام ؟ فوالذي بعث محمداً بالحق بشيراً ، لا يعينني منكم على قتالهم أحد إلاّ أخذت بيده يوم القيامة ، فأدخلته الجنة بإذن الله. فلما قتل ، اكتريت راحلة وتوجهت نحو المدينة فدخلت على الصّادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت في نفسي : لا أخبرته بقتل زيد بن علي ، فيجزع عليه ، فلما دخلت ، قال لي : يا فضيل ما فعل عمي زيد ؟

قال : فخنقتني العبرة

فقال لي : قتلوه ؟

قلت : إي والله قتلوه

قال : فصلبوه ؟

قلت : إي والله صلبوه

فأقبل يبكي ودموعه تنحدر على ديباجتي خده كأنها الجمان ،

ثم قال : يا فضيل شهدت مع عمي قتال أهل الشّام ؟

قلت : نعم

قال : فكم قتلت منهم ؟

قلت : ستة

قال : فلعلك شاك في دمائهم ؟

فقلت : لو كنت شاكاً ما قتلتهم

قال فسمعته وهو يقول : أشركني الله في تلك الدّماء ، مضى والله زيد عمي وأصحابه شهداء ، مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب وأصحابه [1] .

ثم فرّق الإمام الصّادق عليه السلام من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه ألف دينار ، وقال أبو خالد الواسطي : سلّم إليّ أبو عبد الله ألف دينار وأمرني أن أقسمها في عيال من أصيب مع زيد ، فأصاب عيال عبد الله بن الزّبير أخي فضيل الرّسّان منها أربعة دنانير [2] .

وحديث آخر ، يحدثه الرّضا عن جده الصادق عليهما السّلام فلنستمع إليه :

لما حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون ، وقد كان خرج بالبصرة وأحرق دور ولد العباس ، وهب المأمون جرمه لأخيه علي ابن موسى الرّضا عليه السلام وقال له :

يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل، لقد خرج قبله زيد ابن علي فقتل ، ولولا مكانك مني لقتلته ، فليس ما أتاه بصغير فقال الرّضا عليه السلام : يا أمير المؤمنين لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي عليه السلام فإنه كان من علماء آل محمد ، غضب لله عزّ وجلّ ، فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله .

---

[1] - البحار / ج ٤٦ / ص ١٧١ نقلاً عن أمالي الصّدوق .

[2] - البحار / ج ٤٦ / ص ١٨٧ .

ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام إنه سمع أباه جعفر بن محمد يقول : رحم الله عمي زيداً إنه دعا إلى الرّضا من آل محمد ، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ، وقد استشارني في خروجه ، فقلت له : يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك ، فلما ولّى ، قال جعفر بن محمد : ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه .

فقال المأمون : يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادّعا الإمامة بغير حقها ما جاء ؟

فقال الرّضا : إن زيد بن علي عليه السلام لم يدّع ما ليس له بحق وإنه كان أتقى لله من ذلك ، إنه قال : أدعوكم إلى الرّضا من آل محمد ، وإنما جاء ما جاء فيمن يدّعي أن الله نصّ عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم ، وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ﴾ [1] .

قلنا سابقاً إن امتناع الأئمة عليهم السّلام ـــ حسب رأينا ـــ عن البيعة للثائرين أو تأييدهم ، يمكن أن يندرج تحت عدة أسباب ، وذكرنا السّبب الأول وهو أن الأئمة كانوا يعرفون أن الّذين يبايعون الثائرين سرعان ما ينكصون عن البيعة ويتفرقون عنهم ، وتكلمنا عنهم ، وتكلمنا بإسهاب عن أصحاب زيد ، وسوف نتكلم عن أصحاب محمد النفس الزّكية ثم نتكلم عن أصحاب أخيه إبراهيم ، وأخيراً أصحاب الحسين شهيد فخ ، ثم بعدها نتكلم إن شاء الله عن السّبب الثاني :

---

[1] - البحار/ ج ٤٦ / ص ١٧٤ . نقلاً عن عيون أخبار الرّضا .

# أصحاب محمد النفس الزّكية

يقول ابن الأثير : لمّا جاء عيسى بن موسى بجيشه من قبل المنصور ورأى ( محمد النفس الزّكية ) كثرتهم وقلة جيشه ، اغتسل وتحنط ، فقال له عبد الله بن جعفر : بأبي أنت وأمي والله مالك بما ترى طاقة ، فلو أتيت الحسن بن معاوية [1] بمكة ، فإن معه جلّ أصحابك ، فقال لو خرجت لقتل أهل المدينة ، والله لا أرجع حتى أقتل أو أقتل وأنت في سعة ، فاذهب حيث شئت .

فمشى معه قليلاً ، ثم رجع عنه ، وتفرّق عنه جلّ أصحابه ، حتى بقي في ثلاثمائة رجل .. حتى قتل أخيراً [2] .

أما الطّبري فينقل عن أحد الّذين اشتركوا مع محمد : اجتمع مع محمد جمع لم أر مثله ، ولا أكثر منه ، إني لأحسب أنّا قد كنا مائة ألف ، فلما قرب عيسى ، خطبنا ( محمد ) فقال : يا أيها الناس إن هذا الرّجل قد قرب منكم في عدد وعدة وقد حللتم من بيعتي ، فمن أحبّ المقام فليقم ومن أحبّ الإنصراف فلينصرف .

فتسللوا حتى بقي في شرذمة ليست بالكثيرة [3] يقول الطّبري نفسه إنهم كانوا مائتين وخمسين رجلاً [4] .

---

[1] – الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار ، بعثه محمد النفس الزكية والياً على مكة .

[2] – الكامل لأبن الأثير ج ٥ / ص ١٥٩ .

[3] الطّبري ج١ / ص٢٣٠ .

[4] الطّبري / ج١٠ / ص ١٩٢ .

ومدة ثورته منذ خروجه إلى مقتله كانت شهرين وستة عشر يوماً ، إذ خرج في ٢٨ جمادى الآخرة وقتل في ١٤ رمضان ١٤٥ هـ .

وماذا كان يعتقد محمد النفس الزّكية رحمه الله ؟

هل يتركه المنصور ؟ وهو الّذي يريد الخلافة للأبهة والسّلطان ، وللدنيا ولذائذها .

هل يترك محمداً يثور ولا يجابهه ؟

لاشك أنه سوف يستغل جميع إمكاناته في القضاء على ثورة النفس الزّكيه الّذي كان يريد الخلافة لإقامة الدّين وإحقاق الحق ، وشتّان مابين الطّرفين بين من يريد الدّنيا فيتبع كل الطّرق ، حلالها وحرامها ، وبين من يريد الآخرة فيتحرّج عن الحرام ويتخلق بأخلاق الأولياء ، فيخسر المعركة الآنية ، تماماً كالحالة الّتي كانت بين علي ومعاوية ، وهي نفس الحالة الّتي تعرّض لها من قبل زيد بن علي مع بني أمية .

ولا نريد هنا أن نقول إنه كان على محمد النفس الزّكية وزيد ابن علي من قبل ، أن يتبعا نفس أسلوب أعدائهما ،لا ... فطرق الأعداء مرفوضة شرعاً ومرفوضة أخلاقياً ، ولكنهم كان ينبغي لهم أن يحسبوا لقوة الأعداء حسابها ( طبعاً لا يرد هذا الكلام في ثورة الحسين عليه السلام فذلك له حساب آخر ) فإن ثورته على يزيد أعادت للإسلام حياته ، وقد شرحنا ذلك فيما سبق من هذا الكتاب .

ثم إن محمد النفس الزّكية ، خرج من المدينة ، وهي مدينة ليس فيها رجال ولا سلاح بل ولا مال ، فكل تلك المقومات كانت موجودة

بالعراق وخراسان ، وقد أصاب العباسيون عندما بدأوا ثورتهم من خراسان .

ومحمد نفسه كان قد شعر بقلة رجاله وسلاحه ، عندما قربت الحرب ، فلننظر ماذا يقول أبو الفرج :

قال محمد : أشيروا علي في الخروج عن المدينة أو المقام ــ حين دنا عيسى بن موسى من المدينة ــ فقال قوم : نقيم وقال قوم نخرج ، فقال لعبد الحميد بن جعفر : أشر علي يا أبا جعفر قال : أنت في أقل بلاد الله فرساً وطعاماً وأضعفه رجلاً وأقله مالاً وسلاحاً تريد أن تقاتل أكثر الناس مالاً وأشدّه رجالاً وأكثره سلاحاً وأقدره على الطّعام ، الرّأي أن تسير بمن اتبعك إلى مصر فوالله لا يردك راد ، فنقاتل بمثل سلاحه وكراعه ورجاله وماله .

فقال جبير بن عبد الله : أعيذك بالله أن تخرج من المدينة فإن رسول الله ( ص ) قال عام أحد : رأيتني ، دخلت يدي في درع حصينة فأوّلها بالمدينة ، فترك محمد ما أشار به عبد الحميد وأقام [1] .

لقد مات محمد النفس الزّكية رحمه الله وما أصبح خليفة و لم يستطع أن يغيّر الوضع ، وخدعه الّذين بايعوه و لم يستمع لنصيحة الإمام الصّادق عليه السلام وتخلّف عنه أصحابه في السّاعة الحرجة ، و لم يختلف أصحاب محمد النفس الزّكية عن أصحاب زيد بن علي ، وإن كان هؤلاء في المدينة ومن أبناء المهاجرين والأنصار وأولئك في الكوفة ، فكلهم في الهزيمة سواء فقد بايع محمداً في البداية خلق كثير حتى ظنّ أنه سيطر على الوضع سيطرة

---

[1] – مقاتل الطّالبيين لأبي الفرج الأصفهاني / ص ١٨٠-١٨١ .

تامة ، ثم ظهر أن حساباته كانت خاطئة كلها ، فليس الّـذين بـايعوه صادقين عند النـزال .

ولهذا نرى أن الإمام الصّادق عليه السلام كان لا يشجع محمداً على الثورة ويحاول أن يردعه بشتى الأساليب ، ولكنه كان يجد نفسه أنه المنتصر حتماً والفرق بينه وبين الصّادق ، أن الصّادق كان قوي الملاحظـة ذا فراسـة شديدة وحنكة سياسية عظيمة يقرأ المستقبل في ورقة الحاضر .

أما النفس الزّكية ، فقد كان مغروراً بأولئك الّذين بايعوه ، وكـان منهم قوّاد لأبي جعفر المنصور كانوا يخدعونه بأهم معه إن ظهر ولم يكن نكوص أصحابه هو السّبب الوحيد في فشل ثورته ، وإنما هو واحد مـن الأسباب ، ولعلنا نتطرق للأسباب الأخرى إن شاء الله .

ولا ننسى أننا دلفنا إلى هذا الموضوع لمعرفة السّبب الّـذي دعـى الإمام الصّادق عليه السلام إلى أن يمتنع عن تأييده لأنه كان يعلم مسبقاً بفشـل ثورته الّتي اختفى من أجلها مدة طويلة وصارع أبوه من أجلها كثيراً .

وهذه الثورة وأمثالها وإن فشلت ، فإننا لا ننفي أنها حققت بعـض المكاسب للأئمة عليهم السّلام .

فلننظر إلى الإمام الصّادق عليه السلام ماذا يقول في هذه النقطة ، فقد ذكر الإمام الصّادق عليه السلام من خرج من آل محمد ، فقـال : (( لا أزال أنـا وشيعتي بخير ما خرج من آل محمد ، ولوددت أن الخارجي من آل محمـد خرج وعلي نفقة عياله ))[1] .

---

[1] - الأئمة الأثنا عشر / عادل الأديب / ص ١٧٥ .

فهل هناك تناقض بين هذا وبين أن يقول الإمام لزيد ( أعيذك بـــالله أن تكون المصلوب في كناسة الكوفة ) أو ما يقوله لمحمد ( أعيذك بالله أن تكون المقتول على أحجار الزّيت ) ثم يطلب محمد أن يبايعه الإمام ويمتنع.

فكيف نفسر هذا ؟

وهل فيه تناقض ؟

من عرف الإمام وطريقته في التّعامل مع سلاطين الجور ، ومن عرفه في علمه الثاقب وقوة بصيرته وحنكته السّياسية ، لا يجد في ذلك تناقضـــاً مطلقاً .

فالإمام يعتبر الحكم مغصوباً والحاكمين جائرين ، ليس في هذا شك ــ وقد مرّ بنا ذلك بوضوح ــ وثورة الثائرين تشعر الأمة وتذكرهم دائماً بالحق المغصوب .

وحيث أن زيداً ومحمداً ، كان كل منهما يريد أن يســتلم الحكــم ليقيم الحق ، فإن الإمام الصّادق عليه السلام ، كان يعلم إنهما لن يستطيعا ذلك ، فلا يؤيد خروجهما لهذا الهدف .

فالهدف لا يستطيعان أن يحققاه ، فإذا خرجا ، فليس معنى ذلك إنه عليه السلام كان غاضباً عليهما ، أو شامتاً بقتلهما ــ والعياذ بالله ــ كما يفعل عوام الناس ، إذا نهوا شخصاً عن عمل ، فعمله وفشل ، فيشمتون ، لأن نبؤتهم قد صدقت .

فإنهما كانا عزيزين عليه ، وكان يبكي عليهما ويذرف الـــدّموع ، يقول أبو الفرج :

كان جعفر بن محمد عليه السلام إذا رأى محمد بن عبد الله بن الحسن ، تغرغرت عيناه ثم يقول : بنفسي هو إن الناس ليقولون فيه ، وإنه لمقتول ، ليس هو في كتاب علي من خلفاء هذه الأمة [1] كما كان الإمام يوزع الأموال على عيال من استشهد مع زيد ( وقد مرّ بنا ذلك )وهما وإن استشهدا فإن شهادتهما كانت في سبيل الله وإن خروجهما كان لله ، لإقامة الحق المهدور والشّريعة المهيضة .

وكان الإمام الصّادق عليه السلام يتألم ويبكي أيضاً لعبد الله بن الحسن (والد محمد النفس الزّكية) يقول الرّاوي :

إني لواقف بين القبر والمنبر ، إذا رأيت بني حسن يخرج بهم من دار مروان مع أبي الأزهر يراد بهم الرّبذة، فأرسل إليّ جعفر بن محمد، فقال : ما وراءك ؟

قلت : رأيت بني الحسن يخرج بهم في محامل

فقال : أجلس ، فجلست

قال : فدعا غلاماً له، ثم دعا ربّه كثيراً ، ثم قال لغلامه : إذهب فإذا حملوا فأتِ فأخبرني .

قال : فأتاه الرّسول ، فقال قد أقبل بهم

فقام جعفر عليه السلام فوقف وراء ستر شعر أبيض من ورائه ، فطلع بعبدالله بن الحسن وإبراهيم بن الحسن وجميع أهلهم ، كل واحد منهم معادله مسوّد[2] فلما نظر إليهم جعفر بن محمد عليه السلام هملت عيناه حتى

---

[1] – مقاتل الطّالبيين / ص ٢٠٥ لأبي الفرج الأصفهاني .

[2] – المسوّدة : هم بنو العباس والعاملون معهم الذين يلبسون السّواد .

جرت دموعه على لحيته ، ثم أقبل علي فقال : يا أبا عبد الله والله لا تحفظ لله حرمة بعد هذا ...[1] .

ثم أرسل رسالة إلى عبد الله بن الحسن وأهل بيته يعزّيه عما صار إليه:

بسم الله الرّحمن الرّحيم إلى الخلف الصّالح والذّرية الطّيبة من ولد أخيه وابن عمه .

أما بعد ، فلئن كنت قد تفردت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ، ما انفردت بالحزن والغيظ والكآبة وأليم وجع القلب دوني ولقد نالني من ذلك من الجزع والقلق حرّ المصيبة مثل ما نالك ولكن رجعتُ إلى ما أمر الله جل وعزّ به المتقين من الصّبر وحسن العزاء [2] ثم يعدد الإمام عليه السلام آيات من القرآن الكريم تدعو للصبر .

أما زيد ، فإن الإمام الصّادق عليه السلام كان يقول ( إنه لو ظفر لوفى ...) والقصة سبق أن ذكرناها سابقاً دارت بين الإمام الرّضا عليه السلام وبين المأمون .

وحديث الإمام الصّادق عليه السلام ، هنا واضح جداً ، إنه كان يعلم أن زيداً سوف لا ينتصر ومن ثم سوف لا يحكم ، ( فإذا شاء أن يكون المقتول المصلوب فشأنه ) .

[1] - البحار / ج ٤٧ / ص ٣٠٤ .
[2] - المصدر السابق / ص ٢٩٩ .

أما إبراهيم بن عبد الله ( أخو النفس الزّكية ) ، فقد كان جيشه كبيراً ، لأنه ظهر في البصرة ، وكان له امتداد إلى الكوفة من جانب وإلى الأهواز من جانب آخر .

ولعل قوة إبراهيم كانت أقوى من الحركتين السّابقتين (زيد ومحمد) فقد كان جيشه كثيفاً وماله كثيراً وسلاحه متوفراً ، ولكن درايته في الحرب كانت قليلة ، كما كان مستشاروه ضعاف التّجربة ، وقد كاد يقضي على أبي جعفر المنصور ، حتى إنه هيأ الإبل ليهرب عليها .

ولكن الضّعف العسكري الّذي كان يمتاز به إبراهيم أدّى إلى انهزام جيشه في المعركة الحاسمة ، فلم يبق معه في تلك المعركة إلاّ أربعمائة أو ستمائة رجل ، ثم جاءه سهم عاثر فوقع في حلقه فنحره فتنحّى من موقفه وقال أنزلوني ، فأنزلوه عن مركبه وهو يقول (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) أردنا أمراً وأراد الله غيره .

وكانت الفترة من ظهوره إلى شهادته رضوان الله عليه ثلاثة أشهر إلاّ خمسة أيام ، أي أكثر من أخيه محمد بتسعة أيام فقط[1] .

قلنا إن إبراهيم لم يكن قائداً عسكرياً محنكاً ، فإنه رحمه الله حقق كثيراً من الانتصارات ، حتى أصيب عيسى بن موسى قائد الجيش العباسي بسهم ، فاضطر إلى الإنسحاب مع جنده ، وتبعهم جند إبراهيم ، فنادى منادي إبراهيم : ألا لا تتبعوا مدبراً فعاد هؤلاء الجند ، وظن جند عيسى

[1] - ابن الأثير في الكامل / ج ٥ / ص ١٧٤ .

أن الهزيمة قد لحقت بجند إبراهيم المنسحبين ، فتبعوهم ونجحوا في إلحـــاق الهزيمة بهم وأصيب إبراهيم بسهم قاتل[1] .

وهو هذا الّذي كان يعرفه الإمام الصّادق عليه السلام ويقول لأبيه عبد الله ابن الحسن عندما كان ينهاه عن خروج ولديه ( محمد وإبـــراهيم ) : وإن هذا ــ يعني أبا جعفر المنصور ــ يقتله على أحجار الزّيت ثم يقتل أخــاه بعده بالطفوف وقوائم فرسه في الماء[2] .

---

[1] - جهاد الشّيعة / د. سميرة مختار اللّيثي / ص ١٦٢ .
[2] - البحار / ج ٤٧ / ص ١٦٠ .

# الحسين صاحب فخ

كان رحمه الله أقل حظاً من ولدي عمه ( محمد وإبراهيم ) في جنده وسياسته العسكرية ، فكل جنده كان في البداية ، ستة وعشرين رجلاً من آل علي بن أبي طالب وعدداً من فتيانهم ومواليهم وعشرة من الحجاج الشّيعة ، لأنه ظهر أيام الحج في شهر ذي القعدة عام ١٦٩ هـ أيام موسى الهادي .

ثم أرسل الحسين بعض رسله للاتصال بعبيد مكة لينضموا إليه ووعدهم بتحريرهم ، ولكن ذلك كله لم يكن جيشاً قادراً على الوقوف أمام جيش العباسيين ، فقضى ـــ عليه الرّحمة ـــ سريعاً في ملحمة مأساوية احتزّ العباسيون رأس الحسين نفسه ورؤوس أصحابه ، وبلغ عدد الرّؤوس أكثر من مائة رأس .

وكان العباسيون قد احتجزوا عدداً من العلويين ، فيهم الإمام موسى بن جعفر ، فسألوه أن يشير إلى رأس الحسين ، فأشار إلى رأسه ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، مضى والله مسلماً صالحاً صواماً قواماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، ما كان في أهل بيته مثله [1] .

في حين نجد أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام نهى حسيناً عن هذه المغامرة ، يقول صاحب البحار : لما خرج الحسين بن علي المقتول بفخ

[1] – جهاد الشّيعة / ص ٢٦٨ .

واحتوى على المدينة دعا موسى بن جعفر عليه السلام إلى البيعة فأتاه فقال له : يا ابن عم لا تكلفني ما كلف ابن عمك عمّك أبا عبد الله عليه السلام فيخرج فيما لا أريد كما خرج من أبي عبد الله عليه السلام ما لم يكن يريد .

فقال له الحسين : إنما عرضت عليك أمراً فإن أردته دخلت فيه ، وإن كرهته لم أحملك عليه والله المستعان ، ثم ودّعه .

فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام حين ودّعه : يا ابن عم إنك مقتول فأجدّ الضّراب ، فإن القوم فسّاق ، يظهرون إيماناً ويسرّون شركاً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، احتسبكم عند الله من عصبة ، ثم خرج الحسين وكان في أمره ما كان ، قتلوا كلهم كما قال الإمام عليه السلام[1] ولا نجد في هذا تناقضاً .

فالإمام عليه السلام يعلم أن الحسين بن علي سوف يقتل كما يقتل الّذين خرجوا معه ، ولكنه حيث وجده مصمماً على الخروج أمره أن يجدّ الضّراب لئلاّ يقتل بسهولة .

أما كيف علم الإمام أن الحسين سوف يقتل ، فذلك واضح جداً من معرفته الشّخصية بابن عمه ( الحسين ) من حيث الجند والحنكة السّياسية والإدارة العسكرية ، وأخيراً من الأخبار الّتي يتوارثها الأئمة عليهم السّلام واحداً بعد آخر فيمن يملك ناصية المسلمين .

---

[1] - البحار ج ٤٨ ص ١٦٠ – ١٦١ .

ذكرنا فيما سبق أن امتناع الأئمة عليهم السّلام عن بيعة الثائرين ، يندرج تحت عدة أسباب ، ذكرنا منها أولاً عدم إخلاص جند الثائرين ، وهنا سوف نتطرق إلى السّبب الثاني :

إن كل أولئك الثائرين الأربعة ( زيد ومحمد وإبراهيم وشهيد فخ ) كانوا رجالاً أتقياء من الدّرجة الأولى ، وكان يشار إليهم بالبنان ، وليست هذه الصّفات ( التّقوى والورع ) منقصة فيهم ، كلا بل هي منقبة لهم وعلو ورفعة ويا ليت كل الناس يكونون مثلهم .

ولكن النقطة المهمة هي أن الحرب كانت تجري بين رجلين ، بين شخص ماكر ، لئيم وخبيث ، ليس له شأن بالدين ، يرتكب كل الموبقات من أجل أن يكسب الجولة وبين رجل عابد زاهد ورع ، يخشى الله حتى في أحرج حالات الاشتباك الحربي ، فلا يكاد يقترف محرّماً .

وتلك مسألة واضحة جداً ، بين من يريد الخلافة للفسق والفجور وملاذ الحياة وبين من يريدها لإقامة دين الله ونشر شريعته في الأرض ، فهذا يتحرّج ويتوقى ، وذلك يقترف كل أشكال الظّلم والخسّة .

وليس معنى هذا أيضاً ، أن يترك المجرمون الظّالمون دونما ردع ، كلا ولكن على من يريد أن يصارع أولئك أن يكون له الجند الكافي ، وأن تكون له من الخطط العسكرية والسّياسية ما يستطيع به أن ينتصر على كل محاولات الأعداء ، حتى إذا كان هذا لا يحيد عن منهاج الشّريعة

وكان ذلك يقترف كل الأساليب بلا ورع ( طبيعي جـداً أن معركـة الحسين عليه السلام مع يزيد لها حساب آخر ، بيناه فيما سبق بما فيه الكفاية ) .

ولنذكر هنا شيئاً يسيراً عن خلق وورع كل واحـد مـن أولئـك الثائرين :

## زيد بن علي :

يحدّث عبد الله بن مسلم بن بابك ، قال خرجنا مع زيد بن علي إلى مكة ، فلما كان نصف اللّيل واستوت الثريا فقال : يا بابكي أما تـرى هذه الثريا ؟ أترى أحداً ينالها ؟

قلت : لا

قال : والله لوددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع فاتقطع قطعة قطعة وأن الله أصلح بين أمة محمد ( ص ) [1] فكم كان زيد حريصاً على الإسلام الّذي مزّقه حكام بني أمية ؟ إنه الإسـلام المهـيض الّذي دفعه لأن يثور على هشام ولورعه وتقواه وعلمه ، يقول عبد الله ابن جرير : رأيت جعفر بن محمد ( الصّادق ) يمسك لزيد بن علي بالركاب ويسوّي ثيابه على السّرج[2] .

[1] - مقاتل الطّالبيين / ص ٨٧ .

[2] - المصدر السابق / ص ٨٧

ويروي جابر عن الباقر عليه السلام : قال : قال رسول الله ( ص ) للحسين (( يخرج رجل من صلبك يقال له زيد يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرّاً محجلين يدخلون الجنة بغير حساب ))[1] .

ويقول أبو الجارود : قدمت المدينة فجعلت كلما سألت عن زيد ابن علي قيل لي ذاك حليف القرآن[2].

وقيل في سبب خروجه : إن زيد بن علي وعبد الله بن الحسن تنازعا يوماً بين يدي خالد بن عبد الملك[3] بالمدينة ، فذكر أن خالداً قال لهما : أغدوا علينا غداً فلست لعبد الملك إن لم أفصل بينكما ، فباتت المدينة تغلي كالمرجل ، يقول قائل ، قال زيد ويقول قائل قال عبد الله كذا .

فلما كان الغد جلس خالد في المجلس واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشاتما فذهب عبد الله يتكلم .

فقال زيد : لا تعجل يا أبا محمد أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً ، ثم أقبل على خالد فقال : أجمعت ذرية رسول الله ( ص ) لأمرٍ ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر ؟ فقال خالد : ما لهذا السّفيه أحدٌ ؟

فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم ، فقال يا ابن أبي تراب وابن حسين السّفيه ، أما ترى للوالي عليك حقاً ولا طاعة ؟

---

[1] - المصدر السابق / ص ٨٨ .

[2] - المصدر السابق / ص ٨٨ .

[3] - والي المدينة من قبل هشام بن عبد الملك .

فقال زيد : أسكت أيها القحطاني فإنا لا نجيب مثلك

قال : ولم ترغب عني ؟ فوالله إني لخير منك وأبي خير من أبيك وأمي خير من أمك . فتضاحك زيد ، وقال : يا معشر قريش هذا الدّين قد ذهب فذهبت الأحساب ؟ فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال : كذبت والله أيها القحطاني ، فوالله لهو خير منك نفساً وأماً وأباً ومحتداً وتناوله بكلام كثير ، وأخذ كفاً من حصباء وضرب بها الأرض ، ثم قال : إنه والله ما لنا على هذا من صبر .

وشخص [1] زيد إلى هشام بن عبد الملك ، فجعل هشام لا يأذن له ، فيرفع إليه القصص ، فكلما رفع قصة ، يكتب هشام في أسفلها ارجع إلى منزلك ، فيقول زيد : والله لا أرجع إلى خالد أبداً .

ثم أذن له يوماً بعد طول حبس [2] وأمر خادماً أن يتبعه بحيث لا يراه زيد ويسمع ما يقول .

فصعد زيد ـــ وكان بديناً ـــ بعض الدّرجة ، فسمعه يقول : والله لا يحب الدّنيا أحد إلاّ ذل ، ثم صعد إلى هشام ، فحلف له على شيء ، فقال هشام : لا أصدقك .

---

[1] ـــ شخص إلى الشّام : أي توجه وسافر إلى الشام .

[2] ـــ بعد طول حبس : أي بعد طول تأخير وعدم الأذن له بالدخول .

فقال زيد : يا أمير المؤمنين إن الله لا يرفع أحداً عن أن يرضى بالله ولم يضع أحداً عن أن لا يرضى بذلك منه .

فقال هشام : لقد بلغني يا زيد إنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هنالك وأنت ابن أمة .

قال زيد : إن لك جواباً .

قال هشام : فتكلم .

قال زيد : إنه ليس أحد أولى بالله ولا أرفع درجة عنده من نبي اتبعته وقد كان إسماعيل إبن أمة وأخوه ابن صريحة ، فاختاره الله عليه وأخرج منه خير البشر ، وما على أحد من ذلك إذا كان جده رسول الله وأبوه علي بن أبي طالب ، ما كانت أمه .

قال له هشام : أخرج .

قال زيد : اخرج ، ثم لا أكون إلاّ بحيث تكره .

فقال له سالم : يا أبا الحسين لا تظهرنّ هذا منك ، فخرج من عنده وسار إلى الكوفة .

فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب : أذكّرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ولا تأتِ أهل الكوفة فإنهم لا يفون لك فلم يقبل ، فقال له زيد : خرج بنا أسرى على غير ذنب من الحجاز إلى الشّام ثم إلى الجزيرة ثم إلى العراق ، إلى قيس ثقيف ، يلعب بنا وقال :

بكرت تخوفني المنـون كأنني أصبحت عن عرض الحياة بمعزل

فأجبتها أن المنيـــة منـــهـــل		لا بد أن أسقى بكأس المنـــهل
إن المـــنية لو تمـــثل مثـــلت		مثـــلي إذا نزلوا بضيق المنـــزل
فاقني حياءك لا أباً لك واعلمي		إني أمرؤ سأمـــوت إن لم أقتل

أستودعك الله وإني أعطي الله عهداً إن دخلت يدي في طاعة هؤلاء ما عشت وفارقه وأقبل إلى الكوفة[1].

من هذا يتبيّن لنا أن زيداً رحمه الله كان ينوي الخروج على هشـــام ابن عبد الملك قبل أن يواجه هشاماً ، ولذلك فإن هشاماً يواجهه بهـــذه الكلمات ( لقد بلغني أنك تذكر الخلافة وتتمناها ... ) وليس كما يقول بعض المؤرخين أن هشاماً أغاضه ففكر بالثورة عليه .

لقد كان شعاره في خروجه ( يا منصور أمت ) وهو شعار رسول الله (ص) يوم أحد ، وكان من خلقه رحمه الله في الحرب أن يوسف ابن عمرو والي الكوفة يومئذٍ من قبل هشام بن عبد الملك ، كان على التّـــل ينظر إليه هو وأصحابه وبين يديه حزام بن مرة المزني وزمزم بـــن ســـليم الثعلبي وهما على المجففة ومعه نحو من مائتي رجل : والله لو أقبـــل علـــى يوسف لقتله [2]، ولكنه لم يحمل عليه و لم يقتله وهو قادر على ذلك ، لأن يوسف كان واقفاً هو وجماعته ينظرون ولا يحاربون ، فليس من خلق زيد أن يحمل على جماعة لم يقاتلوه ، إنه خلق عظيم ، ولكن خلق يوســـف

[1] ـــ ابن الأثير /ج ٤ /ص ٤٤٤ ـــ ٤٤٦ .
[2] ـــ الطّبري / ج ٩ / ص ١٧٠٤ .

وخلق هشام من ورائه شيء آخر ومن طراز آخر ، لا يوائم هذا الخلق خلق أولئك الطّغاة .

وزيد وهو في ساحة الحرب المحتدمة يسمع رجلاً من أهل الشام لم يزل شتماً لفاطمة بنت رسول الله ( ص ) ، فجعل يبكي حتى ابتلت لحيته وجعل يقول :

أما أحد يغضب لفاطمة بنت رسول الله ( ص ) ، أما أحد يغضب لرسول الله ( ص ) أما أحد يغضب لله ؟

فقتله أحد أصحاب زيد ، فجعل زيد يقبل بين عيني الرّجل ويقول : أدركت والله ثأرنا ، أدركت والله شرف الدّنيا والآخرة وذخرها[1]

كان زيد رحمه الله يقول لأهل الكوفة : إنما ندعوكم إلى الله وسنة نبيه ( ص ) وإلى السّنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ ، فإن اجتمونا سعدتم وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل[2] .

هذا هو زيد بن علي ، وقد رأينا شيئاً من خلقه ودينه وإذا أردنا أن نقارنه بهشام بن عبد الملك فلنقرأ ما كتبه ابن الأثير :

فإنه يقول : فلما ولي هشام أكرم الوليد بن يزيد ( ولي عهده ) حتى ظهر من الوليد مجون وشرب الشّراب ، وولاّه هشام الحج سنة ست عشرة ومائة ، فحمل معه كلاباً في صناديق وعمل قبة على الكعبة

---

[1] -مقاتل الطّالبيين / ص ٩٥ – ٩٦ .

[2] - ابن الأثير / ج ٤ / ص ٤٥٢ .

ويشرب فيها الخمر ، فخوّفه اصحابه ، وقالوا : لا تأمن من الناس عليك وعلينا معك ، فلم يفعل[1] .

إلى هنا ينتهي دور زيد بن علي رحمه الله الّذي وجـــدناه قـــدوة في الأدب والخلق والدّين والإباء والشّجاعة والإقدام ، حيث واجه أعتى ملك من ملوك بني أمية ( هشام بن عبد الملك ) ثأراً للدين .

ولكن الإمام الصّادق ، كان يعلم أنه المقتول المصلوب في كناســـة الكوفة ، ويعيذه بالله من ذلك ويحاول أن يثنيه ، ولكن زيـــداً مضـــى في طريقه ، وتحققت نبوءة الإمام عليه السلام .

❁❁❁

[1] – المصدر السابق / ص ٤٦٧ .

# محمد النفس الزّكية

أطلق القوم عليه ( النفس الزّكية ) ويفسر المسعودي[1] هذه التّسمية فيقول : وكان يدعى بالنفس الزّكية لزهده ونسكه ، كما أطلق عليه أيضاً اسم ( المهدي ) وفي ذلك يقول صاحب الفخري[2] كان النفس الزّكية من سادات بني هاشم ورجالهم فضلاً وشرفاً وديناً وعلماً وشجاعة وفصاحة ورئاسة وكرامة ، وكان في ابتداء الأمر قد شيع بين الناس أنه المهدي الّذي بشرّ به وأثبت أبوه هذا في نفوس طوائف من الناس .

ومن نسكه وتقواه أن أنصاره أرادوا إغتيال أبي جعفر المنصور حينما حج في سنة ١٤٠ هـ وتعهد الأشتر عبد الله بن محمد ( النفس الزّكية ) بذلك ولكن النفس الزّكية رفض هذا المشروع وقال : والله لا أقتله أبداً غيلة حتى أدعوه ، وكان قد انضم إلى هؤلاء المتآمرين قائد من قواد الخليفة يدعى خالد بن حسان ، وهو من أهالي خراسان ، وعلم المنصور بأمر هذا القائد وحاول القبض عليه ولكنه أخفق في ذلك ووجه النفس الزّكية هذا القائد إلى خراسان للدعوة إليه ، وانتقم المنصور منه بأن قتل كثيراً من رجاله[3] .

في حين نجد أن المنصور يبحث عنه ويحبس أهل بيته ويعذبهم ويقتلهم قبل أن يثوروا عليه ، ولو كان ( النفس الزّكية ) قد قتل المنصور

[1] - مروج الذّهب / ج ٣ / ص ٣٠٦ .
[2] - الفخري / ص ١٤٨ .
[3] - الطّبري / ج٦ / ص ١٦١ - ١٦٢ .

فإنه يزيل من أمامه عقبة كأداء ، ولربما تتيسر له الأمور ويتولى الحكم ولكن دافع التّقوى عنده كان أقوى من دافع الغلبة والحكم .

وتتكرر عملية تشبه ذلك يوم خروجه ، فقد فوجئ والي المدينة رباح بن عثمان بن حيان بقيام الثورة ، فلم يستطع أن يحرك ساكناً و لم يجد مفراً غير الاعتصام بدار مروان ، وهدم درج الدّار حتى لا يصل الثوار إليه ، و لم يجد رباح ما ينفس به حنقه وسخطه غير كلمات عنيفة وجهها إلى مجالسيه ، حيث قال :

يا أهل المدينة ، أمير المؤمنين يطلب بغيته في شرق الأرض وغربها وهو ينتفق بين أظهركم ، أقسم بالله لئن خرج لا أترك منكم أحداً إلاّ ضربت عنقه[1] و لم يجد رباح من يؤيده من أهل المدينة ، غير بني زهرة ، فقدم بعضهم بسلاحه إلى دار الإمارة لحماية الوالي العباسي ، بينما آثر بنو سلمة الانضمام إلى محمد النفس الزّكية .

قدم زعيم الثورة مع أنصاره إلى دار الإمارة فاقتحموه واستولوا على بيت المال وقبضوا على رباح وعلى أخيه عباس بن عثمان وحبسوهما في دار مروان[2] فلقد وجد أن رباحاً هرب والتجأ إلى دار الإمارة و لم يحمل سيفاً ، فهل يجوز له أن يقتله ؟

هكذا كان يفكر محمد ، حتى في أحلك السّاعات مع أشد الأعداء .. وإذا قارنّا ذلك بما فعله المنصور مع الّذين خرجوا مع النفس الزّكية لوجدنا بوناً شاسعاً .

---

[1] - المصدر السابق / ص ١٨٥ .
[2] - مقاتل الطالبيين / ص ٢١٣ .

وأبلى محمد في حربه مع جيش المنصور الّذي كان بقيادة عيسى ابن موسى ، كما أبلى رجاله بلاء حسناً واستبسلوا في القتال وصاح عيسى ابن موسى يعرض الأمان على النفس الزّكية وبذل له كثيراً من الوعود ، ولكن محمداً رفض دعوته وأصرّ على القتال وقال : ( لا يثنيني عنكم فزع ولا يقربني منكم طمع ) وأبدى شجاعة نادرة حتى أنه قتل من أعدائه في ذلك اليوم سبعون رجلاً[1] وكان شعاره (( أحد أحد )) وهو شعار رسول الله ( ص ) يوم حنين[2] .

وحتّى عيسى بن موسى قائد المنصور ، كان يعرف محمداً في دينه وتقواه ، فقد احتز حميد بن قحطبة رأس محمد وحملها إلى عيسى ابن موسى ، ووضع القوم الرأس بين يدي عيسى ، فسألهم ما تقولون في هذا؟

فحاول بعضهم الإساءة إلى محمد النفس الزّكية ، فنهاهم عيسى عن ذلك وقال :

كذبتم والله وقلتم باطلاً ، ما على هذا قاتلناه ، ولكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصا المسلمين وإنه كان لصواماً قواماً [3] .

هكذا كان محمد رحمه الله ونحن لا نشك ، بل نعتقد أن خروجه كان لله وقتله كان في سبيل الله .

---

[1] - الطّبري / ج ٦ / ص ٢١١ .
[2] - المصدر السابق / ص ٢١٣ / وابن قتيبة في المعارف / ص ١٦٤ .
[3] - المصدر السابق / ص ٢٢٠ .

ولكن الإمام الصّادق الّذي نهاه عما يريد أن يقدم عليه ويعيذه بالله أن يكون المقتول على أحجار الزّيت ، فذلك لأنه يعلم بقوة عدوه المنصور وشراسته ، وضعف قوة محمد العسكرية بالإضافة إلى أن المنصور وجيشه سوف لا يتركون أية وسيلة في الخسّة والدناءة إلاّ ارتكبوها في القضاء على قوة محمد النفس الزّكية الّذي كان يتورع عن ارتكاب المحرّمات حتى في ساحة الحرب ، بل إنه كان يتورع عما يشين الإنسان من الخلق الدّنيء ، كما رأينا ذلك في موضوع والي المنصور على المدينة (رباح بن عثمان بن حيان).

وهكذا كان محمد النفس الزّكية ( علم وتقوى وأدب وإباء وشمم وخلق ودين وشجاعة ونبل ) يشهد له بذلك أعداؤه ، ولكن هذه الصّفات كلها لا تخوله أن ينتصر على المنصور الّذي تتوفر فيه صفات على النقيض ، وهو هذا الّذي كان يعرفه الإمام الصّادق عليه السلام وينهى محمداً عن الولوج في حرب هو الخاسر فيها .

## أخوه إبراهيم

كان جارياً على شاكلة أخيه محمد في الدّين والعلم والشّجاعة والشّدة [1] وكان عسكره أكثر من عسكر أخيه ، فقد قيل إن ديوانه أحصى مائة ألف جندي[2] .

[1] - مقاتل الطالبيين / ص ٢١٠ .
[2] - الكامل لأبن الأثير / ج ٥ / ص ١٧٢ .

ولكنه كأخيه لم يكن تدبيره العسكري جيداً في مقابل جيش أبي جعفر المنصور ، وهو كسابقيه أيضاً ( زيد والنفس الزّكية ) كانت مواقفه الشّرعية وإلتزامه الدّيني وتقواه تمنعه من ارتكاب بعض الأمور الّتي لا يتورع عنها أبو جعفر المنصور وأمثاله .

ونعيد الكلام هنا ، إننا لا ننعى عليه تدينه وتقواه ، ولكننا نقول : إن من تكون هذه صفاته وأخلاقه وتدينه فلا يتوقع أن يكسب جولة حربية أمام طاغية يرتكب كل الأساليب سواء كانت توافق الشّرع أو لا توافقه .

فلننظر إلى إبراهيم رحمه الله وهو في البصرة وقد استولى عليها ، يقول الرّاوي : إن إبراهيم دخل المسجد فبينما هو يتكلم إذ أتاه آتٍ، فقال : هذان جعفر ومحمد[1] قد اقبلا في مواليهما ، فصاح إبراهيم بالمضاء والطّهوي وقال : إذهبا إليهما ، فقولا لهما : يقول لكما ابن خالكما : إن أحببتما جوارنا ففي الأمن والرّحب ، لا خوف عليكما ولا أحد تؤمنانه وإن كرهتما فحيث شئتما ، فاذهبا ولا تسفكا بيننا وبينكم دماً ، وإياكما أن تبدآهما بقتال[2] و لم يكتف إبراهيم بذلك بل إنه مضى بنفسه حتى وقف على باب زينب بنت سليمان ، فنادى بالأمان ( لآل سليمان) وأن لا يعرض لهم أحد[3].

[1] – جعفر ومحمد ولدا سليمان بن علي عم المنصور الدّوانيقي .
[2] – المقاتل / ص ٢١٥ .
[3] – الكامل / ج ٥ / ص ١٧٠ .

ومن خلقه رحمه الله أنه لما ظهر بالبصرة أرسل إلى محـــمد بن عطية ــ مولى باهله ــ وكان قد وليّ لأبي جعفر المنصور بعض أعمال فـــارس فقال: هل عندك مال ؟

قال : لا والله

قال إبراهيم : خلّو سبيله

فخرج ابن عطية فخرج ابن عطية وهو يقول بالفارسية : ليس هذا من رجال أبي جعفر[1] فرجال أبي جعفر يستعملون السّــياط والحــبس والقتل...

ويذكر المسعودي أيضاً في رواية له عن محمد بن طلحـــة العــذري قال: أرسل إبراهيم إلى أبي وقد استخفى منه ، إن عندك مالاً فإتنا بـــه، فأرسل إليّ أي أجل إن عندي مالاً فإن أخذته مني أغرمنيه أبو جعفـــر فاضرب عنه[2] .

غريب أمر إبراهيم ، فهو يحارب أبا جعفر المنصور ويريد أن يقضي على دولته ، ثم يعتذر له عامل أبي جعفر ، بأني إذا أعطيت المال أغرمنيه أبو جعفر ، فأضرب عنه .

فكيف يضرب عن المال ؟ ولا يضرب عن رأس أبي جعفر ؟

---

[1] - المقاتل / ص ٢٢١ .
[2] - المصدر السابق / ص ٢٢٢ .

وأرسل إبراهيم إلى عبد الحميد بن لاحق ، فقال : بلغني إن عندك أموالاً للظلمة ، فقال ما لهم مال ، قال : الله ؟ قال : الله ، فتركه وقال : إن ظهر لي أن لهم عندك مالاً عددتك كذاباً [1] .

سامحك الله يا إبراهيم ، أين أنت جالس ؟

في المدرسة أم في المسجد لتعلم الناس الأخلاق ، أم أنت في ساحة الحرب ؟

وإذا كنت تتعامل مع الأعداء بهذه الأخلاق ، فلماذا دخلت حرباً ضروساً ؟

وأسّر إبراهيم رجلاً يعرف بمحمد بن يزيد من قواد أبي جعفر وكان تحته فرس يحاذي رأسُه رأسَه ، قال : فحدثني ــ يعني محمد بن يزيد ــ قال : أرسل إليّ إبراهيم أن بعني فرسك .

قال : فقلت هو لك يا ابن رسول الله

فقال إبراهيم لأصحابه : كم يساوي ؟

قالوا : ألفي درهم

فبعث إليّ بألفين وخمسمائة درهم ، فلما أراد المسير أطلقني[2] وأخذ إبراهيمُ حميد بن القاسم ــ وكان عاملاً لأبي جعفر المنصور ــ فقال له المغيرة [3] : إدفعه إليّ .

---

[1] – المقاتل / ص ٢٢٢ .
[2] – المصدر السابق / ص ٢٢٢ .
[3] – المغيرة هو أحد قواد إبراهيم .

قال إبراهيم : وما تصنع به ؟

قال أعذبه

قال إبراهيم : لا حاجة لي في مال لا يؤخذ إلاّ بالعذاب[1] المال مال أبي جعفر المنصور وليس مال هذا الرّجل وإذا أردت أن تحارب أبا جعفر وتقتله فكيف لا يجوز لك أن تأخذ الأموال الّتي جبيت له ؟ .

إن هذه أخلاق العلماء الأتقياء الصّالحين وهي أخلاق مستوحاة من أخلاق رسول الله ( ص ) الّذي كان الله سبحانه وتعالى يسدده وينصره من نصر إلى نصر ، وكان رسول الله ( ص ) يحارب ويقتل ويؤسّر ويغنم ويدعو الله سبحانه وتعالى بالنصر .

ونعيد هنا أيضاً أننا لا نريد ممن يحارب المنصور وأمثال المنصور أن يرتكب الموبقات ولكننا نقول إن شخصاً كهذا لا يمكن أن ينتصر ، وكان ذلك واضحاً لدى الإمام الصّادق عليه السلام ما كان عليه إبراهيم من دين وخلق وما كان عليه المنصور من طغيان وابتعاد عن الدّين والأخلاق.

ويقول محمد بن زكريا الصّحاف : خرج مع إبراهيم بن عبد الله ، عبد الله بن جعفر المدائني ، فقال له ليلة : قم بنا حتى نطوف في العسكر فقام معه فسمع في ناحية عسكره صوت طنبور ، فاغتمّ لذلك وقال لعبد الله بن جعفر : ما أرى عسكراً فيه مثل هذا ينصر[2].

[1] - المصدر السابق / ص ٢٢٣ .
[2] - المقاتل / ص ٢٣٧ .

هذا هو إبراهيم ﷺ كله ورع وتقوى ، ولا يغفل عن ذلك أحلك السّاعات .

وأشار عليه جنده ، عندما جاء عيسى بن موسى[1] على جيش المنصور لقتاله ، أشاروا عليه أن يبّيته[2] فقال إبراهيم : أكره البيات إلاّ بعد الإنذار .

ومن خلقه رحمه الله في الحرب ، إنه نهى جنده عن أن يتبعوا المدبرين من الجند العباسي مما أدّى إلى هزيمة جنده ومصرعه ، رغم أن أبا حنيفة ، كان قد بعث برسالة إلى إبراهيم جاء فيها : إذا أظفرك الله بعيسى وأصحابه فلا تسر فيهم مسيرة أبيك في أهل الجمل فإنه لم يقتل المنهزم ولم يأخذ الأموال ولم يتبع مدبراً ولم يذفّف على جريح لأن القوم لم يكن لهم فئة ، ولكن سر فيهم بسيرته يوم صفين ، فإنه سبى الذّرية وذفّف على الجريح وقسم الغنيمة ، لأن أهل الشّام كانت لهم فئة وكانوا في بلادهم[3]

**وذكر الطبري ما يلي :**

قال المضاء[4] لما نزلنا باحمرى أتيت إبراهيم فقلت له : إن هؤلاء القوم مصبحوك بما يسدّ عليك مغرب الشّمس من السّلاح والكراع وإنما

[1] – قائد الجيش العباسي الّذي قتل محمد النفس الزكية ، ثم توجه لمحاربة إبراهيم.
[2] – يبّيته : أي يهجم عليه ليلاً .
[3] – جهاد الشيعة / ص ١٦٣ .
[4] – المضاء أحد قواد إبراهيم .

معك رجال عراة من أهل البصرة ، فدعني أبيّته ، فوالله لأشتّتن جموعه ، فقال إبراهيم : إني أكره القتل .

فقلت : تريد الملك وتكره القتل .

فإنه لا يمكن لمن يريد أن لا يقتل وأن لا يرتكب ما يرتكبه الآخرون أما إذا أراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يخوله ذلك أن يلج هذه الحرب الضّروس الّتي أطاحت بآلاف الرّؤوس البشرية ، وهذا ما لم يكن يرضى به الإمام الصّادق عليه السلام ويتنبأ بأنه سوف لن ينتصر وسوف يقتل وقوائم فرسه في الماء .

نكتفي بهذا المقدار عن سيرة إبراهيم رحمه الله الّتي كانت سيرة غاية في الورع والتّقوى والخلق الرّفيع ، ولكنها لم تكن تصلح للحرب مع أبي جعفر المنصور الّذي كان أشرس خلفاء بني العباس ودانت له نصف الدّنيا بالخضوع .

# الحسين بن علي صاحب فخ[1]

جاءت الرّوايات عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إنه قال : مرّ النبي ( ص ) بفخ ، فنــزل فصلى ركعة ، فلما صلى الثانية بكى وهو في الصّلاة ، فلما رأى الناس النبي ( ص ) يبكي بكوا .

فلما انصرف ، قال : ما يبكيكم ؟

قالوا : لما رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله .

قال : نزل عليّ جبريل لما صليت الرّكعة الأولى ، فقال : يا محمــد إن رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان وأجر الشّهيد معه أجر شهيدين[2] .

ويروي عن الصّادق عليه السلام ، إن أحدهم قال أكريت جعفر بن محمد من المدينة إلى مكة ، فلما ارتحلنا من بطن مرّ ، قال لي : يــا نضــر إذا انتهيت إلى فخ فأعلمني .

قلت : أو لست تعرفه ؟

قال : بلى ، ولكن أخشى أن تغلبني عيني .

فلما انتهينا إلى فخ دنوت من المحمل ، فإذا هو نائم ، فتنحنحت فلم ينتبه ، فحركت المحمل فجلس .

فقلت : فقد بلغت

---

[1] - فخ منطقة قريبة من مكة على طريق المدينة .

[2] - المقاتل / ص ٢٩٠ .

فقال : حل محملي ، فحللته ، ثم قال : صل القطار ، فوصلته ، ثم تنحيت به عن الجادة ، فأنخت بعيره ، فقال : ناولني الإداوة والرّكــوة ، فتوضأ وصلى ثم ركب ، فقلت له : جعلت فداك : رأيتك قد صــنعت شيئاً أفهو من مناسك الحج ؟

قال : لا ، ولكن يقتل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة تســبق أرواحُهم أجسادهم إلى الجنة[1] .

وينقل في كرمه الحسن بن هذيل قال ، قال لي الحسين صاحب فخ : اقترض لي أربعة آلاف درهم ، فذهبت إلى صديق لي فأعطاني ألفين ، وقال لي : إذا كان غد فتعال حتى أعطيك ألفين ، فجئت فوضعتها تحت حصير كان يصلي عليه ، فلما كان من الغد أخذت الألفين الأخريين ثم جئت أطلب الّذي وضعته تحت الحصير فلم أجده .

فقلت له : يا ابن رسول الله ، ما فعل الألفان ؟

قال : لا تسأل عنهما .

فأعدت ، فقال : تبعني رجل أصفر من أهل المدينة ، فقلت : ألك حاجة ؟ فقال : لا , ولكني أحببت أن أصل جناحه فأعطيته إياها .

أما إني أحسبني ما أُجرت على ذلك لأني لم أجد لها حسناً وقال الله ﷻ ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [2]

---

[1] - المصدر السابق / ص ٢٩٠ .
[2] - المصدر السابق ص ٢٩١ .

وجاءه رجل فسأله ، قال : ما عندي شيء أعطيكه ولكن أقعد فإن حسناً أخي يجيء ، فيسلم علي ، فإذا جاء فقم فخذ الحمار ، فلم يكن أسرع من أن جاء الحسن فنزل عن الحمار وقاده الغلام ، وكان الحسن مكفوفاً ، فأشار إلى الرّجل أن قم فخذ الحمار فجاء إليه ليأخذه ، فمنعه الغلام ، فأشار إليه أن يدفعه إليه ، فدفعه إليه .

فمضى الرّجل وقعد الحسن عنده فتحدث ما شاء الله ثم وثب فقال يا غلام قدم الحمار .

فقال : جعلت فداك ، أمرني أخوك أن أدفعه إلى رجل فدفعته إليه ، فأدار وجهه إلى أخيه وقال : جعلت فداك أعرت أم وهبت ؟ بل والله ما أرى مثلك يعير ، يا غلام قدني [1] .

وطلب الحسين بن علي من الإمام موسى جعفر (عليه السلام) أن يبايعه ويخرج معه ولكن الإمام قال له: أحب أن تجعلني في سعة وحل من تخلفي عنك ، فأطرق الحسين طويلاً لا يجيبه ، ثم رفع رأسه إليه ، فقال : أنت في سعة [2] وعندما رأى الإمام إصرار الحسين على الخروج قال له : إنك مقتول فأجد الضّراب فإن القوم فساق يظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وعند الله احتسبكم من عصبه [3] .

---

[1] - المصدر السابق / ص ٢٩٢ .
[2] - المصدر السابق / ص٢٩٨ .
[3] - المصدر السابق / ص ٢٩٨ .

وخرج الحسين إلى المسجد وصلى فيه ، ثم خطب بعد فراغه من الصّلاة فحمد الله وأثنى عليه وقال فيما قال :

أنا ابن رسول الله ، على منبر رسول الله ، وفي حرم رسول الله ، أدعوكم إلى سنة رسول الله ( ص ) ، أيها الناس : أتطلبون آثار رسول الله في الحجر والعود وتتمسحون بذلك وتضيعون منه[1] .

وكانت له خطبة أخرى في جيشه لما رأى المسودة[2] أقعد رجلاً على جمل معه سيف يلوّح به والحسين يملي عليه حرفاً حرفاً ، يقول : نادِ فنادى : يا معشر الناس ، يا معشر المسودة ، هذا الحسين ابن رسول الله (ص) وابن عمه ، يدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسول الله (ص)[3].

أما بيعته فكانت هكذا :

أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله وعلى أن يطاع الله ولا يعصى وادعوكم إلى الرّضا من آل محمد ، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ( ص ) والعدل في الرّعية ، والقسم بالسوية ، وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا ، فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا ، وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم[4] .

[1] - المصدر السابق / ص ٢٩٨ .
[2] - المسودّة هم الجيش العباسي الّذي كان يلبس المسوح السّود .
[3] - المصدر السابق / ص ٢٩٩ .
[4] - المصدر السابق / ص ٢٩٩ .

كان رحمه الله واثقاً كل الثقة عندما خرج ، أنه يخرج لله وأن القوم فساق ، كما قال له الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول الرّاوي :

سمعت الحسين ليلة الجمعة ، ونحن ببطن مرّ ، وهو يقول : يا أهـــل العراق : إن خصلتين ، إحداهما الجنة لشريفتان ، والله لو لم يكن معـــي غيري لحاكمتكم إلى الله (عز وجل) حتى ألحق بسلفي[1] .

وكان جنده كقائدهم رجالاً لا تلهيهم تجارة ، يقول أبو العرجـــاء الجمّال : إن موسى بن عيسى ( قائد الجيش العباسي ) دعاني ، وقال لي : إذهب إلى عسكر الحسين حتى تراه وتخبرني بكل ما رأيت .

فمضيت ، فدرت ، فما رأيت خللاً ولا فللاً ، ولا رأيت إلاّ مصلياً أو مبتهلاً أو ناظراً في مصحف أو معداً للسلاح ، فجئته ، وقلت : مـــا أظن القوم إلاّ منصورين .

فقال : وكيف ذاك يا ابن الفاعلة ؟

فأخبرته ، فضرب يداً على يد وبكى حتى ظننت أنه سينصرف ، ثم قال هم والله أكرم عند الله وأحق بما في أيدينا منا ، ولكن الملك عقيم ، ولو أن صاحب القبر ـــ يعني النبي ( ص ) ـــ نازعنـــا الملـــك ضـــربنا خيشومه بالسيف يا غلام ، إضرب بطبلك ثم سار إليهم ، فوالله ما انثنى عن قتلهم[2] .

[1] - المصدر السابق / ص ٣٠٠ .
[2] - المصدر السابق / ص ٣٠١ .

هنا كان موسى بن عيسى صادقاً ، فإن الحسين وأصحابه أكرم عند الله وأحق بما في أيديهم منهم ، ولكن الملك عقيم .

فالحسين ثأر للحق المهضوم وللشريعة الّتي محقها بنو العباس والّذين كانوا من قبلهم .

أما بنو العباس ، فيدافعون عن مكاسب الدّنيا ولذائذها ويستعملون من أجل ذلك جميع الوسائل دونما تحرز من دين وشفقة ورحمة .

وانتهت المعركة ، كما كان يقدر لها ، عن قتل الحسين بن علي وأكثر جنده ، فكانت معركة رهيبة ، بقيت فيها جثث الشّهداء ثلاثة أيام في العراء ، تأكلها الوحوش والطّيور .

ويقول عنها الإمام محمد الجواد عليه السلام ( لم يكن لنا بعد الطّف مصرع أعظم من فخ[1] ).

هكذا كانت سيرة أولئك الأبطال ، ورأيناهم كيف يتحرجون عن اقتراف الأساليب الّتي تنافي الشّرع في القضاء على أعدائهم .

والمعارك كانت تدور بين طاغوت يستعمل كل الوسائل الخبيثة ويقتل بلا رحمة على الظّنة والتّهمة ويحبس من لا يستحق الحبس ويهدم الدّور ويصادر الأموال ، وبين أشخاص يتعاملون مع أعدائهم على موازين الشّريعة في الحلال والحرام ، تماماً كالطريقة الّتي كان يستعملها معاوية مع علي بن أبي طالب الّذي كان قدوة في ممارسة الأحكام

[1] - البحار / ج ٤٨ / ص ١٦٥ .

الشّرعية في السّلم والحرب بل إن خلقه الكريم كان يمنعه من اقتناص فرص تعتبر ذهبية بالنسبة إلى غيره ، عندما أشاح بوجهه الكريم عن عمرو بن العاص حينما صرعه الإمام ، فأبرز سوأته ، وترفع الإمام العظيم عن قتل شخص بهذه الدّرجة من السّقوط والتّدني ، ولو كان قد قتله لتغيرت ديباجة الحكم تغيراً عظيماً .

وكما فعل الإمام علي نفسه عندما احتل شريعة نهر الفرات ثم سمح لعدوه ( معاوية ) أن يشرب ( في حرب صفين ) .

تلك أخلاق عالية لا يتخلق بها إلاّ علي ، ولكن معاوية كان من طراز آخر ، يقترف كل شيء من أجل الدّنيا .

وكان الإمام يستنكر على من يقول إن معاوية أدهى من علي فيقول : إن معاوية يغدر ويمكر ...

وحاول أبناء علي أن يسلكوا في دعوتهم وحروبهم أسلوب جدهم وكان أعداؤهم جميعاً يسلكون نفس الأسلوب الّذي كان يسلكه معاوية ابن أبي سفيان ، بل ربما كانت أساليبهم أشد وأنكى .

ولسنا هنا نريد أن نقول إن الدّعوات لا تنجح مطلقاً إلاّ إذا سلكت سلوك معاوية ، ليس هذا قولاً مطلقاً ، ولكن كان لا بدّ للثائرين أن تتهيأ لهم فرص كثيرة لينتصروا وهم كانوا يفتقدونها واعتمدوا على كثرة المبايعين وتوجه عواطف الناس إليهم باعتبارهم من أهل بيت رسول الله (ص) .

وقد رأينا كيف أن كثرة المبايعين لم تدم لهم طويلاً ، وسرعان ما تفرق عنهم الشّمل ، وكانت النتيجة تماماً كما كان ينبيء عنها الأئمة عليهم السّلام في تحذيرهم للثائرين .

ولو كان الأئمة عليهم السّلام ، قد بايعوهم وسايروهم لكان مصيرهم مصير أولئك الثائرين بدون شك ، ولفقدت الأمة الإسلامية قادة كالصّادق والكاظم وغيرهما ، مما ينتفع بهم المسلمون عندما كانوا بين ظهرانيهم أو الذين جاؤوا من بعدهم إلى يوم يبعثون .

❁❁❁

أما السّبب الثالث : الّذي جعل الأئمة عليهم السّلام يمتنعون عن مبايعة الثائرين ، ولعله أهم الأسباب الّتي دعت الإمام الصّادق عليه السلام أن لا يبايع ، بل ولا يشجع كلاً من زيد بن علي والأخوين محمداً وإبراهيم على الثورة ، وكذلك دعت الإمام موسى بن جعفر إلى أن لا يبايع ولا يشجع ( الحسين بن علي صاحب فخ ) على الثورة ، هو أن الأئمة عليهم السّلام كانوا يتوارثون علماً يتلقونه من جدهم رسول الله ( ص ) وهو الّذي يشيرون إليه في كثير من أحاديثهم ومروياتهم إنه كتاب علي فيخبرون عن الأمور المستقبلية بما يشبه الغيب ، وليس هو غيباً وإنما هو معلومات قلنا إنهم يتلقونها كابراً عن كابر حتى يصلوا إلى جدهم رسول

الله ( ص ) ولا شك أن رسول الله ( ص ) قد تلقاها من الله عن طريق الوحي .

والظّاهر أن كتاب علي ، كتابان ، كتاب فيه الأحكام الشّرعية حتى أرش الخدش كما ينوهون هم بذلك وكتاب آخر فيه أسماء من يملك إلى يوم يبعثون .

فهم عندما يبينون مخاطر الخروج على الحكام ويخضعون الثائر للمناقشة ، ويجدون إنه لا ينفع فيه ذلك ، يلتجئون إلى أن يقولوا له ( إنه ليس في كتاب علي من خلفاء هذه الأمة ) .

ففي الإجتماع الّذي عقده بنو هاشم في الأبواء ، وكان عبد الله ابن الحسن يدعو إلى أن يبايعوا لابنه ( محمد ) على أساس أنه المهدي ، وجاء الإمام الصّادق عليه السلام وقال قولته المشهورة ( لا تفعلوا فإن هذا الأمر لم يأت بعد إن كنت ترى — يعني عبد الله — أن إبنك هذا هو المهدي ، فليس به ولا هذا أوانه ، وإن كنت انما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنا والله لا ندعك وأنت شيخنا ونبايع ابنك في هذا الأمر ) .

فغضب عبد الله بن الحسن وقال : لقد علمت خلاف ما تقول ، والله ما أطلعك على غيبه ولكن يحملك على هذا الحسد لابني .

فقال الإمام : ما والله ذاك يحملني ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم وضرب بيده على ظهر أبي العباس ، ثم ضرب بيده على كتف

عبد الله بن الحسن وقال إنها والله ماهي إليك ولا إلى إبنيك ولكنها لهم وإن ابنيك لمقتولان .

ثم نهض فتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزّهري ، فقال : أرأيت صاحب الرّداء الأصفر ؟ ـ يعني أبا جعفر المنصور ـ .

فقال : نعم .

قال : إنا والله نجده يقتله .

قال له عبد العزيز : أيقتل محمداً ؟

قال : نعم .

فقلت في نفسي حسده ورب الكعبة ، ثم قال : والله ما خرجت من الدّنيا حتى رأيته قتلهما .

قال : فلما قال جعفر عليه السلام ذلك ، ونهض القوم وافترقوا ، تبعه عبد الصّمد وأبو جعفر ، فقالا : يا أبا عبد الله أتقول هذا ؟

قال : نعم والله ، واعلمه [1].

ومقالة الحسد الّتي ألقاها عبد الله بن الحسن في وجه الإمام الصّادق عليه السلام ، هي نفسها الّتي قالها يوم أرسل أبو سلمة الخلال برسالتين إلى الصّادق وإلى عبد الله ابن الحسن في استلام الدّولة ـ كما ذكرنا سابقاً ـ وزهد الإمام في هذه الدّعوة ونصح عبد الله في الرّفض وقال له : أيها الشّيخ ، لا تسفك دم ابنيك ، فاني أخاف أن يكون المقتول بأحجار الزّيت .

[1] ـ البحار / ج ٤٧ / ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

وغضب عبد الله بن الحسن ، وقال للإمام جعفر عليه السلام : والله ما يمنعك من ذلك إلا الحسد[1].

وكان الإمام جعفر الصّادق عليه السلام إذا رأى محمد بن عبد الله بن الحسن تغرغرت عيناه ثم يقول بنفسي هو ، إن الناس ليقولون فيه ، وإنه لمقتول ، ليس هو في كتاب علي من خلفاء هذه الأمة [2] .

ولكن عبد الله بن الحسن يصر على خروج ولده ( محمد ) ليقوم بثأر بني أبي طالب ، فيقول له الإمام الصّادق عليه السلام يغفر الله لك ، ما أخوفني أن يكون هذا البيت يلحق صاحبنا : ( منّتك نفسك في الخلاء ضلالا )[3] لا والله ، لا يملك أكثر من حيطان المدينة ولا يبلغ عمله الطّائف إذا أحفل ـــ يعني إذا أجهد نفسه ، وما للأمر من بد أن يقع ، فإتق الله وأرحم نفسك وبني أبيك ، فوالله إني لأراه أشأم سلحة أخرجتها أصلاب رجال إلى أرحام نساء ، والله إنه المقتول بسدة أشجع بين دورها والله لكأني به صريعاً مسلوباً بزته[4] ولكن ذلك كله لم يؤثر بعبد الله ابن الحسن فإنه فارق الإمام الصّادق عليه السلام مغضباً ، ثم خرج ابنه محمد النفس الزكية .

---

[1] جهاد الشّيعة / ص ١٩٣.

[2] مقاتل الطّالبيين / ص ٢٠٥ .

[3] – وهو عجز بيت للأخطل ، وصدره :

انعق بضأنك يا جرير فإنما منّتك نفسك في الخلاء ضلالا

[4] – البحار / ج ٤٧ / ص ٢٨٣ .

وطلب محمد من الإمام الصّادق عليه السلام أن يبايعه ، وامتنع الإمام وقال له : لكأني بك خارجاً من سدة أشجع إلى بطن الوادي وقد حمل عليك فارس معلّم في يده طرّادة نصفها أبيض ونصفها أسود ، على فرس كميت أقرح ، فطعنك فلم يصنع فيك شيئاً وضربت خيشوم فرسه فطرحته وحمل عليك آخر من زقاق آل أبي عمار الدّؤليين عليه غديرتان مضفورتان قد خرجتا من تحت بيضته ، كثير شعر الشّاربين ، فهو والله صاحبك فلا رحم الله رمّته[1] .

فالإمام الصّادق عليه السلام كان يرى ببصيرته الثاقبة وحنكته السّياسية أن الثائرين سوف يفشلون ولن يستطيعوا أن يحققوا شيئاً مما كانوا يطمحون إليه في تقويض دولة بني أمية ودولة بني العباس ، للأسباب الّتي ذكرناها أولاً وثانياً .

ثم يضاف إلى ذلك ، هذا السّبب الأخير ، وهو الّذي يجده الأئمة عليهم السّلام مدوّناً لديهم في ( كتاب علي ) ويتناقلونه كابراً عن كابر من أسماء الملوك الّذين يحكمون ، وليس فيهم زيد ومحمد وإبراهيم والحسين ابن علي .

والّذي كان يراه الصّادق هو نفسه الّذي كان يراه الإمام موسى ابن جعفر عليه السلام بخصوص ( الحسين بن علي صاحب فخ ) فعلمهم واحد ومعرفتهم بالأشخاص والحوادث ونتائج الأمور واحدة .

---

[1] - البحار / ج ٤٧ / ص ٢٨٥ .

وإلى هنا -نتصور- أننا قد استوفينا الكلام عن الأسباب الّتي منعت الأئمة عليهم السّلام من مبايعة وتأييد الثائرين من أهل البيت.



## هل إتخذ الأئمة التقية أسلوباً سياسياً ؟

لعل التشريع بالتقية إنما جاء لدرء الخطر السّياسي من الأعداء بصورة عامة سواء كانوا سلطة أو جماعة أو فرداً .

لسنا هنا نريد أن نبحث عن ( التقية ) مذهبياً ، الّتي شُنع بها على الشّيعة على أساس أنهم يظهرون شيئاً ويبطنون شيئاً آخر ، فالأمر ليس كذلك ، وإنما لأن الشّيعة كانوا يرون كل أشكال الاضطهاد والحبس والقتل وهدم البيوت وتخريب الزّروع وقطع الأرزاق وما إلى ذلك ، ليس لأنهم يقومون بنشاط لمعارضة السّلطة ، وإنما لمجرد أنهم قوم يدينون بالولاء لأئمة أهل البيت عليهم السّلام .

وكتب التاريخ حافلة بما يعطي دليلاً مقنعاً بالذي ندّعيه ، سواء أيام بني أمية أو بني العباس أو الّذين جاؤوا من بعدهم فزياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد والحجاج الثقفي ومن ثم المنصور وهارون والمتوكل وكثير غيرهم جاؤوا قبلهم وجاؤوا بعدهم ، كانوا يتلذذون بدماء الشّيعة .

وكنموذج لهؤلاء ( الحجاج الثقفي ) عامل عبد الملك بن مروان على الكوفة ، فقد كانت أول خطبة له في مسجدها :

إني والله لأرى أبصاراً طامحة وأعناقاً متطاولة ورؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني أنا صاحبها ، كأني أنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللّحى .... يا أهل العراق يا أهل الشّقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ..

طالما سعيتم في الضّلالة وسلكتم سبيل الغواية وسننتم سنن السّوء وتماديتم في الجهالة ... أنا الحجاج بن يوسف [1] ...

ويضيف ابن الأثير إلى الخطبة ( إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته فعجم عيدانها فوجد في أمرّها عوداً واصلبها مكسراً فوجهني إليكم ورمى بي في نحوركم فإنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق فإنكم طالما أوضعتم في الشّر فوالله لأذيقنكم الهوان[2] .

وقصة الحجاج مع سعيد بن جبير معروفة ، تذكرها أغلب كتب التاريخ يقول المسعودي :

لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير وأوصل إليه قال له : ما اسمك ؟

قال : إسمي سعيد بن جبير

قال : بل شقي بن كسير .

قال : أبي كان أعلم باسمي منك .

قال : لقد شقيت وشقي أبوك .

قال : الغيب إنما يعلمه غيرك .

قال : لأبدلنّك بالدنيا ناراً تلظى .

قال : لو علمت أن ذلك بيدك ما أتخذت إلهاً غيرك .

قال : فما قولك في الخلفاء ؟

قال : لست عليهم بوكيل .

---

[1] - مروج الذهب / ج ٣ / ص ١٤٤ .
[2] - ابن الأثير في الكامل / ج ٤ / ص ١٣٩ .

قال : فاختر أي قتلة تريد أن أقتلك .

قال : بل إختر يا شقي لنفسك ، فوالله ما تقتلني اليوم بقتلة إلاّ قتلتك في الآخرة بمثلها .

فأمر به الحجاج ، فأخرج ليقتل ، فلما ولّى ضحك ، فأمر الحجاج بردّه ، وسأله عن ضحكه .

فقال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك فأمر به فذبح

ولما كبّ لوجهه ، قال سعيد : أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الحجاج غير مؤمن بالله ، ثم قال : اللّهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدي فذبح واحتز رأسه .

ولم يعش الحجاج بعده إلاّ خمس عشرة ليلة حتّى وقعت في جوفه الآكلة ، فمات من ذلك ، ويروى أنه كان يقول بعد قتل سعيد : يا قوم مالي ولسعيد بن جبير ؟ كلما عزمت على النوم أخذ بحلقي[1] .

ويقول المسعودي نفسه :

أحصي من قتله الحجاج صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مائة وعشرين ألفاً ، ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف إمرأة منهن ستة عشر ألفاً مجرّدة ، وكان يحبس النساء والرّجال في موضع واحد ، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشّمس في الصّيف ولا من المطر والبرد والشّتاء[2] .

---

[1] - مروج الذهب / ج ٣ / ص ١٦٦ .

[2] - المصدر السابق / ج ٣ / ص ١٦٦ .

وكان السّجين في حبسه يسودّ وجهه ويصبح كأنــه زنجــي ، وحبس غلاماً فجاءت أمه بعد مدة تتفقدّه ، فلما قدم إليهـا أنكرتـه ، وقالت إنه ليس بولدي ، وحينما تأكدت منه شهقت وماتت كمداً لسوء حاله .

وعندما أراد الحجاج أن يذهب إلى الحج خطب الناس وقال :

يا أهل الكوفة إني قد استعملت عليكم محمداً [1] وبه الرّغبة عنكم أما أنكم لا تستأهلونه وقد أوصيته فيكم بخـلاف وصـية رسـول الله بالأنصار ، فإنه أوصى أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقـد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ، أمـا إني إذا وليت عنكم أعلم أنكم تقولون : لا أحسن الله له الصّحابة وما مـنعكم من تعجيله إلاّ الفراق ، وأنا أعجّل لكم الجواب ، لا أحسن الله علـيكم الخلافة [2] .

وإذا كان الحجاج يفتك بالشيعة هذا الفتك الذريع ، فإننا نـراه يكيل المدح والعطاء لمن يعادي آل البيت .

يقول المسعودي أيضاً :

إن الحجاج قال يوماً لعبد الله بن هاني وهو رجل من ( أود ) حيّ من اليمن ، وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها وشهد معه تحريق البيت

---

[1] – ابن الحجاج

[2] – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد / ج ٣ / ص ١٤٦ .

وكان من أنصاره وشيعته ، والله ما كافأناك بعد ، ثم أرسل إلى أسماء ابن خارجة ـــ وكان من فزارة ـــ أن زوّج عبد الله بن هاني ابنتك ، فقال : لا والله ولا كرامة فدعا له بالسياط ، فقال : أنا أزوجه ، فزوجه .

ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية ، أن زوج عبد الله بن هاني ابنتك .

قال : ومن أود ؟ والله لا أزوجه ولا كرامة .

قال : هاتوا السّيف .

قال : دعني حتّى أشاور أهلي ، فشاورهم فقالوا زوجّه لا يقتلك هذا الفاسق .

فقال له الحجاج : يا عبد الله ، قد زوجتك بنت سيد فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان ، وما أود هنالك .

فقال : لا تقل ، أصلح الله الأمير ذلك ، فإن لنا مناقب ما هـي لأحد من العرب .

قال : وما هي هذه المناقب ؟

قال : ما سُبّ أمير المؤمنين عثمان في نادٍ لنا قط .

قال : هذه والله منقبة .

قال : وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجـلاً ، وما شهدها مع أبي تراب منا إلاّ رجل واحد ، وكان والله ما علمته أمرأ سوء .

قال : وهذه والله منقبة .

قال : وما منا امرأة إلاّ نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها ، ففعلت .

قال : وهذه والله منقبة .

قال : وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلاّ فعل وقال وأزيدكم الحسن والحسين وأمهما فاطمة .

قال : وهذه منقبة[1].

وبلغ الحقد بالحجاج ، أن جاءه رجل يطلب مالاً ، وهو ليس شاعراً أو أديباً أو من رجال العرب المعروفين وليس له دالّة على الحجاج ليعطيه المال .

سأله الحجاج : وماذا تريد ؟

قال : إن أهلي عقوّني فسموني علياً .

ضحك الحجاج وأكرمه[2] .

كان هذا نموذجاً أموياً ، وله نماذج أخرى في بني أمية وبني العباس والّذين جاؤوا من بعدهم ، وقد مرّت بنا قصة حميد بن قحطبة الّذي أمره هارون الرّشيد بقتل ستين علوياً في ليلة واحدة ولا نحتاج إلى إعادته[3] .

[1] - المسعودي / ج ٣ / ص ١٤٤ .
[2] - الهجرة واللجوء ( للمؤلف ) / ص ٤٦ .
[3] - راجع فصل ( بنو العباس نفسياً كانوا يبغضون الأئمة ) .

فكل أولئك السّلاطين كانوا قد جرّدوا سيوفهم على رقاب الشّيعة فهل كان من المعقول ــ والأجواء ملبّدة ــ أن يصرّح الشّيعي بولائه لأهل البيت أو يظهر منه أنه يتعبد على طريقة أهل البيت عليهم السّلام ، إنه لم يكن أمامهم إلاّ التقية .

**يقول الدكتور أحمد الوائلي :**

(( ومما ألصق بالشيعة وأصبح لا يتخلف عنهم عندما يخطرون في الذهن وكأنه عضو منهم خاصة دون باقي المسلمين ( التقية ) والّذي ساعد على ذلك أن التشيع انفرد على مدى تأريخه بالتعرض إلى ضغط يفوق الوصف لأنه يشكل جبهة المعارضة ... وكان إعتيادياً أن يتعرضوا إلى مطاردة وتنكيل ، وكان لا بدّ من المحافظة على أنفسهم من الإبادة التامة فلجأوا إلى التقية ، باعتبارها وسيلة يقرها الدين للاحتماء بها عند الضّرورة ورووا لها سندها من الكتاب والسّنة وكان من الأولى أن يمدحوا على ذلك لأنهم استعملوا ما أمر به الشّارع لحفظ النفس عند الخطر ، ولئلاّ يعرضوا إلى أحد أمرين إما الإبادة أو الإنهيار والإرتماء في أحضان الظّالمين كما فعل غيرهم ممن أوى إلى فراش الحكم والحكام يرتع في موائدهم ويعيش في حمايتهم ويتكلف الأدلة فتصبح آراؤهم منسجمة مع الشّرع ، كما قال ابن خلكان في ترجمة أبي يوسف القاضي ، قال : إن زبيدة زوجة الرّشيد كتبت إلى أبي يوسف القاضي ما ترى في كذا ، وأحب الأشياء إليّ أن يكون الحق منه كذا فأفتاها بما أحبّت ، فبعثت إليه

بحق فضة فيه حقاق فضة مطبقات في كل واحد لون من الطّيب وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنانير[1] .

وقد كان للشيعة مندوحة عن كل ما عانوه من الجـــور والظّلـــم بشيء من مجاراة الحكام ولكنهم أبوا ذلك وتصلبوا من أجل مبادئهم إلاّ في حالات شاذة[2] .

ولعل أفضل من كتب حول ( التقية ) كمفردة من مفردات عقائد الشّيعة هو استاذنا الشّيخ محمد رضا المظفر رحمه الله في كتابه ( عقائـــد الإمامية ) ومن المناسب أن نقتبسه من هناك :

يقول رحمه الله روي عـــن صـــادق آل البيـــت عليه السلام في الأثـــر الصحيح:

(( التقية ديني ودين آبائي )) و (( من لا تقية له لا ديـــن لـــه )) وكذلك هي ، لقد كانت شعاراً لآل البيت عليهم السّلام دفعاً للضـــرر عنهم وعن أتباعهم وحقناً لدمائهم واستصلاحاً لحال المســلمين وجمعــاً لكلمتهم ولمّاً لشعثهم .

وما زالت سمة تعرف بها الإمامية دون غيرها من الطّوائف والأمم وكل إنسان إذا أحسّ بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقـــده أو

[1] - هوية التشيع /الدكتور أحمد الوائلي / ص ١٨٦ نقلاً عن وفيات الأعيــان / ج ٢ / ص ٤٦٥ .

[2] - المصدر السّابق / ص ١٨٧ .

التظاهر به لا بدّ أن يكتم ويتقي في مواضع الخطر . وهذا أمر تقتضيه فطرة العقول .

ومن المعلوم أن الإمامية وأئمتهم لاقوا من ضروب المحن وصنوف الضّيق على حرياتهم في جميع العهود مالم تلاقه أية طائفة أو أمة أخرى ، فاضطروا في أكثر عهودهم إلى إستعمال التقية بمكاتمة المخالفين لهم وترك مظاهرتهم وستر اعتقاداتهم وأعمالهم المختصة بهم عنهم ، لما كان يعقب ذلك من الضّرر في الدين والدنيا ، ولهذا السّبب امتازوا بالتقية ، وعرفوا بها دون سواهم .

وللتقية أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضّرر ، مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهية ، وليست هي بواجبة على كل حال ، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال ، كما إذا كان في إظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام وجهاد في سبيله ، فإنه عند ذلك يستهان بالأموال ولا تعز النفوس ، وقد تحرم التقية في الأعمال الّتي تستوجب قتل النفوس المحترمة أو رواجاً للباطل أو فساداً في الدين أو ضرراً بالغاً على المسلمين باضلالهم أو إفشاء الظّلم والجور فيهم .

وعلى كل حال ليس معنى التقية عند الإمامية إنها تجعل منهم جمعية سرية لغاية الهدم والتخريب ، كما يريد أن يصورها بعض أعدائهم غير المتورعين في إدراك الأمور على وجهها ، ولا يكلفون أنفسهم فهم

الرّأي الصّحيح عندنا ، كما إنه ليس معناها إنها تجعل الدين وأحكامه سراً من الأسرار لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به ، كيف وكتب الإمامية ومؤلفاتهم فيما يخص الفقه والأحكام ومباحث الكلام والمعتقدات قد ملأت الخافقين وتجاوزت الحد الّذي ينتظر من أية أمة تدين بدينها .

بلى ، إن عقيدتنا في التقية قد استغلها من أراد التشنيع على الإمامية فجعلوها من جملة المطاعن فيهم وكأنهم كان لا يشفي غليلهم إلاّ أن تقدم رقابهم إلى السّيوف لاستئصالهم عن آخرهم في تلك العصور الّتي يكفي فيها أن يقال هذا رجل شيعي ليلاقي حتفه على يد أعداء آل البيت من الأمويين والعباسيين ، بله العثمانيين .

وإذا كان طعن من أراد أن يطعن يستند إلى زعم عدم مشروعيتها من ناحية دينية فإنا نقول له :

أولاً ـــ إننا متبعون لأئمتنا عليهم السّلام ونحن نهتدي بهداهم ، وهم أمرونا بها وفرضوها علينا وقت الحاجة ، وهي عندهم من الدين وقد سمعت قول الصّادق عليه السلام ( من لا تقية له لا دين له ) .

ثانياً : قد ورد تشريعها في نفس القرآن الكريم ذلك قوله تعالى ﴿إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ ( النحل / ١٠٦ ) ، وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر الّذي إلتجأ إلى التظاهر بالكفر خوفاً من أعداء الإسلام ، وقوله تعالى : ﴿ إلاّ أن تتقوا منهم تقاة ﴾ ، وقوله تعالى:

﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾[1] (المؤمن / ٢٨ ) .

ولعل تشريع ( التقية ) إسلامياً ، بدأ من قضية عمار بن ياسر فقد أخذه المشركون وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيباً وبلالاً وخباباً وسالماً فعذبوهم وربطت سمية بين بعيرين ووجيء قبلها بحربة ، وقيل لها إنك أسلمت من أجل الرّجال ، فقتلت وقتل زوجها ياسر ، وهما أول قتيلين في الإسلام ، وأما عمار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول الله ( ص ) : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان ، فقال رسول الله ( ص ) : فإن عادوا فعد [2] .

لا شك أن الأئمة عليهم السّلام واجهوا كثيراً من المحن والمصائب والمضايقات ، وكذلك أصحابهم ، فإنهم واجهوا نفس المضايقات ، ولذلك فإنهم يوصونهم بالتقية عسى أن تدرأ عنهم الخطر ، ولكن هل استعمل الأئمة أنفسهم التقية ذاتها ؟

لنبحث الأمر : اننا نجد أن الأئمة عليهم السلام كانوا يخاطبون السلاطين باللقب الرّسمي الّذي كان الناس يلقبونهم به ( أمير المؤمنين ) ، ولا شك أن الأئمة عليهم السّلام لم يكونوا يعتقدون بإمرة هؤلاء على المؤمنين ، خصوصاً وأن الأحاديث المروية عن أهل البيت تقول أن لقب

---

[1] – عقائد الإمامية للمظفر / ص ٨٤ – ٨٦ .
[2] – التشيع ، نشأته ، معالمه ، هاشم الموسوي ص ٢١٨ .

أمير المؤمنين مختص بعلي بن أبي طالب فقط وليس غيره ، سواء من الخلفاء الرّاشدين أو الّذين جاؤوا من بعدهم ، ولكننا وجدنا أن الأئمة كانوا يخاطبون السّلاطين كما يخاطبهم الناس ، وكما يريد السّلطان نفسه ( أمير المؤمنين ) .

ترى هل كان بإمكان الأئمة عليهم السّلام أن لا يخاطبوهم هذا اللقب ؟ في إعتقادي انهم كانوا مضطرين ليس إلاّ .

مع العلم أن السّلاطين كانوا يحاسبون الأئمة ويهددونهم بالقتل والحبس لمجرد شائعة كاذبة ترد إليهم بأن أموال الخراج تجبى لهم ويدعى لهم بالبيعة ، ورأينا أن الأئمة عليهم السّلام كانوا ينفون ذلك أشد النفي ويقولون لهم أنها من الخمس الّذي فرضه الله لهم إضافة إلى الهدايا الّتي يبعثها الناس لهم .

فماذا سيكون لو أمتنعوا عن مخاطبتهم بهذا اللّقب ؟

لا شك أنهم سوف يعطون للسلاطين مبرراً قوياً بأنهم يسعون لأخذ البيعة لأنفسهم والثورة على الوضع السّائد ، لأنهم لا يعترفون بهم .

وكلمة ( أمير المؤمنين ) إذا قالها المعارض للسلطة فإنها لا تنقص من دينه ودنياه شيئاً .

والصّادق عليه السلام نفسه يقول ( التقية ديني ودين آبائي ) ، ولذلك نجد أن الأئمة عليهم السلام يستعملون التقية لدرء الخطر عن أنفسهم

عندما يخاطبون السّلطان كما يشتهي ، فليس في النطق بذلك أية خسارة للإسلام.

في حين نجد أن ذلك يدرأ عنهم خطراً قد يصل للموت وحينذاك تخسر الأمة الإسلامية أئمتها الّذين حفظوا الإسلام بوجودهم .

قد يقول قائل : إن الإمام عندما يخاطب السّلطان بإمرة المؤمنين ، فإنه يضفي عليه شيئاً من القدسية والإعتراف بهذا المنصب ، ولكن الواقع إن أصحاب الأئمة كانوا يعرفون ذلك بأنه من باب التقية ، أما بقية الأمة فإن الّذين لا يعرفون رأي الأئمة عليهم السّلام في السّلاطين ، فإنهم أي ـ الأمة ـ أو قسم كبير منهم ، كانوا يعرفون واقع السّلاطين الفاسد المخالف للإسلام .

ولا بد أن يكون واضحاً أن التقية ليس معناها الكذب ، فيقال أن الأئمة عليهم السّلام كانوا يأمرون أصحابهم بالكذب أو أنهم هم أنفسهم يستعملون الكذب ، حاشا لله ، فليست التقية كذباً ، وإنما هي إخفاء المعتقد لدرء الخطر .

يقول علي بن يحيى بن أبي منصور : كنت يوماً بين يدي المتوكل ودخل علي بن محمد بن علي بن موسى عليه السلام، فلما جلس ، قال له المتوكل : ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب ؟

قال : ما يقول ولد أبي ــ يا أمير المؤمنين ــ في رجل فرض الله تعالى طاعة نبيّه على جميع خلقه ، وفرض طاعته على نبيّه ( ص )[1] والكلام في هاتين الكلمتين ( وفرض طاعته ) فالضمير في ( طاعته ) إلى من يعود ؟

قد يتوهم السّامع أن المقصود بذلك هو العباس ، وليس من المعقول أبداً أن يقال إن الله فرض على النبي ( ص ) أن يطيع عمه . ولكن الإمام الهادي عليه السلام ، استطاع بهذه الطّريقة الحكيمة أن يُسكت المتوكل بهذا الجواب ، وهو لم يخالف عقيدته .

وكانت تشتد أزمة الأئمة عليهم السلام مع السّلاطين الّذين كانوا يريدون أن يقضوا على سلالة الأئمة ، فإن الإمام الحاضر يخشى كثيراً على من يليه ، لأن الأمور أصبحت تتعقد كلما مرّت الأيام ، فكانوا يتخفوّن عليهم لئلاّ يبلغ السّلطان خبره ، فيقضي عليه .

يقول علي بن عمرو العطار : دخلت على أبي الحسن عليه السلام ــ الهادي ــ وابنه جعفر في الأحياء ، وأنا أظن أنه الخلف من بعده .

فقلت : جعلت فداك من أخصّ من ولدك ؟

فقال : لا تخصّوا أحداً من ولدي حتّى يخرج إليكم أمري .

قال : فكتبت إليه بعد فيمن يكون هذا الأمر؟

---

[1] - البحار / ج ٥ / ص ٢٠٦ .

قال : فكتب إليّ : الأكبر من ولدي وكان أبو محمد عليه السلام (العسكري) أكبر من جعفر[1] .

وفي هذا السّياق أيضاً ، يقول هشام بن سالم وقد واجه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بعد وفاة أبيه الصّادق .

قلت للإمام موسى عليه السلام : جعلت فداك مضى أبوك ؟

قال : نعم .

قلت : مضى موتاً ؟

قال : نعم

قلت : فمن لنا من بعده؟

قال : إن شاء الله تعالى أن يهديك هداك .

قلت : جعلت فداك إن عبد الله أخاك يزعم إنه الإمام بعد أبيه .

قال : عبد الله يريد ألاّ يعبد الله .

قلت : جعلت فداك فمن لنا بعده .

قال : إن شاء الله أن يهديك هداك .

قلت : جعلت فداك أنت هو .

قال : لا أقول ذلك .

فقلت في نفسي : لم أصب طريق المسألة .

ثم قلت له : جعلت فداك عليك إمام ؟

[1] - الإرشاد / ص ٣١٦ ، والمراد بجعفر هذا هو المشهور بالكذاب .

قال : لا .

فدخلني شئ لا يعلمه إلاّ الله إعظاماً له وهيبة .

ثم قلت له : جعلت فداك ، أسألك كما كنت أسال أباك .

قال : اسأل تخبر ولا تذع ، فان أذعت فهو الذبح .

فسألته ، فاذا هو بحر لا ينــزف .

فقلت : جعلت فداك ، شيعة أبيك ضلاّل ، فألقي اليهم هذا الأمر وأودعهم إليك ،فقد أخذت عليّ الكتمان ؟

قال : من آنست منهم رشداً فألق إليه وخذ عليه الكتمان ، فان أذاع فهو الذبح ، وأشار بيده إلى حلقه ، فخرجت من عنده ولقيت أبا جعفر الأحول فقال لي : ما وراءك ؟

قلت : الهدى وحدثته بالقصة[1] .

ومن أجل هذا فإن الصّادق عليه السلام كان قد أوصى إلى خمسة ، أحدهم أبو جعفر المنصور ، ومحمد بن سليمان ، وعبد الله بن موسى ابني الإمام جعفر وحميدة زوجته ، وقد مرّت بنا هذه القصة في مطاوي حديثنا سابقاً .

ولا شك أن الصّادق عليه السلام ، كان يهدف من وراء هذه الوصاية أن يحفظ الإمام المعصوم من بعده ( الإمام موسى بن جعفر ) من كيد الأعداء ، وبالفعل فان المنصور كتب إلى محمد بن سليمان والي المدينة :

[1] - الإرشاد للمفيد / ص ٣١٠ .

إن كان أوصى ( جعفر الصّادق ) إلى رجل بعينه ، فقدمه واضرب عنقه ، فرجع الجواب من والي المدينة انه أوصى إلى خمسة ( المنصور ومحمد ابن سليمان وعبد الله وموسى ابني جعفر وحميدة ) فقال المنصور : ليس إلى قتل هؤلاء من سبيل[1] .

صحيح إن سلاطين الجور كانوا قد عرفوا أن الإمام بعد الصّادق هو ابنه موسى بن جعفر ، ولكن ليس في بداية الأمر ، فإن الأمر في البداية كان لخمسة ، وتلك غاية في الحكمة والعمل السّياسي الحصيف .

وأصحاب الأئمة المخلصين ، كانوا يعرفون ذوق الأئمة في موضوع الكتمان ، فلنقرأ هذا الحديث :

قال إبراهيم بن محمد الهمداني ، قلت للرّضا عليه السلام : يا ابن رسول الله أخبرني عن زرارة هل كان يعرف حق أبيك ؟

فقال : نعم .

فقلت له : فلم بعث ابنه عبيداً ليتعرّف الخبر ، إلى من أوصى الصّادق جعفر بن محمد عليه السلام ؟

فقال : إن زرارة كان يعرف أمر أبي عليه السلام ونصّ أبيه عليه ، وإنما بعث إبنه ليعرف من أبي عليه السلام هل يجوز أن يرفع التقية في إظهار أمره ونصّ أبيه عليه [2] .

[1] ـ سيرة الأئمة الإثني عشر / هاشم معروف الحسني / ص ٢٩٣ .
[2] - البحار / ج ٤٧ / ص ٣٣٨ .

والأئمة عليهم السّلام ، يبتكرون الأساليب الحكيمة في المحافظة على أرواح أصحابهم ، فإن زرارة من أصحاب الصّادق عليه السلام المخلصين ، وكان الإمام يخشى عليه لهذه الخصلة ، فيتعرف عليها العدو ومن ثم يقضى عليه .

فبدأ الإمام عليه السلام يقدح بصاحبه زرارة ، ليبعد عنه الشّك فيأتي حمزة بن حمران ويقول للصّادق عليه السلام : بلغني إنك برأت من عمي زرارة.

فقال عليه السلام : أنا لم أبرأ من زرارة لكنهم يجيئون ويذكرون ويروون عنه ، فلو سكت الزمونيه ، فأقول : ( من قال هذا فأنا إلى الله منه بريء ) .

ثم قال له : إقرأ مني عليه السّلام وقل إني أنا أعيبك دفاعاً مني عنك ، فإن الناس والعدو يسارعون إلى كل من قربناه وحمدنا مكانه لإدخال الأذى فيمن نحبه ونقربه ويرمون بمحبتنا له وقربه ودنوه منا ، يرون إدخال الأذى عليه وقتله ويحمدون كل من عبناه نحن وأن يحمد أمره فإنما أعيبك لأنك اشتهرت بنا ولميلك إلينا ، فأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الأثر بمودتك لنا وبميلك إلينا ، فأحببت أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ويكون ذلك منا دافع شرهم عنك ، يقول الله عز وجل ( اما السّفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً)[1] .

[1] ـ عدة الرّجال للاعرجي / ج ١ / ص ٣٩٦ .

وكلمة ( من قال هذا فأنا إلى الله منه بريء ) تحتمل وجوهاً متعددة ، فالإمام يقصد بها أمراً والأعداء يتصورون أمراً آخر .

وكالقصة السّابقة ، توجد قصص كثيرة أخرى مشابهة لها ، نكتفي بما ذكرنا ونضيف إليها هذه القصة الّتي كانت مع الإمام الرّضا عليه السلام : يقول عمير بن يزيد : كنت عند أبي الحسن الرّضا عليه السلام ، فذكر محمد بن جعفر ( عم الرّضا ) فقال ( أي الإمام ) : إني جعلت على نفسي أن لا يظلّني وإياه سقف بيت .

فقلت في نفسي : هذا يأمرنا بالبر والصّلة ، ويقول هذا لعمه؟ فنظر إليّ ، وقال : هذا من البر والصّلة ، إنه متى يأتيني ويدخل عليّ ، فيقول فيّ فيصدقه الناس ، وإذا لم يدخل عليّ ولم أدخل عليه لم يقبل قوله إذا قال[1] .

فالعلة في كلتا القصتين واحدة ، فإن بعض الشّيعة ربما يتجاوزون حد التقية ، أو فلنقل إن بعض الأشخاص يدخلون معهم في خصام جدلي فيضطر أولئك إلى أن ينقلوا رأي الإمام في موضوع من المواضيع الّذي ينبغي أن لا يعلن لئلاّ يصل إلى السّلطان .

عند ذاك يرى الإمام أن الحكمة تقتضي أن يقول فيهم شيئاً لئلا يقبل الأعداء أقوالهم وليحافظ على أرواحهم .

[1] - البحار / ج ٤٧ / ص ٢٤٦ .

وقد مرّ بنا أن ( التقية ) هي للوقاية من الأعداء وحفظ الأرواح ولا يستعملها الإنسان إلاّ بعدما يقارن مقدار الضّرر في الإظهار ومصلحة الكتمان .

والقصة التالية توضح لنا موازنة دقيقة بين الخسارة والرّبح ، والقصة ذكرناها في مطاوي هذا الكتاب ، ولكن لا بأس بالإعادة ، فقد روي أن علي بن يقطين ( وزير هارون ) كتب إلى الإمام موسى ابن جعفر عليه السلام :

اختلف في المسح على الرّجلين ، فإن رأيت أن تكتب ما يكون عملي عليه ، فعلت .

فكتب الإمام :

الّذي آمرك به أن تتمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً وتغسل وجهك ثلاثاً وتخلل شعر لحيتك ثلاثاً وتغسل يديك ثلاثاً وتمسح ظاهر أذنيك وباطنهما وتغسل رجليك ثلاثاً[1] ولا تخالف ذلك إلى غيره .

فامتثل علي بن يقطين ذلك وعمل به .

فقال الرّشيد : أحبّ أن أستبرئ أمر علي بن يقطين ، فإنهم يقولون إنه رافضي ( والرّافضة يخفّفون من الوضوء ) فناطه بشيء من الشّغل في الدار ،حتّى دخل وقت الصّلاة ، ووقف الرّشيد وراء حائط الحجرة ، بحيث يرى عليّ بن يقطين ولا يراه هو ، وقد بعث إليه بالماء للوضوء ، فتوضأ كما أمره موسى .

[1] – على طريقة أهل السّنة .

فقام الرّشيد وقال كذب من زعم أنك رافضي .

فورد على علي بن يقطين كتاب موسى بن جعفر : توضأ من الآن كما أمر الله ، إغسل وجهك مرة فريضة والأخرى إسباغاً واغسل يديك من المرفقين كذلك وامسح مقدم رأسك وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك ، فقد زال ما يخاف عليك [1] .

فعلي بن يقطين كان وزيراً لهارون ، وهو منصب خطير جداً ، وكل أسرار الدولة والسّلطان كانت واضحة لديه ، وكان يتشيّع لأهل البيت عليهم السّلام ، ولكن من دون أن يعلم هارون .

فلو كان الإمام موسى عليه السلام قد شرح لعلي بن يقطين عملية الوضوء ــ كما يراها الشّيعة ــ لقتل بدون شك ، ولفقد الإمام عنصراً مهماً جداً في موافاته بالأخبار وقضاء حوائج المؤمنين ...

وعندما اطمأن الإمام إلى أن الخطر قد ارتفع عن علي بن يقطين ، نراه يكتب له بصورة الوضوء الصّحيحة .

ولكن ماذا يعمل أصحاب الإمام إذا سئلوا عن مسألة شرعية يختلف فيها رأي الإمام عن آراء مذاهب الخلفاء ؟

فلنستمع إلى الصّادق عليه السلام ، يخاطب أحد أصحابه ( معاذ ابن مسلم النحوي ) :

قال الإمام :

[1] - أعلام الورى / ص ٢٩٣ .

بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس؟

قال معاذ : نعم ، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخــرج ، إني أقعد في المسجد فيجيء الرّجل فيسألني عن الشّيء فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون ، ويجيء الرّجل أعرفه بمودتكم ، فأخبره بما جــاء عنكم ، ويجيء الرّجل لا أعرف ولا أدري من هو ؟ فأقول : جاء عــن فلان كذا وجاء عن فلان كذا ، فأدخل قولكم فيما بين ذلك فقال لــه الإمام : أصنع كذا ، فإني كذا أصنع[1] .

إلى هنا نتصور أننا استوفينا الحديث عن (التّقية) الّتي كان الأئمة عليهم السّلام يدعون شيعتهم للإلتزام بها ، ويقول الصّادق عنها (التّقية ديني ودين آبائي) .

❁❁❁

[1] - وسائل الشّيعة للحر العاملي / ج ١١ / ص ٤٨٢ ــ ٤٨٣ .

# لجوء الأئمة ( ع ) إلى العمل السّري

الخلاف بين الحق والباطل خلاف أزلي ، وإذا وجدنا أن هناك هدنة بينهما ، فلأن مصلحة أحدهما اقتضت أن يهادن الآخر لفترة وتبقى النفوس متوثبة تغتنم الفرصة المناسبة لينقضّ أحدهما على الآخر وليخوض معه حرباً بالسيف أو القلم أو بشيء آخر ، وليشوّش على عدوه وينغّص عليه حياته .

وصاحب الباطل يحب أن يخلد دائماً إلى الدعة والاستقرار وينشد ملذات الدنيا .

ولو أخذنا تاريخ الإسلام كمقطع من مقاطع التاريخ ، لوجدنا ذلك واضحاً ، ابتداء من دعوة الرّسول ( ص ) في مكة ، فقد كانت قريش تخشى أن يسفّه ( رسول الله (ص) ) أحلامها ويقضي على جبروتها وزعامتها على مكة وعموم العرب ، وسلكت مع محمد بن عبد الله (ص) كل السّبل في التضييق عليه ، ليترك دعوته ، ولكن رسول الله ( ص ) ما فترت همته أبداً ، وكانت الحروب بين الطّرفين سجالاً حتى انتصر الإسلام وشمل الجزيرة العربية كلها بل تجاوز حدودها .

ولكن المنافقين الّذين اظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر رغبة ورهبة بدأوا يكيدون للإسلام بكل حيلة ووسيلة ، ولم تكن حرب علي مع معاوية إلاّ تطبيقاً لهذه المقولة ، ثم حرب الحسين ويزيد وهكذا ... ثم

كانت للظلم جولة ، وانحرف الحكام وحرفوا معهم المسلمين ، و لم تستطع ثورات العلويين أن تمسك بالحكم من الغاصبين ( بني أمية وبني العباس ) .

وكانت كلما مرت الأيام تعمق الظّلم وتوسعت زاوية الانحـراف وابتعدت عن الحق ، و لم يكن بوسع الأئمة عليهم السلام أن يخوضوا حرباً لأسباب متعددة شرحناها فيما سبق ، وما كان لهم إلاّ أن يحافظوا علـى الإسلام وتعليم الإسلام وأحكامه مهما اسـتطاعوا إلى ذلـك سـبيلاً ، واتخذوا لذلك طريقتين ، مع أصحابهم المخلصين ومع عموم المسـلمين ، بطريقة تناسب كل فريق .

وتوضح لدى أولئك أن الحكام لا يسيرون على هدى رسـول الله (ص) الّذين يدّعون زوراً أنهم خلفاؤه وأمراء المؤمنين .

ولقد رأينا أن الأئمة عليهم السّلام وحدة متكاملة يتفقون بالأهداف ولكنهم يختلفون في الأساليب لاختلاف الأزمنـة والأمكنـة ، كانـت مهمتهم جميعاً أن يحفظوا الإسلام ويثقفوا شيعتهم ثقافة خاصة يستطيعون بها أن يميزوا بين الحق والباطل ، بين الإسلام الّذي يريده الله ويسعى إليه الأئمة عليهم السّلام وبين الإسلام الّذي يريده أمراء المؤمنين (الخلفاء) وأن هؤلاء الحكام مغتصبون ، ليس لهم من الحق شيء ، وإنما الحـق للأئمـة المنصوص عليهم واحداً بعد آخر على لسان النبي الأعظم (ص) يبدأون من علي بن أبي طالب وينتهون بالإمام الثاني عشر المهدي المنتظـر علـيهم السّلام جميعاً .

وحيث كانت أهدافهم واحدة فإننا نرى الأئمة الثلاثة ( زين العابدين والباقر والصّادق ) اتيحت لهم الفرصة ، فيحدّثون عن جدهم وينشرون الأحكام بحرية ، لأن الظّروف كانت تساعدهم كما كانت الظّروف مواتية نوعاً ما للإمام الرّضا وعلى درجة أقل للجواد عليهما السلام .

وعلى طول فترة الأئمة عليهم السّلام ، لم يكن في مستطاعهم أن يثوروا فضلاً عن استلام الحكم ، ولعلنا أشبعنا هذا الموضوع بحثاً فيما سبق .

وثورات العلويين لم تحقق شيئاً في هذا المضمار ( في تغيير الحكم العباسي ) لأسباب كثيرة شرحناها أيضاً في حديثنا عن الثائرين حيث تساءلنا هناك عن عدم بيعة الصّادق والكاظم لهم بل إن الإمامين عليهما السّلام كانا يحذّران الثائرين من القتل والصّلب لأن القوم فساق ...

وقلنا فيما سبق أن الثورات وإن كانت لم تحقق أهدافها إلاّ أنها كانت تحرك ضمير الأمة بين فترة وأخرى ، بأن بني أمية وبني العباسي مغتصبون حقاً لآل البيت عليه السلام .

وعلى رغم توالي الثورات وعدم تحقيقها لأهدافها ، فإن الثورات تلك لم تتوقف طيلة الحكم العباسي إلاّ في فترة قصيرة جداً ، هي فترة ولاية العهد للإمام الرّضا عليه السلام من قبل المأمون ، وكذلك فترة حكم أبي

العباس السّفاح ، ففي حكمه كان محمد النفس الزّكية يتأهب ويتوثـــب ليثور .

ولذلك فإن أبا العباس كان قلقاً جداً .

وكانت تلك الثورات تتسع يوماً بعد يوم والأسباب واضحة :

١- لأن الخلفاء اضحوا يتمادون في غيهم ، وانتشر الفسق والفجور على أيديهم وعمّت المظالم :

فالمهدي العباسي يقول في نديمه عمر بن بزيع :

ربّ تّمم لي نعيمي بأبي حفص نديمي
إنّما لذة عـــيشي في غناء وكـــروم
وجوارٍ عـــطراتٍ وسمـــاع ونعيم [1]

أما الهادي ، فيقول عنه الذهبي :

إنه كان يتناول المسكر ويلعب[2] .

وأما الرّشيد فقد أخرج السّلفي في الطّيوريات بسنده عن ابن المبارك قال : لما أفضت الخلافة إلى الرّشيد وقعت في نفسه جارية من جـــواري المهدي ، فراودها عن نفسها ، فقالت لا أصلح لك ، إن أباك قد طاف بي فشغف بها ، فأرسل إلى أبي يوسف ، فسأله أعندك في هذا شيء ؟

[1] - تاريخ الخلفاء للسيوطي / ص ٢٧٦ .
[2] - المصدر السابق / ص ٢٧٩ .

فقال : يا أمير المؤمنين أو كلما ادّعت أَمَة شيئاً ينبغي أن تصدق ، لا تصدقها فإنها ليست بمأمونة ، قال ابن المبارك ، فلم ادر ممن أعجب من هذا الّذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرج عن حرمة أبيه ، أو من هذه الأمة الّتي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين ، أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها ، قال : اهتك حرمة أبيك ، واقضِ شهوتك وصيّره في رقبتي[1] .

وأما الأمين ؟

فيقول محمد بن راشد : اخبرني إبراهيم بن المهدي أنه كان مع الأمين بمدينة المنصور ، قال : فطلبني ليلة ، فأتيت ، فقال : ما ترى طيب هذه اللّيلة ؟ وحسن القمر وضوءه في الماء ؟ فهل لك في الشّراب ؟

قلت : شأنك ، فشربنا[2] .

وقال ابن جرير : لما ملك الأمين ، ابتاع الخصيان وغالى بهم ، وصيرهم لخلوته ورفض النساء والجواري ، وقال غيره : لما ملك وجّه إلى البلدان في طلب الملهين وأجرى لهم الأرزاق [3] .

وأما المتوكل ؟

فقد كان منهمكاً في اللّذات والشّراب وكان له أربعة آلاف سرّية[4]

---

[1] - المصدر السابق / ص ٢٩٢ .
[2] - المصدر السابق / ص ٢٩٩ – ٣٠١ .
[3] - المصدر السابق / ص ٣٤٩ .
[4] - المصدر السابق / ص ٣٤٩ .

وأما الواثق ؟

فقد كان أعلم الخلفاء بالغناء ، وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت وكان حاذقاً بضرب العود ...[1] .

هذه إضمامة مختصرة عما كان يفعله الخلفاء الأجلاء أمراء المؤمنين ، أتينا عليها استطراداً .

٢-ومنذ أيام المعتصم بدأت تتجه إتجاهاً آخر ، فالجند الأتراك والمماليك والخصيان أصبحوا هم الّذين يتولون شؤون الدولة والخلافة ، وهم الّذين يعزلون الخليفة وينصبون مكانه خليفة آخر ، ولقد هجا دعبل المعتصم بقصيدة يقول في مطلعها :

لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم
وصيف وأشناس وقد عظم الخطب[2] .

والخليفة المستعين أيضاً ، كان لا يستطيع أن يبرم أمراً ، لأن الأمور كانت كلها بيد ( وصيف وبغا ) حتّى قيل في ذلك :

| | |
|---|---|
| خليفة في قفص | بين وصيف وبغا |
| يقول ما قالا له | كما تقول الببغا[3] |

[1] - المصدر السابق / ص ٣٤٣ .
[2] - المصدر السابق / ص ٢٣٥ .
[3] - المصدر السابق / ص ٣٥٨ .

وكان بعض الخلفاء أحياناً يريدون أن يصلحوا الوضع ويتخلصوا من الجند والمماليك ، ولكنهم سرعان ما يقضى عليهم بالقتل أو تسمل عيونهم فينتهون ، ونتيجة لذلك أصبحت الدولة ضعيفة ، يطمع فيها المصلحون وأصحاب الأهواء .

٣- اتسعت رقعة التشيع لأهل البيت فأصبحوا بالملايين ، وهؤلاء كلهم كانوا يعرفون أن الأئمة مغصوب حقهم وأن الحكام ظالمون .

٤- وكان توسع رقعة الشّيعة في الأقطار يستتبع أن يبعثوا بأموالهم من ( الخمس والهدايا وغيرها ) إلى الأئمة عليهم السّلام ، حتّى اضطر الأئمة عليهم السّلام إلى أن ينصبوا لهم وكلاء في جميع أقطار الدولة الإسلامية ، الّذين كانوا يقبضون تلك الأموال ويرسلونها إلى الإمام عليه السلام

ثم ازدادت رقعة التشيع أكثر فأكثر أيام الهادي والعسكري عليهما السّلام ، وحيث كانا يسكنان في ( سر من رأى ) وهو مكان يتوسط الدولة الإسلامية وفي حاضرتها ، فقد كانت الوفود تترى عليهما من كل مكان لأخذ الأحكام الشّرعية والتبرك بوجودهما ولتسليمهما الأموال الّتي ربما كانت تضاهي أموال الخليفة ، لأن أموال الخليفة أصبحت تنتهب من العاملين عليها ولمصاريف الدولة الكثيرة في الحروب وغيرها إضافة إلى بذخ الخليفة نفسه .

أما أموال الإمام ، فقد كان الشّيعي يدفعها له كاملة غير منقوصة لأنها حقوق شرعية ، يخشى الله إن أنقص منها شيئاً ، يدفعها للإمام ثم يقبل يديه للتبرك .

فالثورات واتساع رقعة الشّيعة والوفود الكثيرة على الأئمة والأموال الطّائلة الّتي كانت تصل إليهم وأسباب أخرى ، كلها كانت تدعو أولئك الخلفاء إلى أن يضيقوا على الأئمة عليهم السّلام .

ونتيجة لذلك ، فإن الأئمة كانوا يلجأون إلى السّرية والكتمان والتقية ، واشتدت هذه الحالة أيام الهادي والعسكري عليهما السّلام .

وطبيعي أن تكون أيام العسكري تستدعي سرية أكثر وكتماناً أشد.

ومنذ أيام الهادي ، لجأ الإمام عليه السلام إلى أن يتخذ أشخاصاً في استلام الأموال والرّسائل وأجوبتها لتدريب الشّيعة على هذا الأسلوب .

ثم ازداد الأشخاص من أولئك أيام العسكري عليه السلام وكان أولئك الأشخاص الوكلاء يتميزون بالورع والتقوى والذكاء والأمانة ومن الناس البعيدين عن أعين السّلطة ، وكان بعضهم يعمل في السّوق كباعة للسمن

وقد قيل عن ( الحسين بن روح ) وهو أحد السّفراء ، لو كان المهدي تحت ذيله وقرّض بالمقاريض لما كشف عنه ، وكان يحسن التقية لأبعد حد ، حتّى أن الكثيرين كانوا يعتبرونه واحداً من أهل السّنة .

وينقل عن الحسين بن روح رحمه الله ، أنه كان من أعقل الناس عند المخالف والموافق ، ويستعمل التقية ، فروى أبو نصر هبة الله بن محمد قال: حدثني أبو عبد الله بن غالب وأبو الحسن بن أبي الطّيب، قال: ما رأيت من هو أعقل من الشّيخ أبي القاسم الحسين بن روح ولعهدي به يوماً في دار ابن يسار ، وكان له محل عند السّيد والمقتدر عظيم ، وكانت العامة أيضاً تعظمه ، وكان أبو القاسم يحضر تقية وخوفاً .

فعهدي به وقد تناظر اثنان ، فزعم واحد أن أبا بكر أفضل النـــاس بعد رسول الله ( ص ) ثم عمر ثم علي ، وقال الآخر : بل علي أفضل من عمر ، فزاد الكلام بينهما ..

فقال أبو القاسم رحمه الله الّذي اجتمعت عليه الصّحابة هو تقـــديم الصّديق ثم بعده الفاروق ثم بعده عثمان ذو النورين ثم علـــى الوصـــي ، وأصحاب الحديث على ذلك ، وهو الصّحيح عندنا ، فبقي من حضـــر المجلس متعجباً من هذا القول ، وكانت العامة الحضور يرفعونـــه علـــى رؤوسهم وكثر الدعاء له والطّعن على من يرميه بالرفض .

فوقع عليّ الضّحك ، فلم أزل اتصبّر وامنع نفسي وأدسّ كمـــي في فمي ، فخشيت أن أفتضح .

فوثبت عن المجلس ، ونظر إليّ فتفطّن لي ، فلما حصلت في منـــزلي ، فإذا بالباب يطرق ، فخرجت مبادراً فإذا بأبي القاسم بن روح راكبـــاً بغلته قد وافاني من المجلس قبل مضيّه إلى داره ، فقال لي : يا عبد الله أيدك الله ، فلم ضحكت وأردت أن تهتف بي كأن الّذي قلته عندك ليس بحق ؟

فقلت له : كذاك هو عندي .

فقال لي : اتقّ الله أيها الشّيخ ، فإني لا أجعلك في حل تستعظم هذا القول مني .

فقلت : يا سيدي ، رجل يرى بأنه صاحب الإمام ووكيله يقـــول ذلك القول لا يُتعجب منه ؟ ولا يُضحك من قوله هذا ؟

فقال لي : وحياتك لئن عدت لأهجرنّك ، ووعدني وانصرف[1] .

قال أبو نصر هبة الله بن محمد : حدثنا أبو الحسن النوبختي ، قال : بلغ الشّيخ أبا القاسم رضي الله عنه أن بواباً كان له على الباب الأول قد لعن معاوية وشتمه ، فأمر بطرده وصرفه عن خدمته ، فبقى مدة طويلة يسأل في أمره ، فلا والله ما ردّه إلى خدمته وأخذه بعض الآهلة فشغله معه كل ذلك للتقية .

ويقول أبو نصر أيضاً نقلاً عن أبي أحمد الأبرص :

إني كنت أنا وأخوتي ندخل إلى أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه نعامله ، قال : وكانوا باعة ، ونحن مثلاً عشرة ، تسعة نلعنه وواحد يشكّك ، فنخرج من عنده بعدما دخلنا إليه : تسعة نتقرب إلى الله بمحبته وواحد واقف ، لأنه كان يجارينا من فضل الصّحابة ما رويناه وما لم نروه ، فنكتبه عنه لحسنه رضي الله عنه[2] .

تلك كانت معاناة الأئمة عليهم السّلام في سبيل تبليغ رسالة السّماء.

والواقع إن حياة الأئمة كلها كانت معاناة ، سواء الّذين كانوا أيام حكم بني أمية أو الّذين عاصروا بني العباس .

ولعل تلك المعاناة ، كانت تتدرج في الشّدة والقسوة من إمام إلى آخر . فالصادق مثلاً لم يحبسه الأمويون ولا العباسيون وإن كان قد حجر

---

[1] - البحار / ج ٥١ / ص ٣٥٦ – ٣٥٧ .
[2] - البحار / ج ٥١ / ص ٣٥٧ .

عليه في بعض فترات الحكم العباسي ، إلاّ أنه لم يدخل السّجن ، ولكن ابنه الكاظم عليه السلام ، نراه يقضي في السّجون عدداً من السّنين ، في البصرة وواسط وبغداد .

أما الرّضا ، فقد كان له حساب آخر ، لأ الخليفة الّذي كان يعاصره كان يتميّز بالذكاء أولاً ولأن الظّروف الّتي عاشها كانت ظروفاً خاصة ، دعت المأمون إلى أن يتظاهر بالولاء له ، فأسند إليه ولاية العهد ، ولكنه حينما قضى مأربه ، نراه يدسّ إليه السّم .

والجواد عليه السلام يتعامل معه المأمون بما يشبه تعامله مع الرّضا ، ويزوجه ابنته ولكن المعتصم يدس إليه السّم أيضاً .

ويتعرض الإمام الهادي لمعاناة شديدة وقاسية في السّجون والملاحقات والمداهمات اللّيلية ، والإحضار من المدينة إلى سامراء ليكون تحت رقابة ( الخليفة ) في نفسه وفي شيعته الّذين يلتقون به ، حيث يضطر الإمام إلى أن يحيط عمله بشيء من السّرية والكتمان ثم يقضي مسموماً ، لتبدأ الجولة مع العسكري عليه السلام .

والملاحظ أن الأئمة عليهم السّلام ولدوا في المدينة المنورة ابتداء من الحسن بن علي، عدا المهدي حيث ولد في سامراء ، وربما ولد العسكري في سامراء أيضاً على بعض الرّوايات .

وهذا يعطينا دليلاً عن هول الملاحقة والمتابعة والرّقابة الشّديدة الّتي كان يتعرض لها العسكري ، أو هو والهادي أيضاً .

والأئمة ، لو فسح لهم المجال لما تركوا المدينة ، لأنها تتميز بعدة ميزات :

١- لأنها مدينة جدهم رسول الله ( ص ) وفيها أهلهم وعشيرتهم وأرحامهم .

٢- لأنها بعيدة نوعاً ما عن أعين السّلطات الّتي كانت قائمة في دمشق أو بغداد وسامراء .

٣- ولأن المدينة تضم أبناء المهاجرين والأنصار ، وفيها الفقهاء والمحدثون حيث يعرفون منزلة الأئمة عليهم السّلام الّذين يعيشون بين ظهرانيهم فكأنهم وإياهم أسرة واحدة .

يقول الإمام الرّضا عليه السلام عندما طلبه المأمون للخلافة أو ولاية العهد إنني أسير في سكك المدينة ، وأقضي حوائجهم فيكونون لي كالأعمام ولكن العسكري ــ إن لم نقل والهادي أيضاً ــ لم يستطع أن يرجع إلى المدينة ، لشدة الرّقابة الّتي كانت مفروضة عليه . فيتولد المهدي في سامراء ونستطيع أن نقول إن العسكري عليه السلام كان يعيش الغربة عندما ولد له الإمام المهدي ، لأن أمه كانت قد ذهبت إلى الحج قبل ولادة حفيدها بعدة أشهر .

ولشدة السّرية والكتمان الّتي كان يعيشها الإمام العسكري ، فإنه كان يوعز إلى شيعته بعدم الإشارة إليه ، عندما يجدونه راكباً ليدخل على

الخليفة كزيارة إجبارية يقوم بها الإمام إلى بلاط الخليفة ، ليحقق بها الخليفة عدة أغراض .

يقول الرّاوي : اجتمعنا بالعسكر[1] وترصدنا لأبي محمد يوم ركوبه ، فخرج توقيعه ، ألا لا يسلمنّ علي ولا يشير إليّ بيده ولا يومئ فإنكم لا تؤمنون على أنفسكم[2].

ترى كم كانت الرّقابة العباسية محكمة على الإمام وعلى شيعته ، فإن إشارة أحدهم إلى الإمام تعطي إنطباعاً بأن صاحب الإشارة شخص يعرف الإمام ، وبالتالي فهو يستحق المحاسبة والملاحقة ، وما يدرينا فلعل ذلك يستحق الحبس والقتل .

وإذا ألقينا نظرة عامة على الأئمة عليهم السّلام ، من أولهم إلى آخرهم لرأيناهم قمة في الورع والتقوى والزّهد والعلم والسّخاء والجماهيرية والمحبوبية ... ولكننا نرى أن السّلطات كل السلطات الّتي عاصرت الأئمة عليهم السّلام ، كانت تخشى منهم ، فتضيّق عليهم لحد قد يصل إلى القتل في حين أن الأئمة ـ كما رأينا ـ لم يقوموا بعمل عسكري ضدهم و لم يسجل الخلفاء عليهم أنهم كانوا يؤيدون الثائرين فضلاً عن البيعة لهم . فلماذا كل هذا ؟

أليس هو معركة الحق والباطل ؟

[1] - العسكر : هي مدينة سامراء .
[2] - البحار / ج ٥٠ / ص ٢٦٩ .

ولقد أتينا على هذا في مواضع عديدة من كتابنا هذا ... وهو ديدن الحياة ، الّتي لا بدّ أن يكون فيها الإحتدام متواصلاً بين من يعمل لإنقاذ الإنسان من الشّرور ومن يعمل لإشباع غرائزه في التسلط على الإنسان .

وليس مقطع الزّمان الّذي عاشه الأئمة هو الوحيد في ذلك ، فتلك سنة الحياة في صراعها بين الحق والباطل ، بين من يتحرك لله وبين من يتحرك للشيطان .

وحياة الأنبياء كلها من هذا النمط ، وحياة رسول الله ( ص ) صورة واضحة للصراع بين من يعبد الله ومن يعبد الطّاغوت .

والسّرية الّتي اضطر إليها الأئمة عليهم السّلام ، هي السّرية نفسها الّتي سلكها رسول الله ( ص ) ثلاث سنين في بداية الدعوة المباركة ، حتّى جاءه الأمر ( اصدع بما تؤمر ) .

والاختفاء الّذي اضطر المهدي عليه السلام ، هو نفسه الّذي اضطر إليه الرّسول عليه السلام ، فدخل الغار خوفاً من قريش ، الّتي كانت قد أزمعت على قتل الرّسول ، لأن الرّسول ( ص ) سفّه أحلامهم ونغّص عليهم معايشهم

والخليفة العباسي كذلك ، كان يبحث عن الوليد الجديد ( المهدي ) بحثاً دقيقاً ، فلقد قيل له إن أمّه لا تزال حاملاً به فكان يبحث عنها ثم وضعها في قصره تحت رقابته ، ثم قيل له إن المولود موجود ، فكانت المداهمات الّتي استمرت تسعة عشرة عاماً ، لأنهم يسمعون ويقرأون أن الإمام الثاني عشر هو ( المهدي ) الذي سوف ينقذ العالم من الأشرار وشرورهم ويقضي على الظّلم والجور ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً ...

ولذلك نجدهم يشمّرون عن سواعد الجد في البحث والتنقيب والمتابعة ، ولكن الإمام المهدي (عليه السلام) كان أكثر منهم حنكة وحكمة ، فاختفى عن أبصارهم وامتنع عن لقاء الشّيعة والأنصار والموالين الّذين بدأوا يُعدون بالملايين وينتشرون في كل مكان حيث يوجد الإسلام ، اللهم إلاّ من خلال الوكلاء والسّفراء الّذين كانوا في غاية السّرية والكتمان لإيهام السّلطة وعيونها .

تلك كانت غيبته الصّغرى الّتي استمرت حوالي سبعين سنة ، ثم بدأت بعدها الغيبة الكبرى .

ونحن ننتظره كما ينتظره العالم ليصلحه بعدما أفسده الظّالمون .

ومن المناسب هنا أن نقتبس من أستاذنا الشّيخ محمد رضا المظفر ما كتبه عن المهدي في كتابه عقائد الإمامية إذ يقول :

ومما يجدر أن نذكره في هذا الصّدد ونذكّر أنفسنا به أنه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ ( المهدي ) أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحق من دينهم ، وما يجب عليهم من نصرته والجهاد في سبيله والأخذ بأحكامه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل المسلم أبداً مكلف بالعمل بما أنزل من الأحكام الشّرعية ، وواجب عليه السّعي لمعرفتها على وجهها الصّحيح بالطّرق الموصلة إليها حقيقة ، وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما تمكن من ذلك وبلغت إليه قدرته (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) . فلا يجوز له التأخر عن واجباته

بمجرد الانتظار للمصلح المهدي والمبشر الهادي ، فإن هذا لا يسقط تكليفاً ولا يؤجل عملاً ولا يجعل الناس هملاً كالسوائم[1] .

❁❁❁

[1] - عقائد الإمامية للمظفر / ص ٧٩ .

# نظرية الحكم لدى الشيعة
# من خلال أئمتهم عليهم السلام

لقد وجدنا في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب صراعاً بين أئمة أهل البيت والسّلاطين ، وكنا نشير بصورة إجمالية إلى أسباب الاختلاف بين المدرستين ، فما هو منشأ هذا الخلاف؟

أليس السّلاطين أولئك ، خلفاءً قد بويع لهم ـــ كما يقولون ـــ ؟ فأصبحت طاعتهم مفروضة على الأمة ؟ جميع الأمة ، علمائها وفقهائها وسائر طبقاتها ؟ وإذا كانت طاعتهم واجبة فلماذا هذا الخلاف ؟

ألم يكن الأولى لهم أن ينصاعوا لمن انصاعت له الأمة ، ليحفظوا للمسلمين وحدتهم وقوتهم وللإسلام هيمنته واستمراره ، وأن يقبلوا بالأمر الواقع ، كما قبل جدهم علي بن أبي طالب ؟؟

هذه أسئلة كثيرة ، وإثارات ، إذا أردنا أن نبحثها مفصلاً لأحتجنا لهذا الموضوع كتاباً مستقلاً ، ولسنا نريد ذلك ، وإنما نبحثه ضمن المنهج الّذي ارتضيناه لأنفسنا ، باختصار كبير لنعطي لهذه الأسئلة جواباً بقدر ما يقتضيه وضع الكتاب ، كفصل صغير .

ولعل هذا البحث هو الّذي سوف يبين سبب الاختلاف بين من يدين بمذهب أهل البيت وبين من يدين بمذهب الخلفاء .

فالشيعة يعتقدون ويروون عن الرّسول ( ص ) أحاديث كثيرة جداً ، أن الرّسول ( ص ) نصب علياً عليه السلام خليفة ، من بعده ، في مناسبات متعددة ، ولا تقتصر تلك الروايات على رواة الشّيعة فقط ، وإنما يرويها

غيرهم لحد قد يصل إلى التواتر الّذي لا يمكن التواطؤ فيه على الكذب ، ويستندون بالإضافة إلى الأحاديث الواردة عن الرّسول ( ص ) يستندون إلى آيات وردت في القرآن الكريم ، يكاد يجمع المفسرون على أنها وردت في حق علي عليه السلام . ( سوف لا نذكر تلك الآيات والرّوايات إلتزاماً بالإختصار ) ويعتقدون أيضاً إن الّذي حدث بعد وفاة الرّسول ( ص ) في سقيفة بني ساعدة ، إنما هو أمر دبّر بليل ، وأنه اغتصاب أشبه ما يكون بالمؤامرة .

كما يعتقدون أن الإمامة لا تكون إلاّ بالنص من الله تعالى على لسان النبي ( ص ) أو لسان الإمام الّذي قبله ، وليست هي بالإختيار والانتخاب من الناس .

فليس للمسلمين إذا شاؤوا أن ينصبوا أحداً نصبوه وإذا شاؤوا أن يعينوا إماماً لهم عينوه ومتى شاؤوا أن يتركوا تعيينه تركوه ليصح لهم البقاء بلا إمام ، بل ( من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ) على ما ثبت ذلك عن الرّسول الأعظم بالحديث المستفيض وعليه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطّاعة منصوب من الله تعالى ، سواء أبى البشر أم لم يأبوا ، وسواء ناصروه أم لم يناصروه ، أطاعوه أم لم يطيعوه ، وسواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس[1] .

ويعتقدون أن الإمام كالنبي ، يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل ، ومن تدبير وعقل وحكمة وخلق ، والدليل في النبي نفسه الدليل في الإمام .

[1] – عقائد الإمامية للشيخ المظفر / ص ٦٦ .

أما علمه ، فهو يتلقى المعارف والأحكام الألهية وجميع المعلومات من طريق الإلهام بالقوة القدسية الّتي أودعها الله تعالى فيه ، فإن توجه إلى شيء وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي ، لا يخطيء فيه ولا يشتبه ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقينات المعلمين ، وإن كان علمه قابلاً للزيادة والأشتداد ، ولذا قال ( ص ) في دعائه ( ربّ زدني علماً )[1] .

ويعتقدون أن الأئمة هم أولو الأمر الّذين أمر الله تعالى بطاعتهم ، وأنهم الشّهداء على الناس ، وأنهم أبواب الله والسّبل إليه ، والإدلاء عليه ، وإنهم عيبة علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده وخزان معرفته ولذا كانوا أماناً لأهل الأرض ، كما أن النجوم أمان لأهل السّماء ، ( على حد تعبيره ( ص ) وكذلك ـ على حد قوله أيضاً ـ ( إن مثلهم في هذه الأمة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى ) وأنهم حسبما جاء في الكتاب المجيد ( عباد الله المكرمون الّذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ) وأنهم الّذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهرهم تطهيرا .

بل يعتقدون أن أمرهم أمر الله تعالى ، ونهيهم نهيه ، وطاعتهم طاعته ومعصيتهم معصيته ، ووليهم وليه ، وعدوهم عدوه ، ولا يجوز الرّد عليهم والرّاد عليهم كالراد على الرّسول ، والرّاد على الرّسول كالراد على الله تعالى ، فيجب التسليم لهم والإنقياد لأمرهم والأخذ بقولهم .

ويعتقدون أن الأحكام الشّرعية الإلهية لا تستقى من غير مائهم ولا يصح أخذها إلاّ منهم ، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم ، ولا

[1] - المصدر السابق / ص ٦٨ .

يطمئن بينه وبين الله إلى أنه أدّى ما عليه من التكاليف المفروضة إلاّ من طريقهم ، إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق في هذا البحر المائج الزّاخر بأمواج الشبّه والضّلالات والإدعاءات والمنازعات[1] .

وبناء على ما سبق ، فكل خليفة ما عداهم يعتبر غاصباً ، وإن لم يكن الإمام الشّرعي حاضراً ، فان الإمام الغائب هو صاحب الحق . والعلماء الحاضرون الّذين يروون أحاديثهم هم المتبعون ، لأنهم يسيرون على هدى أئمتهم ، ويأخذون الأحكام من معينهم الّذي لا ينضب .

فخلفاء بني العباس والّذين سبقوهم والّذين جاؤوا من بعدهم يعتبرون في نظر الشّيعة غاصبين ، ليس لهم من الحق شيء .

بل حتّى لو كان قد ثار احد العلويين من أبناء الأئمة ، ولنفترض أنه استولى على الحكم ، فليس حكمه شرعياً ، لأن الحكم لغيره ( للأئمة ) ولذلك فاننا نجد أن الأئمة عليهم السّلام يترحمون على زيد بن علي ، ويقولون عنه إنه لو ظفر لوفى ، ولو ملك لعرف كيف يضعها[2] أي كيف يضع الخلافة ، إذ يرجعها لأصحابها وهم الأئمة عليهم السّلام .

أما الإمام علي بن طالب عليه السلام ، إذا وجدنا أنه قد سكت ، فإن خطبته الشّقشقية توضح الظّروف السّياسية الّتي كانت تكتنفه آنذاك ، فآثر السّكوت حفاظاً على وجود الإسلام .

فقد كان الصّراع حين ذاك بين وجود الإسلام وبين إغتصاب الخلافة ، فآثر الإمام عليه السلام الحفاظ على الإسلام .

---

[1] – عقائد الإمامية للشيخ المظفر / ص ٦٩ – ٧٠ .

[2] البحار / ج ٤٧ / ص ٣٢٥ .

والتاريخ يذكر كيف أن أبا سفيان أراد أن يبايع لعلي كيداً للإسلام ولكن الإمام كان قد وضح لديه هدف أبي سفيان الّذي كان يريـد أن يقضي على أصل الإسلام ، والأئمة عليهم السّلام لم يكونـوا يجـدون الظّروف مواتية لهم مطلقاً لأن يثوروا في وجه الغاصبين ( عـدا الإمـام الحسين عليه السلام فإن له حساباً آخر ، شرحناه فيما سبق ) ، فإن ذلك لـن يتحقق لهم ، ولذلك نجدهم يختارون الحالة التي عايشوها وارتضوها ، لأنها كانت أحفظ لوجود الإسلام وأجدى في نشر أحكامه وتعاليمه ، وتثقيف المسلمين بها ، وبيان أن السّلطة غاشمة غاصـبة ، وأن الخلفـاء تمسـكوا بالإسلام تمسكاً ظاهرياً ، ليحكموا بإسم الإسلام ولتؤدى لهـم فـروض التقدير والأبهة والهيمنة بإسم الخلافة عـن رسـول الله ( ص ) وإمـرة المؤمنين.

هذا بإختصار شرح لنظرية الحكم لدى الشيعة من خلال أئمتـهم عليهم السّلام .

وقد وجدنا أنهم يعتقدون أن الإمام منصوص عليه من قبل الرسـول (ص) ثمّ من قبل الإمام السابق على الإمام اللاحق (في الأئمة الإثنى عشر).

ولعل هذه النقطة هي مثار الخلاف الأساس بين الشّيعة والسّنة .

وإلى هنا ، فإننا ننهي البحث في هذا الكتاب ونتصور اننا إسـتطعنا أن نزيل بعض الشبهات التي تثار حول الأئمة عليهم السّلام في تعاملـهم مع الدولة والسلاطين .

ونرجو من القارئ الكريم أن يعذرنا عن الهفوات التي حصلت في هذا الكتاب وعن الإيجاز الذي ربّما كان مخلاً في بعض الفصول، والذي كنا نتوخى فيه التيسير على القارئ.

وفي الختام أسأله تعالى أن يتقبّل مني هذا العمل المتواضع إنه سميع مجيب.

❀❀❀

# فهرست المصادر

١- وسائل الشيعة ـــ الحر العاملي .
٢- أهل البيت ـــ تنوع أدوار ووحدة هدف ـــ الإمام الصدر .
٣- الكامل في التأريخ ـــ ابن الأثير .
٤- مروج الذهب ـــ المسعودي .
٥- البحار ـــ محمد باقر المجلسي .
٦-الأئمة الإثنى عشر ـــ عادل الأديب .
٧-جعفر بن محمد ـــ عبد العزيز سيد الأهل .
٨- مقاتل الطالبيين ـــ أبو الفرج الأصفهاني .
٩- سيرة الأئمة الإثني عشر ـــ هاشم معروف الحسني .
١٠- تاريخ اليعقوبي ـــ أحمد بن أبي يعقوب .
١١- أنساب الأشراف ـــ البلاذري .
١٢- معالم المدرستين ـــ السيد مرتضى العسسكري .
١٣- الأغاني ـــ أبو فرج الأصفهاني .
١٤- النظام السياسي في الإسلام ـــ المحامي أحمد يعقوب حسين
١٥- شرح نهج البلاغة ـــ ابن أبي الحديد .
١٦- ثورة الحسين ـــ محمد مهدي شمس الدين .
١٧- المذاهب الإسلامية ـــ الشيخ أبو زهرة .
١٨- الفصل في الملل والنحل ـــ ابن حزم.
١٩- ضحى الإسلام ـــ أحمد أمين .

٢٠- الإمامة والسّياسة ـــ ابن قتيبة .
٢١- مقدمة مرآة العقول ـــ السيد مرتضى العسكري.
٢٢- الإختصاص ـــ الشيخ المفيد .
٢٣- الصّادق والمذاهب الأربعة ـــ أسد حيدر
٢٤- من لا يحضره الفقيه ـــ الشيخ الصدوق .
٢٥- تاريخ الشيعة ـــ الشيخ محمد حسن المظفري .
٢٦- الإمام الرّضا ـــ مؤسسة البلاغ .
٢٧- البداية والنهاية
٢٨- الشيعة والحاكمون ـــ محمد جواد مغنية .

# الفهرست

# الفهرست